

مصحف الغريب

المصحف ومعه غريب القرآن وأسباب النزول وأحاديث التفسير

المقدمات

منهج النسخة ومقدمات مصادرها

عن هذه النسخة

هذه نسخة شخصية من مصحف المدينة النبوية، بإزاء كل صفحة منه شرحٌ غريبها وأسبابُ نزول آياتها وأحاديثُ تفسيرها، منقولةٌ بنصها من كتبها.

المصحف: مصحف المدينة النبوية، طبعة ١٤٤١ هـ، مرسوماً بخطوط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف لكل صفحة، سطراً بسطر.

الغريب: لكل كلمة مشروحة سطرٌ لكل مصدر، مرتبةً بتقديم وفیات أصحابها: أبو عبيدة · مجاز القرآن · البخاري · تعليقات كتاب التفسير من صحيحه (ط البغا) · ابن قتيبة · تفسير غريب القرآن (ت صقر)، وإحالاته إلى «تأويل مشكل القرآن» في الحواشي · الراغب · المفردات (مع اسم المادة) · ابن الهائم · التبيان · السراج · للخصيري.

أسباب النزول: الصحيح المسند للوادي، وأسباب النزول من خلال الكتب التسعة للمزي (بتمامه).
أحاديث التفسير: كتاب التفسير من صحيح البخاري (ط السلطانية) وصحيح مسلم (ط التركية، بترقيم عبد الباقي) وجامع الترمذي (ت بشار) والسنن الكبرى للنسائي (ط الرسالة)، بحذف الإسناد إلا الراوي الذي ينتهي إليه الخبر، وبالترقيم المعتمد لكل كتاب. وتحت كل حديث لوحة «الحكم»: حكم الترمذي، وحكم الألباني من حاشية طبعة شاكر، وما وُجد في «الدرر السنية» من أحكام المحدثين مطابقاً للمتن.

الحواشي: حواشي المحققين منقولة كما هي ومعزوة إلى طبعتها، وإحالات ابن قتيبة إلى «تأويل مشكل القرآن» منقولة من طبعة دار الكتب العلمية، وما لم يُراجع منها بعدُ موسوم بـ«مع الشك».

الأرقام والعلامات: أبدلت الأرقام بالأرقام الهندية، ووضعت الألفاظ القرآنية في الأقواس المزهرة بخط المصحف، وحُذفت إحالات المحققين إلى أرقام الآيات لأن رقم الآية في رأس كل كلمة.

الصفحات: يقع المصحف دائماً في الصفحة اليمنى، وشرحه بعده في عدد فردي من الصفحات، وما بقي من فراغ فهو «فوائد وتعليقات» للقارئ.

مقدمة أبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩هـ) لكتابه «مجاز القرآن»

الجزء الأول
مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم حدثنا أبو الحسين محمد بن هارون الزنجاني الثقفي،^١ قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد العزيز،^٢ قال: حدثنا علي بن المغيرة الأثرم،

عن أبي عبيدة معمر بن المثنى التميمي، قال: قال: القرآن: اسم كتاب الله خاصة، ولا يسمّى به شيء من سائر الكتب غيره، وإنما سمّي قرآنًا لأنه يجمع السور فيضمها،^٤ وتفسير ذلك في آية من القرآن قال الله جلّ ثناؤه: «إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ»

(١٨ / ٧٥) . مجازة: تأليف بعضه إلى بعض ثم قال: «فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ»

(١٨ / ٧٥) مجازة:

^١ حاشية المحقق على مجاز القرآن: لم أقف على ترجمة أبي الحسين الزنجاني هذا.

^٢ حاشية المحقق على مجاز القرآن: . (٢-٣) أبو الحسن.. عبد العزيز: كان عالماً باللغة، أخذ عن أبي عبيد القاسم بن سلام، وروى عنه علي بن إبراهيم القطان، وتوفي سنة سبع وثمانين ومائتين. راجع ترجمته في نزهة الألباء ٢٧٩، الفهرست لابن النديم ٧١، النجوم الزاهرة ٣ / ١٢١ ويذكر اسمه الخطيب (١٢ / ٤٠٣) في ترجمة أبي عبيد، وقد ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (نسخة جامعة إستانبول ١ / ١٦) في سلسلة من رووا كتابي المعاني للكسائي ولأبي عبيد.

^٣ حاشية المحقق على مجاز القرآن: . (٢-٤) وأبو محمد ثابت الذي ورد في رواية: هو ثابت بن أبي ثابت عبد العزيز اللغوي، يروى عن أبي عبيد القاسم بن سلام، وأبي الحسن علي بن المغيرة الأثرم، والخباني، وغيرهما، وهو من أهل العراق جليل القدر موثق به مقبول القول في اللغة. والذي وصلنا من تأليفه فيما أعلم هو كتاب «خلق الإنسان» المحفوظ في مكتبة تيمور، ١١٤٢ شعر. وانظر ترجمته في إرشاد الأريب ٧ / ١٤٢، والبيغة ٢١٠.

^٤ حاشية المحقق على مجاز القرآن: . (٤-٥) «القرآن ... فيضمها»: نقل أبو بكر السجستاني هذا الكلام برمته في غريب القرآن ١٤٣، وأشار إليه البخاري (٧ / ٦) بقوله: وقال غيره سمي القرآن جماعة السور، وسميت السورة لأنها مقطوعة من الأخرى، فلما قرن بعضها إلى بعض سمي قرآنًا، وقال الشارح ابن حجر: هو قول أبي عبيدة في أول «المجاز»، وفي رواية أبي جعفر المصايري عنه: سمي القرآن جماعة السور، فذكر مثله سواء، وجوز الكرمان في قراءة هذه اللفظة، وهي: «جماعة» وجهين، إما بفتح الجيم وآخرها تاء تأنيث بمعنى الجميع، وإما بكسر الجيم وآخرها ضمير يعود على القرآن (فتح الباري ٨ / ٣٣٩) .

فإذا ألفنا منه شيئاً، فضممناه إليك نخذ به، واعمل به وضمه إليك وقال عمرو ابن كلثوم في هذا المعنى:
ذراعى حرة أدماء بكر... هجان اللون لم تقرأ جنيهاً^١

أي لم تضم في رحمتها ولداً قط،^٢ ويقال للتي لم تحمل قط: ما قرأت سلى قط. وفي آية أخرى: «فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ» (٩٨ / ١٦) مجازة: إذا تلوت بعضه في إثر بعض، حتى يجتمع وينضم بعضه إلى بعض ومعناه يصير إلى معنى التأليف والجمع.

وإنما سمي القرآن فرقاناً لأنه يفرق بين الحق والباطل، وبين المسلم والكافر، وخرج تقديره على تقدير: رجل قنعان، والمعنى أنه يرضى الخصمان والمختلفان في الأمر بحكمه بينهما ويقنعان به. والسورة من القرآن يهزها بعضهم، وبعضهم لا يهزها، وإنما سميت سورة في لغة من لا يهزها، لأنه يجعل مجازها^٣ مجاز منزلة إلى منزلة أخرى، كمجاز سورة البناء، قال النابغة الذبياني:
ألم تر أن الله أعطاك سورة... ترى كل ملك دونها يتذبذب

أي منزلة شرف ارتفعت إليها عن منازل الملوك، غير أن جمع سورة القرآن خالف جمع سورة البناء في لغة من همز سورة القرآن، وفي لغة من لم يهزها قالوا جميعاً في جمع سورة القرآن «سور» الواو مفتوحة كما قال:
لا يقرآن بالسور؛ نخرج جمعها مخرج جمع ظلمة والجميع ظلم ونحو ذلك، وقالوا جميعاً في جمع سورة البناء^٥ سور الواو ساكنة، نخرج جمعها مخرج جمع بسرة والجميع بسر قال العجاج:
فرب ذى سراق محجور... سرت إليه في أعلى السور^٦ الواو ساكنة، السراق: الفسطاط وهو البلق ومجاز

^١ حاشية المحقق على مجاز القرآن: البيت من معلقته، وانفرد أبو عبيدة بهذه الرواية، أنظر شرح العشر للتبريزي ١١١، وهو في جمهرة الأشعار ٧٦، والأضداد للأصمعي ٦، والطبري ٢٩ / ١٠٢، والجمهرة ١ / ٢٢٨، والقرطبي ٣ / ١١٤، واللسان والتاج (قرأ) .
^٢ حاشية المحقق على مجاز القرآن: «أي لم تضم ... قط» : رواه أبو الطيب اللغوي عن أبي عبيدة (الأضداد ٨٠ ب) ، وهو في الأضداد للأصمعي ٦، وأخذه البخاري، وقال ابن حجر: هو قول أبي عبيدة أيضاً قاله في المجاز رواية أبي جعفر المصادري عنه، وأنشد قول الشاعر: «هجان» البيت.

والسلي بفتح المهملة وتخفيف اللام. وحاصله أن القرآن عنده من «قرأ» بمعنى جمع، لا من «قرأ» بمعنى تلا. (فتح الباري ٨ / ٣٤٠)
^٣ حاشية المحقق على مجاز القرآن: «مجازها ... سورة» : وسيأتي في نفس هذا الكتاب، وروى ابن عطية أن أبا عبيدة قال في تفسيره: معنى السورة، إنما اختلف في هذا، فكان سور القرآن من قطعة بعد قطعة حتى كمل منها القرآن (المحرر الوجيز ١ / ٦ آ) ، وفي جمهرة اللغة: (٢ / ٣٣٨) والسورة من القرآن كأنها درجة أو منزلة يفضي منها إلى غيرها في لغة من لم يهزم. وفي تفسير ابن كثير (١ / ١٨) : فكان القارئ ينتقل بها من منزلة إلى منزلة.
وفي التاج (سور) : لأنها منزلة بعد منزلة مقطوعة عن الأخرى.
^٤ حاشية المحقق على مجاز القرآن: هذه القطعة من بيت تمامه:

هن الحرائر لا ربّات أخمرة... سود المحاجر لا يقرآن بالسور
وقد أنشده أبو عبيدة في تفسير آية أخرى من هذا الكتاب بغير عزو، وسيأتي، ونسبه بعضهم إلى الراعي، وقال صاحب الخزائن (٣ / ٦٦٨) :
والبيت وقع في شعرين أحدهما للراعي النخيري، والثاني للقتال الكلابي، وهو في الجمهرة ٣ / ٤١٤، والصالح، اللسان، التاج (سور) ، والقرطبي ١ / ١٥٨، ٣ / ١١٥، وشواهد المغني ١١٦.

^٥ حاشية المحقق على مجاز القرآن: «سورة البناء» : قال في اللسان (سور) : وأما أبو عبيدة فإنه زعم أنه مشتق من سورة البناء ... واحتج أبو عبيدة بقوله: «سرت إليه ...» إلخ. وروى الأزهري بسنده عن أبي الهيثم أنه رد على أبي عبيدة قوله، وقال: إنما تجمع فعلة على فعل بسكون العين إذا سبق الجمع الواحد مثل صوفة وصوف.
^٦ حاشية المحقق على مجاز القرآن: : في ديوانه رقم ١٥، وفي الكتاب لسبويه ٢ / ٢٤٥ واللسان، التاج (سور) .

سورة في لغة من همزها:

مجاز قطعة من القرآن على حدة وفضلة منه لأنه يجعلها من قولهم: أسأرت سؤرا منه، أي أبقيت وأفضلت منه فضلة.^١

والآية من القرآن: إنما سميت آية لأنها كلام متصل إلى انقطاعه،^٢ وانقطاع معناه قصة ثم قصة.

ولسور القرآن أسماء: فمن ذلك أن «الحمد لله» تسمى «أم الكتاب» ، لأنه يبدأ بها في أول القرآن وتعاد [قراءتها] فيقرأ بها في كل ركعة [قبل السورة] ولها اسم آخر يقال لها: فاتحة الكتاب لأنه يفتح بها في المصاحف فتكتب قبل القرآن،^٣

ويفتح بقراءتها في كل ركعة قبل قراءة ما يقرأ به من السور في كل ركعة.

ومن ذلك اسم جامع لما بلغ عدد دهن مائة آية أو فويق ذلك أو دونه فهو «المئون» ، وقد فرغنا من ذلك في الرجز الذي بعد هذا. ومن ذلك اسم جامع للآيات وهو: «المثاني» ، وقد فرغنا من ذلك في الرجز الذي بعد هذا. ومن ذلك اسم لقوله: «قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ» (١٠٩) ، ولقوله: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» (١١٢) يقال لهما: «المشقتان» ، ومعناه المبرتان من الكفر والشك والنفاق كما يقشقرش الهناء الجرب فيبرئه. ومن ذلك اسم جامع لسبع سور من أول القرآن، يقال للبقرة (٢) ، وآل عمران (٣) ، والنساء (٤) ، والمائدة (٥) ، والأنعام (٦) ، والأعراف (٧) ، والأنفال (٨) : «السبع الطول» ، قال سليمان:^٤

نشدتكم بمنزل الفرقان ... أم الكتاب السبع من مثاني^٥

ثني من آي من القرآن ... والسبع سبع الطول الدواني

وقال في جمع أسمائها:

حلفت بالسبع اللواتي طوّلت ... وبمئين بعدها قد امثيت^٦

وبمئتان ثنيت فكررت ... وبالطواسيم التي قد ثلثت

وبالحواميم اللواتي سبعت ... وبالمفصل اللواتي فصلت

[وقال الشاعر فيما يدل على أن «الحمد» هي السبع المثاني:

^١ حاشية المحقق على مجاز القرآن: . (٢-٤) «سورة ... فضلة» : نقله أبو بكر السجستاني باختلاف يسير في غريب القرآن ١٠١.

^٢ حاشية المحقق على مجاز القرآن: «كلام ... انقطاعه» : كذا في غريب القرآن لأبي بكر السجستاني ٣ [.....]

^٣ حاشية المحقق على مجاز القرآن: . (٧-٢) من ص ٦ «ولسور القرآن ... قبل القرآن» : هذا الكلام في فتح الباري (٨/ ١١٨) ، أورده ابن حجر في شرحه لقول البخاري: «وسميت أم الكتاب أنه يبدأ بقراءتها في الصلاة» ، انتهى. قال: هو كلام أبي عبيدة في أول مجاز القرآن، لكن لفظه: «ولسور ... السورة» .

^٤ حاشية المحقق على مجاز القرآن: سليمان: لعله سليمان بن يزيد العدوي لأن أبا عبيدة استشهد بيت له في تفسير آية ٤٤ من سورة الروم في الجزء الثاني من هذا الكتاب. وقال أبو حاتم:

أخبرني أبو عبيدة (٩) فسألت عن نسبه فقال: ليس بعدوي، ولكنه كان نازلا في بني عدى تيم فنسب إليهم وهو مولى لبني أمية، وقال أبو حاتم أيضا في سليمان: ليس بحجة وهو مولد، قال غيره: هو حجة في هذا لأنه جود في البيت ولم يخرج عما قاله الفصحاء، ولا انفرد بشيء شاذ (حاشية ٩٩ آ)

^٥ حاشية المحقق على مجاز القرآن: الرجز في الطبري ٣٦/ ١ والشرطان الأول والثاني في القرطبي ١٠/ ٥٤

^٦ حاشية المحقق على مجاز القرآن: الشرط الأول والثاني في الطبري ١/ ٣٤

الحمد لله الذي أعفاني ... وكلّ خير صالح أعطاني^١
رب المثاني الآي والقرآن

(بسم الله الرحمن الرحيم) قالوا: إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين، وتصدّق ذلك في آية من القرآن، وفي آية أخرى: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ» (١٤ / ٤) ، فلم يحتج السلف ولا الذين أدركوا وحيه إلى النبي ﷺ أن يسألوا عن معانيه لأنهم كانوا عرب الألسن، فاستغنوا بعلمهم به عن المسألة عن معانيه، وعمّا فيه مما في كلام العرب مثله من الوجوه والتلخيص. وفي القرآن مثل ما في الكلام العربي من وجوه الإعراب، ومن الغريب، والمعاني.

ومن المحتمل من مجاز ما اختصر وفيه مضمّر، قال: «وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَشُوا وَأَصْبَرُوا» (٣٨ / ٦) ، فهذا مختصر فيه ضمير مجازه: «وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ» ، ثم اختصر إلى فعلهم وأضمر فيه: وتواصوا أن أمشوا أو تنادوا أن أمشوا أو نحو ذلك. وفي آية أخرى: «مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا» (٢ / ٢٦) ، فهذا من قول الكفار، ثم اختصر إلى قول الله، وأضمر فيه قل يا محمد: «يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا» (٢ / ٢٦) ، فهذا من كلام الله.

ومن مجاز ما حذف وفيه مضمّر، قال: «وَسَلَّى الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا» (١٢ / ٨٢) ، فهذا محذوف فيه ضمير مجازه: وسل أهل القرية، ومن في العير.

ومن مجاز ما كفّ عن خبره استغناء عنه وفيه ضمير قال: «حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ» (٣٩ / ٧٣) ، ثم كفّ عن خبره.

ومن مجاز ما جاء لفظه لفظ الواحد الذي له جماع منه ووقع معنى هذا الواحد على الجميع، قال: «يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا» (٢٢ / ٥) ، في موضع: «أطفالًا» .

وقال: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ» (٤٩ / ١٠) فهذا وقع معناه على قوله: «وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا» (٤٩ / ٩) ، وقال: «وَالْمَلِكُ عَلَى أَرْجَائِهَا» (٦٩ / ٧) ، في موضع: «والملائكة» .

ومن مجاز ما جاء من لفظ خبر الجميع على لفظ الواحد، قال: «وَالْمَلَأُكُّ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ» (٦٦ / ٤) ، في موضع: ظهراء.

ومن مجاز ما جاء لفظه لفظ الجميع الذي له واحد منه، ووقع معنى هذا الجميع على الواحد، قال: «الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ» (٣ / ١٧٣) ، والناس جميع، وكان الذي قال رجلا واحدا. «أَنَا رَسُولُ رَبِّكَ» (١٩ / ١٩) ، وقال: «إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ» (٥٤ / ٤٩) ، والخالق الله وحده لا شريك له.

ومن مجاز ما جاء لفظه لفظ الجميع الذي له واحد منه ووقع معنى هذا الجميع على الاثنين، قال: «فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ» (٤ / ١٠) فالإخوة جميع ووقع معناه على أخوين، وقال: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ» (٤٩ / ١٠) ، وقال: «وَالسَّارِقُ»

^١ حاشية المحقق على مجاز القرآن: نسب الطبري (٣٦ / ١) هذه الأشرطة إلى أبي النجم العجلي، وهي في اللسان (ثنى) بغير عزو.

وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا»

(٤١ / ٥) ، في موضع يديهما.

ومن مجاز ما جاء لا جماع له من لفظه فلفظ الواحد منه ولفظ الجميع سواء، قال:

«حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ» (٢٢ / ١٠) ، الفلك جميع وواحد، وقال: «وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ» (٢١ /

٨٢) ، جميع وواحد، وقال: «فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ» (٤٧ / ٦٩) جميع وواحد.

ومن مجاز ما جاء من لفظ خبر الجميع المشترك بالواحد الفرد على لفظ خبر الواحد، قال الله: «أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا» (٣٠ / ٢١) جاء فعل السموات على تقدير لفظ الواحد لما أشركن بالأرض.

ومن مجاز ما جاء من لفظ الإثنين، ثم جاء لفظ خبرهما على لفظ خبر الجميع، قال: «إِنِّي طَوَّعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ» (١١ / ٤١) .

ومن مجاز ما ختر عن اثنين مشركين أو عن أكثر من ذلك فجعل لفظ الخبر لبعض دون بعض وكف عن خبر الباقي، قال: «وَالَّذِينَ يَكْتِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» (٣٥ / ٩) ومن مجاز ما جعل في هذا الباب الخبر للأول منهما أو منهم قال: «وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا» (١١ / ٦٢) .

ومن مجاز ما جعل في هذا الباب الخبر للآخر منهما أو منهم، قال: «وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيثًا» (١١١ / ٤) .

ومن مجاز ما جاء من لفظ خبر الحيوان والموات على لفظ خبر الناس قال:

«رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ» (٤ / ١٢) ، وقال:

«قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ» (١١ / ٤١) ، وقال للأصنام: «لَقَدْ عَلِمْتُمَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ»

(٢١ / ٦٥) ، وقال: «بَايَأُهَا النَّاسُ أَنْ يَدْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ» (١٨ / ٢٧) ، وقال: «إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا» (١٧ / ٣٦) .

ومن مجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الغائب ومعناها للشاهد، قال: «الْم ذَلِكَ الْكِتَابُ» (١ / ٢) ، مجازه: الم هذا القرآن.

ومن مجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الشاهد، ثم تركت وحوّلت مخاطبته هذه إلى مخاطبة الغائب، قال الله: «حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ» (٢٢ / ١٠) ، أي بكم.

ومن مجاز ما جاء خبره عن غائب ثم خطب الشاهد، قال: «ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى أُولَى لَكَ فَأُولَى» (٧٥ / ٢٣، ٢٤) .

ومن مجاز ما يزداد في الكلام من حروف الزوائد، قال الله: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعْضُهُ فَمَا فَوْقَهَا» (٢٦ / ٢) ، وقال: «فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ» (٤٧ / ٦٩) ، وقال: «وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْكَالِينَ» (٢٠ / ٢٣) ، وقال: «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ: «مَا مَنَعَكَ إِلَّا

تَسْجُدَ» (١٧ / ٧) ، مجاز هذا أجمع إلقاءهن .

ومن مجاز المضر فيه استغناء عن إظهاره قال: «بِسْمِ اللَّهِ» (٢٧ / ٣٠) ،

ففيه ضمير مجازة: هذا بسم الله. أو بسم الله أول كل شيء ونحو ذلك.

ومن مجاز المكرر للتوكيد قال: «رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتَهُمْ لِي سَاجِدِينَ» (١٢ / ٤) ، أعاد الرؤية. وقال: «أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى» (٧٤ / ٣٤ ، ٣٥) ، أعاد اللفظ. وقال: «فَصَيَّامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةَ إِذَا رَجَعْتَ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ» (١٩٦ / ٢) . وقال: «تَبَّتْ يَدَايَ لِهَبٍ وَتَبَّ» (١ / ١١١) .

ومن مجاز الجمل استغناء عن التكرير قال: (....) (؟) ١٠

ومن مجاز المقدم والمؤخر قال: «فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ» (٢٢ / ٥) أراد ربّت واهتزّت. وقال: «لَمْ يَكُنْ يَرَاهَا» (٢٤ / ٤٠) أى لم يرها ولم يكد.

ومن مجاز ما يحول خبره إلى شيء من سببه، ويترك خبره هو قال: «فَطَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ» (٢٦ / ٤) حول الخبر إلى الكناية التي في آخر الأعناق.

ومن مجاز ما يحول فعل الفاعل إلى المفعول أو إلى غير المفعول قال: «ما إنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ» (٧٦ / ٢٨) والعصبة هي التي تنوء بالمفاتيح.

ومن مجاز ما وقع المعنى على المفعول وحول إلى الفاعل قال: «كَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ» (١٧١ / ٢) ، والمعنى على الشاء المنعوق به وحول على الراعى الذى ينق بالشاء.

ومن مجاز المصدر الذي في موضع الاسم أو الصفة قال: «وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ

«أَمَّنَ بِاللَّهِ» (٢ / ١٨٩) خروج المعنى البار. وقال: «أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا» (٣٠ / ٢١) ، والرتق مصدر وهو في موضع مرئوقتين، وقال: «أَنَا رَسُولُ رَبِّكَ»

(١٩ / ١٩) أى رسالة ربك.

ومجاز ما قرأته الأئمة بلغاتها فجاء لفظه على وجهين أو أكثر، من ذلك قرأ أهل المدينة «فَمِمْ بُشِّرُونَ» (١٥ / ٥٤)^٢ فأضافوا بغير نون المضاف بلغتهم، وقال أبو عمرو: لا تضاف تبشرون إلا بنون الكايلة كقولك تبشروني.

ومن مجاز ما جاءت له معان غير واحد، مختلفة فتأولته الأئمة بلغاتها فجاءت معانيه على وجهين أو أكثر من ذلك، قال: «وَعَدُّوا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ» (٢٥ / ٦٨) ففسروه على ثلاثة أوجه قال بعضهم: على قصد، وقال بعضهم:

على منع، وقال آخرون: على غضب وحقده.

ومن مجاز ما جاء على لفظين وذلك لاختلاف قراءات الأئمة، فجاء تأويله شتى فقراً بعضهم قوله: «إن جاء كُـ

¹ حاشية المحقق على مجاز القرآن: قال: لعل أبا عبيدة استشهد هنا بآية أو أكثر في مجاز الجمل استغناء عن التكرير ولم ترد في النسخ التي وصلتنا.

^٢ حاشية المحقق على مجاز القرآن: فم تبشرون: في التيسير للداني ١٢٦: نافع «فم تبشرون» بكسر التو حذفة، وابن كثير بكسرها مشددة، والباقيون يفتحها.

فَاسِقٌ بِنِيٍّ فَتَبَيَّنُوا أَنَّ تُصَبِّبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ» (٦ / ٤٩) ، وقرأها آخرون: «فَتَبَيَّنُوا» وقرأ بعضهم قوله: «إِذَا صَلَّلْنَا فِي الْأَرْضِ» (١٠ / ٣٢) ، وقرأها آخرون «إِذَا ضَلَّلْنَا فِي الْأَرْضِ» ، صلَّلنا: أُنْتِنَا مِنْ صَلَّ اللَّحْمِ يَصِلُ وقرأ بعضهم: وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ» (٤٥ / ٢٢) ، وقرأها

آخرون: «بَعْدَ أُمَّةٍ» أي نسيان. وقرأ بعضهم «فِي لَوْجٍ مَحْفُوظٍ» (٢٢ / ٨٥) وقرأ آخرون «فِي لَوْجٍ [مَحْفُوظٍ]»^١ أي الهواء.

ومن مجاز الأدوات اللواتي لهن معان في مواضع شتى، فتجىء الأداة منهن في بعض تلك المواضع لبعض تلك المعاني، قال: «أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا» (٢٦ / ٢) معناه فما دونها، وقال: «وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا» (٣٠ / ٧٩) معناه مع ذلك، وقال: «لَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ» (٧١ / ٢٠) معناه: على جذوع النخل، وقال: «إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ» (٢ / ٨٣) معناه:

من الناس، وقال: «هَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ» (٥١ / ٤٣) ، (٥٢) معناه: بل أنا خير.

ومن مجاز ما جاء على لفظين فأعملت فيه الأداة في موضع، وتركت منه في موضع، قال: «وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ» (٣ / ٨٣) معناه: وإذا كالوا لهم أو وزنوا لهم. ومن مجاز ما جاء على ثلاثة ألفاظ فأعملت فيه^٢ أداتان في موضعين وتركنا منه في موضع، قال: «اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» (٥ / ١) ، وإلى الصراط وللصراط.

ومن مجاز ما جاء فيه على لفظين فأعملت فيه أداة في موضع، وتركت منه في موضع، قال: «وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ» (٩٨ / ١٦) وقال: «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ» (١ / ٩٦) .

ومن مجاز ما فيه لغتان فجاء بإحدهما قال: «وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لَعِبْرَةً تُسْقِطُكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ» (١٦ / ٦٦) ، فالأنعام يذكر ويؤنث، وقال: «كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ» (١٠٥ / ٢٦) يقال: هذه قومك، وجاء قومك.

ومن مجاز ما أظهر من لفظ المؤنث ثم جعل بدلا من المذكر فوصف بصفة المذكر بغير الهاء كذلك، قال: «السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ» (١٨ / ٧٣) جعلت السماء بدلا من السقف بمنزلة تذكير سماء البيت.

^١ حاشية المحقق على مجاز القرآن: لوح محفوظ: قال الطبري: واختلفت القراءة في قراءة قوله محفوظ فقرأ ذلك من قرأه من أهل الحجاز أبو جعفر القارئ وابن كثير ومن قرأه من قراء الكوفة عاصم والأعمش وحمة والكسائي ومن البصريين أبو عمر ومحمود خفصا على معنى أن اللوح هو المنوع بالخط، وإذا كان ذلك كذلك كان التأويل في لوح محفوظ من الزيادة فيه والنقصان منه عما أثبت الله فيه. وقرأ ذلك من المكيين ابن محيص ومن المدنيين نافع محفوظ رفعا ردا على القرآن على أنه من نعمته وصفته وكان معنى ذلك على قراءتهما بل هو قرآن مجيد محفوظ من الغير والتبديل في لوح... إلخ (٧٧ / ٣٠) .

واللوح بالضم بمعنى الهواء كما في اللسان (لوح) ، وقال ابن دريد: اللوح بضم اللام: الهواء بين السماء والأرض (الجمهرة ٢ / ١٩٤) .

^٢ حاشية المحقق على مجاز القرآن: (١ - ٢) «فأعملت فيه... إلخ» . يريد أن «هدى» تعدى بالأداتين «إلى» و «اللام» في «الآيتين» : «وَأَنَّكَ تُهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» ، وَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِيَّ هِيَ أَقَوْمُ ، وترك الأداتان في الآية التي ذكرها.

ومن مجاز ما جاء من الكليات في مواضع الأسماء بدلا منها قال: «إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ» (٦٩ / ٢٠) . فعنى «ما» معنى الاسم، مجازه إن صنيعهم كيد ساحر.

ومن مجاز الاثنين المشتركين وهما من شئ أو من غير شئ، ثم خبر عن شئ لا يكون إلا في أحدهما دون الآخر فجعل فيهما أو لهما لما أشرك بينهما في الكلام، قال: «مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ» (١٩ / ٥٥) ، «يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ» (٢٢ / ٥٥) ، وإنما يخرج اللؤلؤ من البحر دون الفرات العذب.^١

ومن مجاز ما جاء من مذاهب وجوه الإعراب، قال: «سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا» (١ / ٢٤) رفع ونصب، وقال: «وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا» (٥ / ٤١) رفع ونصب، وقال: «الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ» (٢ / ٢٤) رفع ونصب.

ومجاز المحتمل من وجوه الإعراب كما قال: «إِنْ هَذَا لَسَاحِرَانِ» (٦٣ / ٢٠) . قال:^٢ وكل هذا جائز معروف قد يتكلمون به.

(بسم الله الرحمن الرحيم) «بسم الله» إنما هو بالله لأن اسم الشيء هو الشيء بعينه، قال لبيد:
إلى الحول ثم اسم السلام عليهما^٣ ... ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر (٨)
«إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ»

(١٧ / ٧٥) : أي تأليفه «فَإِذَا قَرَأْنَاهُ»

(١٨ / ٧٥) أي إذا جمعناه ومجازه مجاز قول عمرو بن كلثوم:

^١ حاشية المحقق على مجاز القرآن: «وإنما ... العذب»: قال الطبري (٦٩ / ٢٧) : وقد زعم بعض أهل العربية (يريد أبو عبيدة) أن اللؤلؤ والمرجان يخرجان من أحد البحرين، ولكن قيل يخرج منهما.
^٢ حاشية المحقق على مجاز القرآن: قال القائل أبو عبيدة.
^٣ حاشية المحقق على مجاز القرآن: «بسم ... عليهما» قال محمد بن زيد الواسطي: كنت في مجلس المبرد فجري ذكر قول أبي عبيد بن سلام محتجا لمذهبه في أن الاسم هو المسمى بقول لبيد وهو مذهب أبي عبيدة. «إلى الحول» البيت. قال أبو عبيد: اسم السلام هاهنا هو السلام كما يقال: هذا وجه الحق يراد هذا الحق فثم وجه الله أي الله، وقال المبرد: غلط أبو عبيد، وأخطأ أبو عبيدة، والذي عندنا أن لبيدا أراد بقوله اسم السلام اسم الله ﷻ وهذا الذي اختاره يختاره أصحابنا فقلت: السلام عندى هاهنا هو اللفظ الموضوع لتقضى الأشياء فتختم بها الرسائل والخطب والكتب والكلام الذي يستوفى معناه فليس لها مسمى غيرها وهو مثل: حسب، وقط، وقد الموضوعات لتقضى الأشياء وختم الكلام فهي اسم لا مسمى له غيره، قال: فأعجب ذلك المبرد واستحسنه وقال لى:
لا عدمتك يا أبا عبد الله فما سرتى بهذه حمر النعم (منتخب المقتبس ٥٩ آ) .

وقال القرطبي (٨٦ / ١) : ذهب أبو عبيدة معمر بن المثنى إلى أن «اسم» صلة زائدة واستشهد بقول لبيد.
وأورده في الخزانة (٢ / ٢١٧ - ٢١٨) : على أن لفظ «اسم» مقحم عند بعض النحاة، قال ابن جني في الخصائص: هذا قول أبي عبيدة، وكذلك قال في «بسم الله» ، ونحن نحمل الكلام على أن فيه محذوفا، قال أبو علي: وإنما هو حذف المضاف، أي ثم اسم معنى السلام عليهما، واسم معنى السلام هو السلام، وكأنه قال: ثم السلام عليهما، فالمعنى لعمري ما قاله أبو عبيدة، لكنه من غير الطريق التي أتاه هو منها، ألا تراه هو اعتقد زيادة شئ واعتقدنا نحن نقصان شئ؟ انتهى. وقال ابن السيد البطليوسي في تأليف ألفه في الاسم: تقديره: ثم مسمى السلام عليهما، أي ثم الشيء المسمى سلاما عليهما، فالاسم هو المسمى بعينه، وهما يتواردان على معنى واحد، وذهب أبو عبيدة إلى أن لفظ اسم هنا مقحم، وعند أبي علي فيه مضاف محذوف تقديره: مسمى اسم السلام ... إلخ.

هجان اللون لم تقرأ جنينا^١

أي لم تضمّ في رحمها، ويقال للتي لم تلد: ما قرأت سلى قطّ.

نزل القرآن بلسان عربي مبين، فمن زعم^٢ أن فيه غير العربية فقد أعظم القول، ومن زعم أن «طه» (٢٠) بالنبطية فقد أكبر، وإن لم يعلم ما هو، فهو افتتاح كلام وهو اسم للسورة وشعار لها. وقد يوافق اللفظ اللفظ ويقار به ومعناها واحد وأحدهما بالعربية والآخر بالفارسية أو غيرها. فمن ذلك الإستبرق بالعربية، وهو الغليظ من الديباج، والفرد، وهو بالفارسية إستبره وكوز وهو بالعربية جوز وأشباه هذا كثير. ومن زعم أن «جِجَارَةٌ مِنْ سِجِّيلٍ» (١٠٥ / ٤) بالفارسية فقد أعظم، من قال: إنه سنك وكل إنما السجيل الشديد.

والقرآن: اسم كتاب الله، لا يسمّى به غيره من الكتب، وذلك لأنه جمع وضمّ السور ومجازه من قوله: «إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ»

(١٨ / ٧٥) ، أي تأليف بعضه إلى بعض، «فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ»

وسمّي الفرقان لأنه يفرق بين الحق والباطل والمؤمن والكافر.

ففي القرآن ما في الكلام العربيّ من الغريب والمعاني، ومن المحتمل من مجاز ما اختصر، ومجاز ما حذف، ومجاز ما كفّ عن خبره، ومجاز ما جاء لفظه لفظ الواحد ووقع على الجميع، ومجاز ما جاء لفظه لفظ الجميع ووقع معناه على الاثنين، ومجاز ما جاء لفظه خبر الجميع على لفظ خبر الواحد، ومجاز ما جاء الجميع في موضع الواحد إذا أشرك بينه وبين آخر مفرد، ومجاز ما خبر عن اثنين أو عن أكثر من ذلك، فجعل الخبر للواحد أو للجميع وكفّ عن خبر الآخر، ومجاز

ما خبر عن اثنين أو أكثر من ذلك، فجعل الخبر للأول منهما، ومجاز ما خبر عن اثنين أو عن أكثر من ذلك، فجعل الخبر للآخر منهما، ومجاز ما جاء من لفظ خبر الحيوان والموات على لفظ خبر الناس والحيوان كل ما أكل من غير الناس وهي الدواب كلّها، ومجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الغائب ومعناه مخاطبة الشاهد، ومجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الشاهد، ثم تركت وحوّلت مخاطبته هذه إلى مخاطبة الغائب، ومجاز ما يزداد من حروف الزوائد ويقع مجاز الكلام على إلقاءه، ومجاز المضمّر استغناء عن إظهاره، ومجاز المكرر للتوكيد، ومجاز المجمل استغناء عن كثرة التكرير، ومجاز المقدّم والمؤخّر، ومجاز ما يحوّل من خبره إلى خبر غيره بعد أن يكون من سببه، فيجعل خبره للذي من سببه ويترك هو. وكل هذا جائز قد تكلموا به.

^١ حاشية المحقق على مجاز القرآن: والبيت هو السادس في الجزء الثاني من ديوانه رقم ٢١- وهو في الطبري ١ / ٣٩، القرطبي ٨ / ٢٢٤.

^٢ حاشية المحقق على مجاز القرآن: (٥ - ٨) «فمن زعم ... إلخ»: روى السيوطي في المزهري (١ / ٦٦) هذا الكلام عنه ثم قال: ثم ذكر أبو عبيدة: «البالغاء» وهي الأكلار، وذكر «القمنجر» الذي يصلح القمي، وذكر «الدهست» والدهشت والخيم والسخت»، ثم قال: وذلك كله من لغات العرب وإن وافقه في لفظه ومعناه شيء من غير لغاتهم.

وانظر أيضا مبالغة أبي عبيدة والشافعي وغيرهما في إنكارهم وقوع العرب في القرآن في الرسالة للشافعي ٤٠ - ٥٠، والمعرب للجواليقي ٤، وفتح الباري ٨ / ١٩٠ [.....]

مقدمة ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) لكتابه «تفسير غريب القرآن»

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري:

نَفَتْحُ كِتَابَنَا هَذَا بِذِكْرِ أَسْمَاءِ الْحُسْنَى، وَصِفَاتِهِ الْعُلَا^١؛ فَخُبِرُ بِتَأْوِيلِهِمَا وَاشْتِقَاقِهِمَا؛ وَتَبِعُ ذَلِكَ أَلْفَاظًا كَثِيرًا تَرَدَّدَتْ فِي الْكِتَابِ لَمْ تَرَبَعْ السُّورَ أَوَّلَى بِهَا مِنْ بَعْضٍ؛ ثُمَّ نَبْتَدِئُ فِي تَفْسِيرِ غَرِيبِ الْقُرْآنِ، دُونَ تَأْوِيلِ مُشْكَلِهِ: إِذْ كَا قَدْ أَفْرَدْنَا لِلْمَشْكَالِ كِتَابًا جَامِعًا كَافِيًا، بِحَمْدِ اللَّهِ.

وَعَرَضْنَا الَّذِي امْتَثَلْنَاهُ فِي كِتَابِنَا هَذَا: أَنْ نَخْتَصِرَ وَنُكَلِّ، وَأَنْ نَوْحَّجَ وَنُجَلِّ؛ وَأَنْ لَا نَسْتَشْهَدَ عَلَى اللَّفْظِ الْمُبْتَدِّلِ، وَلَا نُكْثِرَ الدَّلَالََةَ عَلَى الْحَرْفِ الْمُسْتَعْمَلِ؛ وَأَنْ لَا نَحْشُوْ كِتَابَنَا بِالنَّحْوِ وَبِالْحَدِيثِ وَالْأَسَانِيدِ. فَإِنَّا لَوْ فَعَلْنَا ذَلِكَ فِي نَقْلِ الْحَدِيثِ: لَاحْتَجْنَا إِلَى أَنْ نَأْتِيَ بِتَفْسِيرِ السَّلَفِ - رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ - بَعِينَهُ؛ وَلَوْ أَتَيْنَا بِتِلْكَ الْأَلْفَاظِ كَانَ كِتَابُنَا كَسَائِرِ الْكُتُبِ الَّتِي أَلْفَهَا نَقْلُ الْحَدِيثِ؛ وَلَوْ تَكَلَّفْنَا بَعْدَ اقْتِصَاصِ اخْتِلَافِهِمْ، وَتَبْيِينَ مَعَانِيهِمْ، وَفَتْحَ جَمَلِهِمْ بِالْفَاظِنَا، وَمَوْضِعَ الْاخْتِيَارِ مِنْ ذَلِكَ الْاِخْتِلَافِ، وَإِقَامَةَ الدَّلَائِلِ عَلَيْهِ، وَالْإِخْبَارَ عَنِ الْعِلَّةِ فِيهِ -: لَأَسْهَبْنَا فِي الْقَوْلِ، وَأَطْلَنَّا الْكِتَابَ؛ وَقَطَعْنَا مِنْهُ طَمَعَ الْمُتَحَفِّظِ، وَبَاعَدْنَاهُ مِنْ بَغْيَةِ الْمُتَأَدِّبِ؛ وَتَكَلَّفْنَا مِنْ نَقْلِ الْحَدِيثِ، مَا قَدْ وَقَفْنَا وَكُفِينَاهُ. وَكِتَابُنَا هَذَا مُسْتَنْبَطٌ مِنْ كُتُبِ الْمُفَسِّرِينَ، وَكُتُبِ أَصْحَابِ اللُّغَةِ الْعَالَمِينَ. لَمْ نَخْرُجْ فِيهِ عَنْ مَذَاهِبِهِمْ، وَلَا تَكَلَّفْنَا فِي شَيْءٍ مِنْهُ بَارَأْنَا غَيْرَ مَعَانِيهِمْ، بَعْدَ اخْتِيَارِنَا فِي الْحَرْفِ أَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي اللُّغَةِ، وَأَشْبَهَهَا بِقِصَةِ الْآيَةِ.

وَنَبْذَنُ مِنْكَرَ التَّأْوِيلِ، وَمَنْحُولَ التَّفْسِيرِ. فَقَدْ نَحَلَ قَوْمُ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾^٢ إِنَّهَا غُورَتْ؛ مِنْ قَوْلِ النَّاسِ بِالْفَارْسِيَّةِ: كُورٌ يَكْرُدُ^٣.

^١ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: العلا: جمع العليا، كما في اللسان ١٩/٣١٨.

^٢ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة التكوين ١.

^٣ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: في اللسان ٦/٤٧٢ - ٤٧٣ "كور يكر" وانظر الدر المنثور ٦/٣١٨، والبحر المحيط ٨/٤٣١.

وقال آخر في قوله: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾^١ أراد سَلْبِي سَبِيلًا إليها يا محمد.

وقال الآخر في قوله: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾^٢ إن الويل: وادٍ في جهنم.

وقال الآخر في قوله: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾^٣ إن الإبل: السحاب.

وقال الآخر في قوله: ﴿ثُمَّ لِنُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾^٤ -: إن النعيم: الماء الحار في الشتاء.

وقال الآخر في قوله: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾^٥ -: إن الزينة: المشط.

وقال آخر في قوله: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾^٦ إنها الآرَابُ التي يَسْجُد عليها المرء؛ وهي جبهته ويداها، وركبته وقدماه.

وقال الآخر في قوله: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾^٧ أن تُجعل كل واحدة منهما ذِكْرًا، يريد: أنهما يقومان مقام رجل، فإحدهما تذكّر الأخرى.

مع أشباه لهذا كثيرة؛ لا ندري: أمّن جهة المفسرين لها وَقَعَ الغلط؟ أو من جهة النقلة؟

وبالله نستعين، وإيّاها نسأل التوفيق للصواب.

اشْتِقَاقُ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ، وَأَظْهَارُ مَعَانِيهَا

١- "الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ": صفتان مبنيّتان من "الرحمة". قال أبو عبيدة: وتقديرهما: نَدَمَانُ، وَدَيْمٌ^٨.

* * *

٢- ومن صفاته: "السَّلامُ". قال: ﴿السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيِّئُ﴾^٩ ومنه سُمِّيَ الرجل: عبدَ السلام؛ كما يقال: عبدُ الله.

ويرى أهل النظر - من أصحاب اللغة -: أن "السلام" بمعنى السلامة؛ كما يقال: الرِّضَاعُ والرِّضَاعَةُ، واللِّدَاذُ واللِّدَاذَةُ^{١٠}.

قال الشاعر:

نُحِّي بِالسَّلَامَةِ أُمَّ بَكْرٍ ... فَهَلْ لَكَ - بَعْدَ قَوْلِكَ - مِنْ سَلَامٍ؟

فسمى نفسه - جل ثناؤه - "سلامًا": لسلامته ممّا يلحق الخلق: من العيب والنقص، والفناء والموت.

والإِتْقَانُ ١/٢٣٨، والمعرب للجواليقي ٢٨٧.

^١ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة الإنسان ١٨.

^٢ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة المطففين ١.

^٣ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة الغاشية ١٧، وفي اللسان ١٣/٥ "قال أبو عمرو بن العلاء: من قرأها (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت) بالتخفيف، يعني به البعير، لأنه من ذوات الأربع يبرك فيحمل عليه الجمولة، وغيره من ذوات الأربع لا يحمل عليه إلا وهو قائم، ومن قرأها بالثقل، قال: الإبل: السحاب التي تحمل الماء للمطر" وانظر البحر المحيط ٨/٤٦٤ والكشاف ٤/٢٠٧.

^٤ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة التكاثر ٨.

^٥ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة الأعراف ٣١.

^٦ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة الجن ١٨، والقائل هو ابن عطاء، كما في البحر ٨/٣٥٢.

^٧ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة البقرة ٢٨٢.

^٨ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: مجاز القرآن ٢١.

^٩ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة الحشر ٢٣.

^{١٠} حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: في اللسان ١٥/١٨١ "قال ابن قتيبة: يجوز أن يكون السلام والسلامة: لغتين كاللذاذ

واللذاذة، وأنشد - البيت - قال: ويجوز أن يكون السلام جمع سلامة".

قال الله جل وعز: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾^١ ، فالسلام: الله؛ ودأره: الجنة. يجوز أن يكون سماها "سلاما": لأن الصائر إليها يسلم فيها من

كل ما يكون في الدنيا: من مرض ووصب، وموت وهرم، وأشباه ذلك. فهي دار السلام. ومثله: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^٢ .

ومنه يقال: السلام عليكم. يراد: اسم السلام عليكم. كما يقال: اسم الله عليكم. وقد بين ذلك لبيد، فقال:

إِلَى الْحَوْلِ، ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا ... وَمَنْ يَكِ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اعْتَدَرَ^٣

ويجوز أن يكون [معنى] "السلام عليكم": السلامة لكم. وإلى هذا المعنى، يذهب من قال: "سلام الله عليكم، وأقربى فلاناً سلام الله".

وقال: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّينَ ۖ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّينَ﴾^٤ ؛ يريد: فسلامة لك منهم؛ أي: يُخبرك عنهم بسلامة. وهو معنى قول المفسرين.

ويسمى الصواب من القول "سلاما": لأنه سلم من العيب والإثم. قال: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^٥ ؛ أي: سداداً من القول. * * *

٣- ومن صفاته: "القيوم" و"القيام". وقرئ بهما جميعاً.

وهما "فِعْعُولٌ" و"فِعْعَالٌ"^٦ . من "قَتَّ بالشيء": إذا وَلَيْتَهُ. كأنه القَمَّ بكل شيء. ومثله في التقدير قولهم: ما فيها ديور وديار^٧ .

٤- ومن صفاته: "سُبُوحٌ".

وهو حرف مبني على "فُعُول"؛ من "سَبَّحَ الله": إذا نزهه وبرَّاه من كل عيب.

ومنه قيل: سبحان الله؛ أي: تنزيهاً لله، وتبرئاً له من ذلك.

ومنه قوله: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾^٨ .

^١ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة يونس ٢٥.

^٢ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة الأنعام ١٢٧.

^٣ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: خزاعة الأدب ٢/٢١٧، وجمع البيان ١/٢٠، ومجاز القرآن ١٦، وتفسير القرطبي ١/٩٨.

^٤ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: نقله أبو جعفر الطبري في تفسيره بنصه ١٥/٤٠ - ٤١.

^٥ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة الواقعة ٩٠ - ٩١.

^٦ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة الفرقان ٦٣، وانظر مفردات الراغب ٢٢٩.

^٧ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: مفردات الراغب ٤٢٩.

^٨ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: في اللسان ٥/٣٨٥ "ما بالدار دُورِي ولا ديار ولا ديور، على إبدال الواو من الياء، أي ما

بها أحد".

^٩ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة الجمعة ١، وسورة التغابن ١.

وقال الأعشى:

أَقُولُ لَمَّا جَاءَنَا نَخْرُهُ ... سُبْحَانَ مَنْ عَلَقَمَةَ الْفَاحِرِ

أراد: التبرؤ من علقمة. وقد يكون تعجب [بالتسييح من نخره؛ كما يقول القائل إذا تعجب] من شيء: سبحان الله.

فكأنه قال: عجباً من علقمة الفاحر.

* * *

٥- ومن صفاته: "قُدُّوسٌ".

وهو حرف مبني على "فُعُول"؛ من "الْقُدُس" وهو: الطهارة.

ومنه قيل: "الأَرْضُ الْمُقَدَّسَةُ"^٢؛ يراد: المطهرة بالتبريك. ومنه قوله حكاية عن الملائكة: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ

وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾^٣؛ أي: نُسَبِّحُ

إلى الطهارة. و"نُقَدِّسُكَ" ونُقَدِّسُ لَكَ" و"نُسَبِّحُكَ" بمعنى واحد.

وحَظِيرَةُ الْقُدُس - فيما قاله أهل النظر - هي: الجنة، لأنها موضع الطهارة من الأدناس التي تكون في الدنيا: من الغائط والبول والحيض، وأشباه ذلك.

* * *

٦- ومن صفاته: "الرَّبُّ".

والرب: المالك. يقال: هذا رَبُّ الدار، وَرَبُّ الضَّيْعَةِ، وَرَبُّ الغلام. أي: مالِكُهُ؛ قال الله سبحانه: ﴿ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾^٤؛ أي: إلى سَيِّدِكَ.

ولا يقال لخلوق: هذا الرب؛ معرِّفاً بالألف واللام؛ كما يقال لله. إنما يقال: هذا رَبُّ كذا. فيعرِّفُ بالإضافة. لأن الله مالِكُ كل شيء. فإذا قيل: الربُّ؛ دلَّت الألف واللام على معنى العموم. وإذا قيل لخلوق: رَبُّ كذا وربُّ كذا؛ نُسب إلى شيء خاص: لأنه لا يَمْلِكُ [شيئاً] غيره.

ألا ترى أنه قيل: "الله"؛ فالزم الألف واللام: لِيُدلَّ بها على أنه إلهُ كل شيء. وكان الأصل: "الإلاه". فتركت الهمزة: لكثرة ما يجري ذكره ﷻ على الألسنة؛ وأدغمت لام المعرفة في اللام التي لقيتها؛ ونُحِمَّتْ وأُشْبِعَتْ حتى طَبَّقَ اللسانُ بها الحَنَك: لفخامة ذكره ﷻ؛ وَلِيُفَرِّقَ أيضاً - عند الابتداء بذكره - بينه وبين اللات [والعزى] .

* * *

٧- ومن صفاته: "الْمُؤْمِنُ".

^١ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: اللسان ٣/٢٩٩، ومفردات الراغب ٢٢٠، وسيبويه ١/١٦٣، وخزانة الأدب ١/٨٩، ٢/٤١، ٣/٢٤٧، ٢٥١، وتفسير القرطبي ١/٢٧٦، وتفسير الطبري ١/٤٧٤، والصاحح ١/٣٧٢، والبيت في شأن علقمة بن علاثة الصحابي.

^٢ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: راجع تفسير الطبري ١/٤٧٥، ومفردات الراغب ٤٠٥، وفي سورة المائدة ٢١: (يا قوم

ادخلوا الأرض المقدسة).

^٣ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة البقرة ٣٠.

^٤ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة يوسف ٥٠.

وأصل الإيمان: التصديق. قال: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾

١ ؛ أي: وما أنت بمصدق ولو كنا صادقين. ويقال [في الكلام]: ما أومن بشيء مما تقول؛ أي: ما أصدق بذلك. فإيمان العبد بالله: تصديقه قولاً وعملاً وعقداً. وقد سمي الله الصلاة - في كتابه - إيماناً، فقال: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ﴾^٢ ؛ أي: صلاتكم إلى بيت المقدس.

فالعبد مؤمن، أي: مصدق مُحقق. والله مؤمن، أي: مصدق ما وعده ومحققه، أو قابل إيمانه.

وقد يكون "المؤمن" من "الأمان" ؛ أي: لا يأمن إلا من آمنه [الله].

وقد ذكرت الإيمان ووجهه، في كتاب "تأويل المشكل"^٣.

وهذه الصفة - من صفات الله جل وعز - لا تتصرف تصرف غيرها؛ لا يقال: أَمِنَ اللهُ؛ كما يقال: تقدس الله. ولا يقال: يؤمنُ اللهُ؛ كما يقال: يتقدس اللهُ.

وكذلك يقال: تعالى اللهُ. وهو تفاعلٌ من "العلو". و"تبارك اللهُ" هو تفاعلٌ من "البركة" و"الله مُتَعَالٍ". ولا يقال: مُتَبَارَكٌ. لم نسمعه.

وإنما ننهي في صفاته إلى حيث انتهى؛ فإن كان قد جاء من هذا شيء - عن الرسول صلى الله عليه وعلى آله، أو عن الأئمة -: جاز أن يطلق، كما أُطلق غيره.

٨- ومن صفاته: "المُهِمِّنْ".

وهو: الشهيد. قال الله: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهِمِّنًا عَلَيْهِ﴾^٤ ؛ أي: شاهداً عليه. هكذا قال ابن عباس في رواية أبي صالح عنه.

وروى عنه - من غير هذه الجهة - أنه قال: "أميناً عليه"^٥.

وهذا أعجب إليّ؛ وإن كان التفسيران متقاربين. لأن أهل النظر - من أصحاب اللغة - يرون: أن "مُهِمِّنًا" اسم مبني من "أَمَنَ"^٦ ؛ كما بُني "بَطِرٌ" و"مُبيطِرٌ" و"بيطارٌ" من "بَطَرٌ". قال الطرماح:

^١ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة يوسف ١٧.

^٢ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة البقرة ١٤٣، وانظر البخاري ١٣/١، وسنن أبي داود ٤/٢٢٠.

^٣ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: راجع تأويل مشكل القرآن ٣٦٧.

^٤ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة المائدة ٤٨.

^٥ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: راجع سائر الروايات عن ابن عباس في الدر المنثور ٢/٢٨٩ - ٢٩٠.

^٦ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: في اللسان ١٧/٣٢٧ "والمهمين الشاهد، وهو من آمن غيره من الخوف. وأصله "أَمَنَ"

فهو "مؤمن" بهمزة، قلبت الهمزة الثانية ياء كراهة اجتماعهما، فصار "مؤمن" ثم صيرت الأولى هاء، كما قالوا: هراق وأراق. وقال بعضهم

"مهمن" معنى "مؤمن" والهاء بدل من الهمزة، كما قالوا: هرقت وأرقت، وكما قالوا: إِيَّاكَ وَهِيَاكَ. قال الأزهري: وهذا على قياس العربية صحيح

مع ما جاء في التفسير أنه بمعنى "الأمين" وقيل: بمعنى "مؤمن".

كَبَزَغَ الْبَطِيرُ الثَّقَفَ رَهْصَ الْكُوَادِنِ^١
وقال النابغة:

شَكَ الْمُبِيطِرُ إِذْ يَشْفِي مِنَ الْعَضْدِ^٢

وكان الأصل، "مُؤْمِنٌ"؛ ثم قلبت الهمزة هاء: لُقِرْبَ مَخْرَجِهِمَا؛ كما تُقَلَّبُ فِي "أَرَقْتُ الْمَاءَ"، فيقال: هَرَقْتُ الْمَاءَ. وقالوا: ماءٌ مُهْرَاقٌ؛ والأصل: ماءٌ مُرَاقٍ. وقالوا: "إِبْرِيَّةٌ وَهْبَرِيَّةٌ، وَأَيَّاهُ وَهْبَاهُ، وَإِيَّاكَ وَهْيَاكَ". فأبدلوا من الهمزة هاء. وأنشد الأَخْفَشُ:

فَهْيَاكَ وَالْأَمْرَ الَّذِي إِنْ تَوَسَّعَتْ ... مَوَارِدُهُ، ضَاقَتْ عَلَيْكَ مَصَادِرُهُ^٣
* * *

و"أَمِينٌ" اسم من أسماء الله. وقال قوم من المفسرين - في قول المصلي بعد فراغه من قراءة أم الكتاب: "أَمِينٌ" -:
[أَمِينٌ] قُصِرَ مِنْ^٤ ذلك؛ كأنه قال: يا الله؛ وأضمر "استجب لي" -: لأنه لا يجوز أن يظهر هذا في هذا الموضع من الصلاة؛ إذ كان كلاماً. - ثم تُحذف ياء النداء.

وهكذا يختار أصحاب اللغة في "أَمِينٌ": أَنْ يَقْصُرُوا الْأَلْفَ، وَلَا يُطَوِّلُوا. وأنشدوا فيه:

تَبَاعَدَ مِنِّي فَطَحْلٌ إِذْ سَأَلْتُهُ ... أَمِينٌ، فَزَادَ اللَّهُ مَا بَيْنَنَا بَعْدَهُ

ويفتحونها: لانفرادها، وانقطاعها عما يضم فيها: من معنى النداء. حتى صارت عندهم معنى "كذلك فعل الله". وقد أجازوا أيضاً "أَمِينٌ" مطوّلة الألف. وحكوها عن قوم فصحاء.

وأصلها: "يا أَمِينٌ" بمعنى: يا الله. ثم تُحذف همزة "أَمِينٌ" استخفافاً لكثرة ما تُجْرَى هذه الكلمة على ألسنة الناس. ومُخْرِجُهَا مَخْرَجُ "أَزِيدٌ". يريد: يا زَيْدٌ. و"أَرَاكَبُ" يريد: يا رَاكِبٌ. وقد سمعنا من فصحاء العرب: "أَخِيثُ"؛ يريدون: يا خَيْثُ.

وفي ذلك قولٌ آخر؛ يقال: إنَّما مدت الألف فيها، ليطول بها الصوتُ.

^١ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: ديوان الطرماع ١٧٢، واللسان ٥/١٣٥، ١٠/٣٠٠، وصدره: "يساقطها ترى بكل خميلة"

يصف ثورا طعن الكلاب بقرنيه. والبطر: الشق، وبه سمي البيطار بيطاراً، والبطير والبيطر والبيطر مثل هزبر، والمبيطر: معالج الدواب. والثقف: الحاذق. والرهص: جمع رهصة، وهي مثل الورقة، وهي أن يدوى حافر الدابة من حجر تطؤه. والكوادن: البرازين.

^٢ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: ديوانه ٢٧، واللسان ٤/٢٨٦، ٥/١٣٦، وصدره: "شك الفريضة بالمدري فأفذهها" والمدري هنا: قرن الثور. يريد أنه ضرب بقرنه فريضة الكلب، وهي اللحمية التي تحت الكتف التي ترعد منه ومن غيره. والعضد: داء يأخذ الإبل في أعضادها.

^٣ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: البيت غير منسوب في اللسان ٢٥٣/٢٠، ٣٢٢.

^٤ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: في اللسان عن الزجاج في قول القاري بعد الفراغ من فاتحة الكتاب: أَمِينٌ، فيه لغتان. تقول العرب: أَمِينٌ يَقْصُرُ الْأَلْفَ، وَأَمِينٌ بِالْمَدِّ ... وذكر شاهداً على لغة من مد، وهو قول عمر بن أبي ربيعة:

يا رب لا تسلبني حبها أبداً ... ويرحم الله عبداً قال آمينا

^٥ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: في اللسان ١٦/١٦٧ "روى ثعلب: فطحل بضم الفاء والحاء - أراد زاد الله ما بيننا بعداً، آمين" وفيه ٤٣/١٤ "فطحل إذ رأيته" ونقل عن الجوهري قوله: "فطحل - بفتح الحاء - اسم رجل".

كما قالوا: "أَوْه" مقصورة الألف، ثم قالوا: "أَوْه" [ممدودة] . يريدون تطويل الصوت بالشكاية. وقالوا: "سقط على حاقٍ رأسه"؛ أي: على حَقِّ رأسه^١ . وكذلك "آمين": أرادوا تطويل الصوت بالدعاء. وهذا أعجب إليَّ.

وأما قول العباس بن عبد المطلب، في مدح رسول الله ﷺ: حَتَّى احْتَوَى بَيْتَكَ الْمُهِيمُنْ مِنْ ... خِنْدِفٍ، عَلِيَاءَ تَحْتَهَا النُّطْقُ^٢ فإنه أراد: حتى احتويت - يا مهيمن - من خندفٍ علياء؛ فأقام البيتُ مقامه: لأن بيته إذا حلَّ بهذا المكان، فقد حل هو به. وهو كما يقال: بيته أعرُّ بيتٍ. وإنما يراد: صاحبه. قال النابغة: وَحَلَّتْ بِيُوتِي فِي يَفَاعٍ مُنْعَجٍ ... تَحَالُّ بِهِ رَاعِي الْجُمُوعِ طَائِرًا^٣ ولم يكن بيته في جبل بهذه الصفة؛ إنما أراد: أني تمتنع على من أرادني، فكأنني حلت في يفاعٍ مُنْعَجٍ.

٩- ومن صفاته: "الغفور". وهو من قولك: "غَفَرْتُ الشَّيْءَ": إذا غَطَّيْتَهُ. كما يقال: "كَفَرْتُهُ": إذا غَطَّيْتَهُ. ويقال: كَذَا أَغْفَرُ مِنْ كَذَا؛ أي: أَسْتُرُّ. و"غَفَرُ الْخَزْرِ وَالصَّوْفِ" ما علا فوق الثوب منها: كالزَّيْبِر. سمي "غفرا": لأنه ستر الثوب. ويقال لجنَّة الرأس: "مِغْفَرٌ"؛ لأنها تستر الرأس^٤ . فكان "الغفور": الساتر لعبده برحمته، أو الساترُ لذنوبه. ونحوُ منه قولهم: "تَعَمَّدَنِي بِرَحْمَتِكَ"؛ أي: أَلْبَسَنِي إِيَّاهَا. ومنه قيل: "غَمَدُ السَّيْفِ"؛ لأنه يُغَمَدُ فيه، أي: يُدْخَلُ.

١٠- ومن صفاته: "الواسع". وهو الغنيُّ. وَالسَّعَةُ: الْغِنَى. قال الله [: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾^٥ أي] : يعط من سعته.

١١- ومن صفاته: "البارئ".

^١ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: في اللسان ١١/٣٤١ "سقط فلان على حاق رأسه: أي على وسط رأسه".

^٢ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: في أمالي الزجاجي ٤٤، والفائق ٢/٢٨١.

وفي اللسان ١٧/٣٢٧ "وأما قول عباس بن عبد المطلب في شعره يمدح النبي.. فإن القتيبي قال: معناه: حتى احتويت يا مهيمن من خندف العلياء، يريد به النبي ﷺ، فأقام البيت مقامه؛ لأن البيت إذا حل بهذا المكان فقد حل به صاحبه. قال الأزهري: وأراد بيته: شرفه، والمهيمن من نعته، كأنه قال: حتى احتوى شرفك الشاهد على فضلك علياء الشرف من نسب ذوي خندف أي ذروة الشرف من نسبهم التي تحتها النطق، وهي أوساط الجبال العالية. جعل خندف نطقاً له. قال ابن بري في تفسير قوله: بيتك المهيمن -: أي بيتك الشاهد بشرفك. وقيل: أراد بالبيت: نفسه؛ لأن البيت إذا حل فقد حل به صاحبه."

^٣ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: ديوانه ٥٦ "يخال" وعجزه في اللسان ١٣/١٩٠، واليفاع المشرف من الأرض والجبل. والحوّل: الإبل بأثقالها.

^٤ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: في اللسان ٦/٢٣٠ "والمغفر والغفارة: زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القنسوة".

^٥ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة الطلاق ٥٧.

ومعنى "البارئ": الخالق. يقال: برأ الله الخلقَ يبرؤُهُم.

و"البريء": الخلق. وأكثر العرب والقراء: على ترك همزها؛ لكثرة ما جرت على الألسنة. وهي "فَعِيلَةٌ" بمعنى "مَفْعُولَةٌ".

ومن الناس من يزعم: أنها مأخوذة من "برئتُ العود".

ومنهم من يزعم: أنها من "البرى"، وهو: التراب أي: خُلق من التراب. وقالوا: لذلك لم يهمز.

وقد بينت هذا في كتاب "القراءات" ^١ وذكرت موضع الأخبار منه.

١٢- ومثلُ البارئ: "الذَّارِئُ".

وهو: الخالق. يقال: ذرأ الله الخلق. وقال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا﴾ ^٢ أي: خلَقْنَا. و"الذَّريَّةُ" منه؛ لأنها خلق الله من الرجل.

وأكثر القراء والعرب: على ترك همزها؛ لكثرة ما يتكلم بها.

ومنهم من يزعم: أنها من "ذروت" أو "ذريت".

١٣- ومن صفاته ما جاء على "فَعِيلٍ" بمعنى "فَاعِلٍ"؛ نحو: "قَدِيرٌ" بمعنى "قَادِرٌ"، و"بَصِيرٌ" بمعنى "بَاصِرٌ"، و"سَمِيعٌ" بمعنى "سَامِعٌ"، و"حَفِيفٌ" بمعنى "حَافِظٌ" و"بَدِيءٌ" بمعنى: "بَادِئُ الخلق"، و"شَهِيدٌ" بمعنى "شَاهِدٌ"، و"عَلِيمٌ" بمعنى "عَالِمٌ"، و"رَقِيبٌ" بمعنى "رَاقِبٌ" - وهو: الحافظ - و"كَفِيلٌ" بمعنى "كَافِلٌ"، و"خَبِيرٌ" بمعنى "خَابِرٌ"، و"حَكِيمٌ" بمعنى "حَاكِمٌ"، و"مُجِيدٌ" بمعنى "مَاجِدٌ" وهو: الشريف.

١٤- ومن صفاته ما جاء على "فَعِيلٍ" بمعنى "مُفْعِلٍ"؛ نحو:

"بَصِيرٌ" بمعنى "مُبْصِرٌ"، و"بَدِيعُ الخلقِ" بمعنى "مُبْدِعُ الخلق". كما قالوا: "سَمِيعٌ"؛ بمعنى مُسْمِعٍ. قال عمرو بن معديكرب:

أَمِنْ رِيحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ ^٣

و"عَذَابُ أَلِيمٌ" أي: مؤلِّمٌ، و"ضَرْبٌ وَجِيعٌ" أي: مُوجِعٌ.

^١ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: هذا النص يدل على أنه ألف كتاب القراءات قبل هذا الكتاب، وقد ذكره في تأويل مشكل القرآن ٤٥ فقال: "وستراه كله في كتابنا المؤلف في وجوه القراءات، إن شاء الله" ولم يكن هذا النص كافياً للقطع بأنه قد فرغ من تأليفه.

^٢ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة الأعراف ١٧٩.

^٣ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: صدره:

"أمن ريحانة الداعي السميع"

وريحانة هي أخت عمرو كما قال ابن قتيبة في الشعر والشعراء ١/ ٣٣٢، والبيت في الخزنة ٣/ ٤٦٠، والأغاني ١٤/ ٣٥، ٣٣، واللسان

١٠/ ٢٨، والأصمعيات ١٩٨، والصحاح ٣/ ١٢٣٣، وتأويل مشكل القرآن ٢٢٩.

[ومنه] : ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾^١ ؛ أي: كافيًا. من قولك: "أَحْسَبَنِي هذا الشيء"، أي: كفاني^٢ .
 و"اللَّهُ حَسِيبِي وحسيبك" أي: كافينا؛ أي: يكون حَكَمًا بيننا كافيًا. قال الشاعر:
 وَنُقْنِي وَلِيدَ الْحَيِّ إِنْ كَانَ جَائِعًا ... وَنُحْسِبُهُ: إِنْ كَانَ لَيْسَ بِجَائِعٍ^٣
 أي: نُعْطِيهِ ما يكفيه، حتى يقول: حَسِيبِي.

وقال بعض المفسرين -في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ -: أي مُحَاسِبًا. وهو -على هذا التأويل- في مذهب "جليس" و"أَكِيل" و"شَرِيب" و"نَدِيم" و"فَعِيد".

* * *

١٥- ومن صفاته ما جاء على "فَعِيلٍ": لا يكون منها غير لفظها؛ نحو:
 "قَرِيب" و"جَلِيل" و"حَلِيم" و"عَظِيم" و"كَبِير" و"كَرِيم" -وهو الصَّفُوح عن الذنوب- و"وَكِيل" وهو الكَفِيل. قال:
 ﴿وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾^٤ ﴿وَكُنْ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾^٥ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾^٦ ؛ أي: اجعله كَافِلَكَ، واعتمد على كفالته لك. ووكيل الرجل في ماله هو الذي كَفَلَه له، وقام به.

* * *

١٦ - ومن صفاته: "الْوَدُودُ".
 وفيه قولان. يقال: هو "فَعُولٌ" بمعنى "مَفْعُولٌ"؛ كما يقال: رجل هَيُوبٌ؛ أي مَهَبٌ، يراد به: مَوْدُودٌ.
 ويقال: هو "فَعُولٌ" بمعنى "فَاعِلٌ" كقولك: غفورٌ؛ بمعنى غافر. أي: يودُّ عباده الصالحين.
 وقد تأتي الصفة بالفعل لله ولعبده، فيقال: "العبدُ شَكُورٌ لله" أي: يشكر نعمه. و"اللهُ شَكُورٌ للعبد" أي: يشكر له عمله. و"العبدُ تَوَّابٌ إلى الله من الذنب"، و"اللهُ تَوَّابٌ عليه".

* * *

١٧- و"كِبْرِيَاءُ اللَّهِ": شَرَفُهُ. وهو من "تَكَبَّرَ": إذا أَعْلَا نفسه.
 ١٨- و"جَدُّ اللَّهِ": عَظَمَتُهُ. ومنه قوله: ﴿تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾^٧ .
 ومنه يقال في افتتاح الصلاة: "تَبَارَكَ اسْمُكَ، وتَعَالَى جَدُّكَ"^٨ .
 يقال: جَدُّ الرجلُ في صدور الناس وفي عيونهم، إذا عَظُمَ. ومنه قول أنسٍ: "كان الرجلُ إذا قرأ البقرة وآلَ

^١ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة النساء ٨٦.

^٢ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: عن مجاز القرآن ١/ ١٣٥.

^٣ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: البيت غير منسوب في الصحاح ١/ ١١٠، واللسان ٢٠/ ٥٩، وفيه ١/ ٣٠٢ لامرأة من

بني قشير "وقوله: نَقْفِيهِ، أي تؤثره بالقفية، ويقال لها: القفاوة أيضا، وهي ما يؤثر به الضيف والضيء".

^٤ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة القصص ٢٨.

^٥ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة النساء ٨١، ١٣٢، ١٧١، وسورة الأحزاب ٣، ٤٨.

^٦ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة هود ١٢٣.

^٧ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة الجن ٣.

^٨ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: في اللسان ٤/ ٧٨ "أي علا جلالك وعظمتك".

عمران، جَدَّ فِينَا^١ ؛ أَي: عَظُمَ.

١٩- و "بِحَمْدِ اللَّهِ": شَرَفُهُ، وَكَرَمُهُ.

٢٠- و "جَبَّوْتُهُ": تَجَبَّرَهُ؛ أَي تَعَظَّمَهُ.

٢١- و "مَلَكُوْتُهُ": مُلْكُهُ. وَيُقَال: دَارُ مُلْكِهِ.

وزيدتُ التَّاءَ فِيهِمَا، كَمَا زِيدَتْ فِي "رَهْبُوتٍ" و "رَحْمُوتٍ". تقول العرب: "رَهْبُوتٌ خَيْرٌ مِنْ رَحْمُوتٍ" ؛ أَي: [أَنْ] تُرْهَبَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُرَحَّمَ.

٢٢- و "فَضَّلُ اللَّهِ": عَطَاؤُهُ. وكذلك "مَنَّهُ" هو: عَطَاؤُهُ. يُقَال: اللَّهُ ذُو مَنٍّ عَظِيمٍ. ومنه قوله: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^٢ ؛ أَي أعطَ أَوْ أَمْسَكَ. وقوله: ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾^٣ ؛ أَي: لَا تَعْطِ لِتَأْخُذَ مِنَ الْمَكَافَأَةِ أَكْثَرَ مِمَّا أُعْطِيَتْ.

٢٣- و "حَمْدُ اللَّهِ": الثَّنَاءُ عَلَيْهِ بِصِفَاتِهِ الْحَسَنَى. و "شُكْرُهُ":

الثَّنَاءُ عَلَيْهِ بِنِعْمَةٍ وَإِحْسَانِهِ. تقول: "حَمَدْتُ الرَّجُلَ": إِذَا أَثْنَيْتَ عَلَيْهِ بِكَرَمٍ وَحَسَبٍ وَشَجَاعَةٍ: وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ؛ و "شَكَرْتُ لَهُ": إِذَا أَثْنَيْتَ عَلَيْهِ بِمَعْرُوفٍ أَوْ لَا كُفٍّ.

وقد يوضعُ الْحَمْدُ موضعَ الشُّكْرِ. وَلَا يوضعُ الشُّكْرُ موضعَ الْحَمْدِ.

٢٤- و "أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى": ٤ الرِّحْمَنُ، وَالرَّحِيمُ، وَالْغَفُورُ، وَالشُّكُورُ؛ وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ.

٢٥- وَالْإِلْحَادُ فِي أَسْمَائِهِ: [الْجَوْرُ عَنِ الْحَقِّ وَالْعَدُولُ عَنْهُ، وَذِكْرُ اللَّاتِ وَالْعُزَّى، وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ].

٢٦- و "مَثَلُهُ الْأَعْلَى"^٦ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَمَعْنَى الْمَثَلِ -هَا هُنَا- مَعْنَى الصِّفَةِ؛ أَي: هَذِهِ صِفَتُهُ. وَهِيَ أَعْلَى مِنْ كُلِّ صِفَةٍ: إِذْ كَانَتْ لَا تَكُونُ إِلَّا لَهُ.

وَمِثْلُ هَذَا -مِمَّا الْمَثَلُ فِيهِ بِمَعْنَى الصِّفَةِ- قَوْلُهُ فِي صِفَةِ أَصْحَابِ رَسُولِهِ: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾^٧ ؛ أَي: صِفَتُهُمْ. وَقَوْلُهُ: ﴿مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾^٨ ؛ أَي: صِفَتُهَا. وَقَدْ بَيَّنْتَ هَذَا فِي كِتَابِ "الْمُشْكَلِ"^٩.

^١ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: في اللسان والفائق ١/ ١٧٧.

^٢ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة ص ٣٩.

^٣ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة المدثر ٦.

^٤ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: التي وردت في سورة الأعراف ١٨٠ والإسراء ١١٠ وطه ٨.

^٥ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: يشير إلى قوله تعالى في سورة الأعراف ١٨٠ (وذو الذين يلحدون في أسمائه).

^٦ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: في سورة النحل ٦٠ (ولله المثل الأعلى) وسورة الروم ٢٧ (وله المثل الأعلى).

^٧ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة الفتح ٢٩.

^٨ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة الرعد ٣٥.

^٩ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: راجع تأويل مشكل القرآن ٣٧٨.

بَابُ تَأْوِيلِ حُرُوفٍ كَثُرَتْ فِي الْكِتَابِ

١- ﴿الجن﴾ من "الاجتنان"، وهو الاستتار. يقال للدرع: جَنَّةٌ؛ لأنها سترت. ويقال: أَجَنَّهُ الليلُ؛ أي: جعله من سواده في جَنَّةٍ؛ وجَنَّ عليه الليلُ.

وإنما سموا جنًّا: لاستتارهم عن أبصار الإنس.

وقال بعض المفسرين في قوله: ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾^١؛ أي: من الملائكة^٢. فسماهم جنًّا: لاجتنانهم واستتارهم عن الأبصار.

وقال الأعشى يذكر سليمانَ النبي ﷺ:

وَسَخَّرَ مِنْ جِنِّ الْمَلَائِكِ تِسْعَةً... قِيَامًا لَدَيْهِ يَعْمَلُونَ بِلاَ أَجْرٍ^٣
* * *

٢- وُسِّمِيَ ﴿الإنس﴾ إنسا: لظهورهم، وإدراكِ البصرِ إياهم. وهو من قولك: آنَسْتُ كذا؛ أي: أبصرتُه. قال الله جل ثناؤه: ﴿إِنِّي أَنَسْتُ نَارًا﴾^٤؛ أي: أبصرت. وقد روي عن ابن عباس، أنه قال: إنما سُمِّيَ إنسانا: لأنه عهد إليه فنسي^٥.

وذهب إلى هذا قوم من أهل اللغة. واحتجوا في ذلك بتصغير إنسان وذلك: أن العرب تُصغره "إنسيان": بزيادة ياء؛ كأن مكبره "إنسيان" -إفعلان- من النسيان؛ ثم تُحذف الياء من مكبره استخفافا: لكثرة ما يجري على اللسان؛ فإذا صُغر رجعت الياء وردت إلى أصله؛ لأنه لا يكثر مصغرا كما يكثر مكبرا. والبصريون يجعلونه "فعلانا" على التفسير الأول. وقالوا: زيدت الياء في تصغيره، كما زيدت في تصغير ليلة، فقالوا: لَيْلِيلَة. وفي تصغير رجل، فقالوا: رُوَيْجِل. * * *

٣- وهما ﴿الثقلان﴾؛ يعني: الجن والإنس. سميا بذلك^٦ لأنهما ثَقُلَتِ الأرض، إذ كانت تحملهم أحياء وأمواتا. ومنه قول الله: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾^٧؛ أي: موتاها. وقالت الخنساء تراثي أخاها:

^١ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة الكهف ٥٠.

^٢ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: راجع اللسان ١٦ / ٢٥١، ويروى عن قتادة وابن عباس أنهما قالوا: إنه كان من قبيل من الملائكة يقال لهم: الجن. وأن ابن عباس قال: لو لم يكن من الملائكة لم يؤمر بالسجود. وقال الحسن البصري: قاتل الله أقواما يزعمون أن إبليس كان من الملائكة، والله يقول: كان من الجن. راجع تفصيل ذلك في الدر المنثور ٤ / ٢٢٧.

^٣ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: البيت له في اللسان ١٦ / ٢٥١ وتأويل مختلف الحديث ٣٥٢.

^٤ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة طه ١٠، وسورة النمل ٧، وسورة القصص ٢٩.

^٥ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: في اللسان ٧ / ٣٠٧.

^٦ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: في اللسان ١٣ / ٩٢ - ٩٣ "وسمى الله تعالى الجن والإنس: الثقلين، سميا ثقلين لتفضيل الله إياها على سائر الحيوان المخلوق في الأرض بالتمييز والعقل الذي خصا به. قال ابن الأنباري: قيل للجن والإنس: الثقلان، لأنهما كالثقل للأرض وعليها".

^٧ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة الزلزلة ٢.

أَبْعَدَ ابْنِ عَمْرٍو مِنْ آلِ الشَّرِّ... دَحَلَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا^١
قالوا: حَلَّتْ مِنَ التَّحْلِيَةِ، لَا مِنْ الْحَلِّ الَّذِي هُوَ ضِدُّ الْعَقْدِ. أَي: حَلَّتْ بِهِ مَوَاتَهَا كَأَنهَا زِينَتُهُمْ بِهِ.
* * *

٤- و ﴿الملائكة﴾ من الألوكة. وهي الرسالة. وهي الملائكة والملائكة، ومنه قالت الشعراء: أَلْكِنِي. أَي أُرْسِلْنِي.
وبمعنى كن رسولي، واحدهم ملك -بترك الهمزة- لكثرة ما يجرى في الكلام، والهمزة في الجمع مؤخره لأنهم
رسل الله.
* * *

٥- و (إبليس) فيه قولان: قال أبو عبيدة: هو اسم أعجمي ولذلك لا يصرف.^٢ وقال غيره: هو "إفعليل" من أَلَسَ
الرجل إذا يَلَسَ. قال الله جل ثناؤه: ﴿أَخَذْنَا هُمْ بِعُقَّتِهِ إِذْ هُمْ يُبْلِسُونَ﴾^٣ أَي: يأسون. [كذلك قال ابن عباس
في رواية أبي صالح عنه] ؛ قال: ولما لعنه الله وغضب عليه أَلَسَ من رحمته أَي: يئس [منها] فسماه [الله ﷻ]
إبليس. وكان اسمه عَزَازِيلَ.
قال: ولم يصرف لأنه لا سَمِيَّ لَهُ فاستقتل.
* * *

٦- و ﴿الشیطان﴾ تقديره فَيَعَال. والنون من نفس الحرف. كأنه من شَطَنَ أَي: بَعْدَ. ومنه يقال شَطَنَتْ دَارُهُ
[أَي: بعدت] وَقَدَفَتْهُ نَوَى [شَطُون] أَي: بعيدة. وشياطين الجن: مَرَدَّتُهُمْ. وكذلك شياطين الإنس: مَرَدَّتُهُمْ [أيضاً]
كأن المارد منهم يخرج عن جملتهم ويبعد [منهم] لتمرُّده. ومثله قولهم: شَاطِرٌ وشُطَّارٌ. لأنهم كانوا يبعدون عن
منازلمهم. فَسَمِيَّ بِذَلِكَ كُلُّ مَنْ فَعَلَ مِثْلَ فَعْلِهِمْ وَإِنْ لَمْ يَعْزُبْ عَنْ أَهْلِهِ. قال طرفة:
في القوم الشُّطْرُءُ
أَي: البعداء.

والدليل على أن النون من شيطان من نفس الحرف قول أمية بن أبي الصلت في وصف سليمان النبي صلى الله
عليه:-

^١ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: ديوان الخنساء ٢٠١، والكامل ٣/ ١٢١٦-١٢١٧، والأغاني ١٣/ ١٤٢-١٤٣ واللسان
٢٢٤/ ٢، وفي ١٣/ ٩٠ عن الفراء "وقول الخنساء.. إنما أراد حلت به الأرض موتها، أي زينتهم بهذا الرجل الشريف الذي لا مثل له،
من الحلية، وكانت العرب تقول: الفارس الجواد تقل على الأرض، فإذا قتل أو مات سقط عنها ثقلها -وأشد بيت الخنساء- أي لما كان شجاعا
سقط بموته عنها ثقل".

^٢ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: مجاز القرآن ٣٨.

^٣ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة الأنعام ٤٤.

^٤ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: في ديوان طرفة ٧٢.

فقداء لبني قيس على ... ما أصاب الناس من سر وضر
خالي والنفس قدما إنهم ... نعم الساعون في القوم الشطر

وفي الخزائن ٤/ ١٠٢ "قال شارح ديوانه: الأعل الشتمري: يقول: نفسي فداء لبني قيس على ما أصاب الناس من أمر يسره أو يضرهم.
والسر والضر: السراء والضراء، وقوله: في القوم الشطر، يعني البعداء من الناس الغرباء، وواحد الشطر: شطير. وأصل الشطير الناحية وكل من
بعد عن أهله فقد أخذ في ناحية من الأرض. يقول: سعيهم في الغرباء أحسن سعي".

أَيُّ شَاطِئِ عَصَاهُ عَكَاهُ... ثُمَّ يَلْقَى فِي السَّجْنِ وَالْأَغْلَالِ^١
فجاء به على فاعل من شطن.

* * *

٧- وقوله ﴿يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ﴾^٢ هو من استيفاء العدد واستيفاء الشيء إذا استقصيته كله. يقال: توفيته واستوفيته. كما يقال: تيقنت الخبر واستيقنته، وثبتت في الأمر واستثبتته. وهذا [هو] الأصل. ثم قيل للموت: وفاة وتوف. والعرب تسمى الدم نفسا لاتصال النفس به على مذهبهم في تسمية الشيء بما اتصل به أو جاوره أو كان سببا له. ويقولون: نفست المرأة: إذا حاضت كأنها دميت. وقال أصحاب اللغة: وإنما سميت المرأة نفساء لسيلان الدم. وقال إبراهيم^٣: كل شيء ليست له نفس سائلة فإنه لا ينجس الماء إذا سقط فيه. يريد كل شيء ليس له دم سائل.

وتسمى العرب النفس نسمة. وأصل النسمة النفس. وروي في بعض الحديث "تَكْبُوا الْغَبَارَ فَإِنْ مِنْهُ تَكُونُ النَّسْمَةُ"^٤ يراد منه يكون النفس. والربو سمي نفساً لأنه عن النفس يكون.

والعرب تقول: مات فلان حتف نفسه، وحتف أنفه إذا مات على فراشه؛ لأنه لا يزال يتنفس حتى يموت فتخرج نفسه نفساً من أنفه وفه.
* * *

٨- و ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾^٥ قال أبو عبيدة: وهو جمع صورة. يقال: صورة وصورة وصورة. قال: ومثله سورة البناء وسوره. وأنشد:

سُرْتُ إِلَيْهِ فِي أَعَالِي السُّورِ^٦

قال: وسور المجد أعاليه. أي ينفخ في صور الناس.

وقال غيره: الصور القرن بلغة قوم من أهل اليمن، وأنشد:

نَحْنُ نَطْحَنَاهُمْ غَدَاةَ الْجَمْعَيْنِ... بِالضَّاحَاتِ فِي غُبَارِ النَّقْعَيْنِ^٧

نطحاً شديداً لا كَنطِجِ الصُّورَيْنِ

^١ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: البيت له في اللسان ١٧/ ١٠٥، ١٩/ ٣١٥ وعكاه: شدة في الوثائق.

^٢ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة الزمر ٤٢. وفي اللسان ٢٠/ ٢٨٠ "أي يستوفي مدد أجالهم في الدنيا، وقيل: يستوفي تمام عددهم إلى يوم القيامة".

^٣ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: لعلة إبراهيم النخعي، ففي اللسان ٨/ ١٢٠ وروى عن النخعي أنه قال: كل شيء إلخ.

^٤ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: الحديث في الفائق ٣/ ٨٨ وفي اللسان ١٦/ ٥١-٥٢ "قيل النسمة هنا: الربو، ولا يزال صاحب هذه العلة ينفس نفسا ضعيفا. قال ابن الأثير: النسمة في الحديث النفس، واحد الأنفاس أراد تواتر النفس والربو والنهج، فسميت العلة نسمة لاستراحة صاحبها إلى تنفسه، فإن صاحب الربو لا يزال ينفس كثيرا".

^٥ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة النمل ٨٧.

^٦ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: ديوانه ٢٧ واللسان ٦/ ٥٢، ٥٥، وتفسير الطبري ١/ ١٠٤ (طبع المعارف) ومجاز القرآن

٥، ١٩٦. ومعنى سرت: وثبت.

^٧ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: الأول والثالث في اللسان ٦/ ١٤٦ "لقد نطحناهم"، والضاحات: الخليل الصاهلة.

وهذا أعجب إليّ من القول الأول^١ لقول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله^٢: "كيف أنعم وصاحب القرن قد التّمه وحتى جبهته، ينتظر متى يؤمر فينفخ"^٣.

٩- و (اللّعن) في اللغة أصله الطرد. ولعن الله إبليس: طرده حين قال: ﴿اخرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا﴾^٤ ثم انتقل ذلك فصار قولاً. قال الشماخ: -وذكر ماء-

ذَعَرْتُ بِهِ الْقَطَا وَنَفَيْتُ عَنْهُ ... مَقَامَ الذَّبِّ كَالرَّجُلِ اللَّعِينِ^٥

أراد مقام الذب اللعين، أي الطريد كالرجل. فكان القائل: لعنه الله، أراد طرده الله عنه، باعده الله منه، أسحقه الله، هذا أو نحوه.

١٠- و (الشرك) في اللغة مصدر شركته في الأمر أشركه، وفي الحديث: أن معاذاً أجاز بين أهل اليمن الشرك^٦. يراد في المزاورة أن يشترك فيها رجلان أو ثلاثة. فكان الشرك بالله هو أن يجعل له شريك قال: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾^٧.

قال أبو عبيدة: كانت تليبة أهل الجاهلية: لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك^٨. فأنزل الله هذه الآية.

١١- و (المجدد) في اللغة: إنكارك بلسانك ما تستيقنه نفسك. قال الله جل ثناؤه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾^٩ وقال: ﴿فَلْيَنْهَئُهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾^{١٠} يريد أنهم لا ينسبونك إلى الكذب في قراءة من قرأ "يَكْذِبُونَكَ" بالتشديد. ومن قرأ "يَكْذِبُونَكَ"

بالتخفيف، أراد: لا يجدونك كذاباً ولكنهم بآيات الله يحدون. أي ينكرونها بألسنتهم وهم مستيقنون [أنك] لم

^١ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: في اللسان ١٤٦/٦ "قال أبو الهيثم: اعترض قوم فأذكروا أن يكون الصور قرناً، كما أنكروا العرش والميزان والصراط، وادعوا أن الصور: جمع الصورة، ورووا ذلك عن أبي عبيدة. قال أبو الهيثم: وهذا خطأ فاحش وتحريف لكلمات الله عن مواضعها، لأن الله قال: (وصورك فأحسن صوركم) ففتح الواو. قال: ولا نعلم أحداً من القراء قرأها: فأحسن صوركم، وكذلك قال: (ونفخ في الصور) فن قرأ: ونفخ في الصور، أو قرأ: فأحسن صوركم، فقد اقترى الكذب وبدل كتاب الله. وكان أبو عبيدة صاحب أخبار وغريب ولم يكن له معرفة بالنحو".

^٢ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: الحديث في اللسان ١٤٦/٦ عن أبي سعيد الخدري.

^٣ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: في اللسان بعد ذلك "قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل".

^٤ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة الأعراف ١٨.

^٥ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: ديوانه ٩٢ واللسان ١٧/٢٧٣.

^٦ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: الفائق ١/٦٥٣ واللسان ١٢/٣٣٤.

^٧ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة يوسف ١٠٦.

^٨ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: الجامع لأحكام القرآن ٩/٢٧٢ وفي اللسان ٢/٣٣٥ "يعنون بالشريك: الصنم، يريدون أن الصنم وما يملكه ويختص به من الآلات التي تكون عنده وحوله والنذور التي كانوا يتقربون بها إليه- كلها ملك لله ﷻ، فذلك معنى قوله: تملكه وما ملك".

^٩ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة النمل ١٤.

^{١٠} حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة الأنعام ٣٣، وانظر تأويل مشكل القرآن ٩٣، ٢٤٧.

تكذب ولم تأت بها إلا عن الله تبارك اسمه.
* * *

١٢- و (الكُفْرُ) في اللغة من قولك كَفَرْتُ الشيءَ إذا غَطَيْتَهُ. يقال لليل كافر لأنه يستر بظلمته كل شيء. ومنه قول الله ﷻ: ﴿كَمْثَلٍ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾^١ يريد بالكُفَّارَ الزَّرَّاعَ. سَمَّاهُمْ كُفَّارًا لأنهم إذا ألقوا البذر في الأرض كَفَرُوهُ أي: غَطَوْهُ وسَتَرُوهُ، فكأن الكافر سائر للحق وسائر لنعم الله ﷻ.
* * *

١٣- و (الظلم) في اللغة وضع الشيء غير موضعه.
ومنهُ ظَلَمَ السِّقَاءُ وهو شُرْبُهُ قبل الإدْرَاك؛ لأنَّه وضع الشُّربَ غيرَ موضعه.
وظلم الجزور وهو نَحَرُهُ لغيرِ عِلَّةٍ.
ومنهُ يقال: من أشبه أباه فما ظَلَمَ^٢ أي: ما وضع الشبه غير موضعه. ومنه قول النابغة:
والتُّؤْيُ كالخَوْضِ بِالْمُظْلَمَةِ الْجَدِ^٣
والمظلومة: الأرض التي حُفِرَ فيها ولم تكن موضع حُفْرٍ. سميت بذلك لأن الحفر وُضِعَ غير موضعه.
فكأن الظالم هو الذي أزال الحق عن جهته وأخذ ما ليس له، هذا وما أشبهه.
ثم يتفرع من الظلم معان قد ذكرت في كتاب "تأويل المشكل"^٤.
* * *

١٤- و (الفَسْقُ) في اللغة: الخروج عن الشيء. ومنه قول الله جل وعز: ﴿إِلَّا إِلِيلَيْسَ كَانَ مِنَ الْحَيْنِ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾^٥ أي خرج من طاعته. قال الفراء: ومنه يقال فَسَقَتِ الرُّطْبَةُ: إذا خرجت من قشرها.
* * *

١٥- و (النِّفَاقُ) في اللغة مأخوذ من نَافِقَاءِ الْيَرْبُوعِ وهو جُرٌّ من يَحْرَتِهِ يخرج منه إذا أخذ عليه الحجر الذي دخل فيه. فيقال: قد نَفَقَ ونَافَقَ، شَبَّهَ بفعل اليربوع؛ لأنه يدخل من باب ويخرج من باب. وكذلك المنافق يدخل في الإسلام باللفظ ويخرج منه بالعقد. وقد ذكرت هذا في كتاب "غريب الحديث" بأكثر من هذا البيان.
والتفاق لفظ إسلامي لم تكن العرب قبل الإسلام تعرفه^٦.
* * *

^١ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة الحديد ٢٠.

^٢ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: جمهرة الأمثال ١٨٥.

^٣ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: صدره

"إلا الأورى لأيا ما أئينها"

وهو في ديوانه ٢٥ واللسان ٩٩ / ٤ وشرح القصائد العشر ٢٩١ والأواري: جمع آري وهو محبس الدابة، والأبي: البطء وفي اللسان ١٥ / ٢٦٩ "والتؤي: الحاجز حول البيت من تراب، فشبه داخل الحاجز بالخوض - بالظلومة، يعني أرضا مروا بها في برية فتحوضوا حوضا سقوا فيه إبلهم وليست بموضع تحويض. يقال: ظلمت الخوض: إذ عملته في موضع لا تعمل فيه الحياض" والجلد: الأرض الصلبة.

^٤ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: راجع تأويل مشكل القرآن ٣٥٩.

^٥ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة الكهف ٥٠.

^٦ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: في اللسان ١٢ / ٢٣٧ "وهو اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به، وهو الذي

١٦- و (البُهْتَانُ) من بهت الرجل إذا واجهته بالباطل.
* * *

١٧- و (الْعُدَوَان) من عدوت وتعديت على الرجل. والعداء: الظلم.
* * *

١٨- و (الخُسْرَان) النُقْصَان. وكذلك الخُسْرُ، ويكون بمعنى الهلكة. قال الله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^١
أي المالكون: وقال: ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾^٢ أي هلكة، وقال في موضع آخر: ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْسِيرٍ﴾^٣
أي هلكة.
* * *

١٩- و (الإِفْكُ) الكذب، لأنه كلام قُلبَ عن الحق. وأصله من أفكَّت الرجل إذا صرفته عن رأي كان عليه.
ومنه قيل لمدائن قوم لوط: ﴿المؤتفكات﴾^٤ لانقلابها. ومنه قول الله جل وعز: ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾^٥ أي: من أين
تحمرون وتُصرفون عن الحق، قال الشاعر:
إِنْ تَكُ عَنْ أَحْسَنِ الصَّنِيعَةِ مَا ... فَوْكَأَ فَنِي آخِرِينَ قَدْ أَفْكُوا^٦
أي: إن تك عن أحسن الصنعة معدولاً.
* * *

٢٠- وكذلك (الفجور) هو الميل عن الحق إلى الباطل. ويقال للكذب أيضاً: فجور، وهو الميل عن الصدق.
* * *

٢١- و (الافتراء) الاختلاق، قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ﴾^٧ أي: يختلقونه.
ومنه قيل: اقترى فلان على فلان، إذا قذفه بما ليس فيه، أو قذف أبويه.
* * *

٢٢- (إقامة الصلاة) إدامتها لأوقاتها. والعرب تقول: قامت السوق وأقمتها: إذا أدمتها ولم أعطلها. قال الشاعر:
أَقَامَتْ غَزَالَةُ سَوْقِ الضَّرَابِ ... لِأَهْلِ الْعِرَاقِينَ حَوْلًا قَيْطًا^٨
ويقولون في خلاف ذلك: نامت السوق، إذا عطلت أو كسدت.
* * *

يستر كفره ويظهر إيمانه، وإن كان أصله في اللغة معروفاً.

^١ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة التوبة ٦٩.

^٢ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة هود ٦٣.

^٣ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة هود ١٠١.

^٤ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة التوبة ٧٠، والحاقة ٩.

^٥ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة الأنعام ٩٥، ويونس ٣٤، وفاطر ٣، وغافر ٦٢.

^٦ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: البيت لعروة بن أذينة، كما في اللسان ١٢ / ٢٧٠ والصحاح ٤ / ١٥٧٣ "يقول: إن لم توفق

للإحسان فأنت في قوم قد صرفوا عن ذلك أيضاً".

^٧ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة المائدة ١٠٣.

^٨ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: البيت لأمين بن خريم في ذكر غزاة الحورورية امرأة شبيب الخارجي، كما في اللسان ٩ /

٢٣- و (التَّزَكِيَّةُ) من الرسول ﷺ وعلى آله، أَخَذُ الزَّكَاةَ. قال: ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ﴾^١

وأصل الزكاة التَّماء والزيادة. ومنه قيل للصدقة عن المال: زكاة لأنها ثمره، ومنه يقال: زكا الزرع، وزكت النفقة: إذا بورك فيها.

* * *

٢٤- و (الحِكْمَةُ) العلم والعمل. لا يسمى الرجل حكيماً حتى يجمعهما.

* * *

٢٥- و (شَعَائِرُ اللَّهِ) واحدها شَعِيرَةٌ، وهي كل شيء جعل علماً من أعلام طاعته. ومنه إِشْعَارُ الْبَدَنِ: إذا أُهْدِيت.

وهو أن تطعن في سنمها، وتُجَلِّهَا وتُقَلِّدَهَا، لأن ذلك من علامات إهدائها.

وقال قاتل حين شُجَّ عمر: أَشْعِرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ^٢. كأنه أعلم بعلامة من الجراح.

ويرى أهل النظر أن أصله من الشَّعار، وهو ما ولي الجسد من الثياب.

* * *

٢٦- و (حِجُّ الْبَيْتِ) مأخوذ من قولك: حَجَّجت فلاناً إذا عدت إليه مرّة بعد مرّة، قال الشاعر:

وَأَشْهَدُ مِنْ عَوْفٍ حُلُولاً كَثِيرَةً... يَحْجُونَ سَبَّ الزِّرْقَانِ الْمُزَعْفَرَا^٣

أي: يكثرُونَ الاختلافَ إليه لِسُوءِ دَهْدِهِ.

وكان الرئيس يعتم بعمامة صفراء تكون علماً لرياسته ولا يكون ذلك لغيره ونحوه قوله: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً

لِلنَّاسِ﴾^٤ أي يثوبون إليه، يعني يعودون إليه في كل عام.

* * *

٢٧- و (السُّلْطَانُ) [الْمَلِكُ والقَهْر] فإذا لم يكن ملك وقهر فهو بمعنى حجة وبرهان، كقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى

بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾^٥ وكقوله: ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ﴾^٦

* * *

٢٨- و (الْقُرْآنُ) من قولك: ما قرأت الناقة سَلًى^٧ قَطُّ، أي: ما صَمَّت في رحمها ولداً، وكذلك ما قرأت جنينا.

وأنشد أبو عبيدة:

هَجَانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينَا^٨

^١ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة البقرة ١٥١.

^٢ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: اللسان ١١ / ٨١.

^٣ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: البيت للبخل السعدي، كما ذكر ابن قتيبة في المعاني الكبير ١ / ٤٧٨، وقال في شرحه: "يحجون" يعودون مرة بعد مرة. والسبب: العمامة. والمزعفر: المصبوغ بالزعفران، وكان السيد يعتم بعمامة مصبوعة لا يكون ذلك لغيره، وإنما سمي الزيرقان بذلك، ويقال لكل شيء صفته: زيرقته. وإنما أراد: أنهم يأتون الزيرقان لسوء دَهْدِهِ" وهو له في الصحاح ١ / ١٤٥، واللسان ١ / ٤٤٠، ٣ / ٤٨، ١٢ / ٣ وغير منسوب في الصاجي ٤٧.

^٤ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة البقرة ١٢٥.

^٥ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة هود ٩٦، وغافر ٢٣.

^٦ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة الصافات ١٥٦، وانظر بحث السلطان في تأويل مشكل القرآن ٣٨٥.

^٧ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: في اللسان ١٩ / ١٢٠ "السل: لفافة الولد من الدواب والإبل، وهو من الناس المشيمة".

^٨ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: مجاز القرآن ٢.

وقال في قوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾^١ أي تأليفه. قال: وإنما سمي قرآناً لأنه جمع السور وضمّها. ويكون القرآن مصدراً كالقراءة: يقال: قرأت قراءة حسنة وقرآناً حسناً. وقال الله: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾^٢ أي قراءة الفجر، يعني صلاة الفجر. قال الشاعر في عثمان بن عفان رضي الله عنه:
 ضَحُوا بِأَشْمَطَ عُنَاوُ السُّجُودِ بِهِ ... يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقُرْآنًا^٣
 أي: تسبيحاً وقراءة.

* * *

٢٩- و (السُّورَةُ) تهمز ولا تهمز: فمن همزها جعلها من أسأرت، يعني أفضلت. لأنها قطعة من القرآن.^٤ ومن لم يهمزها جعلها من سُورَةِ الْبِنَاءِ، أي منزلة بعد منزلة. قال النابغة في النعمان:
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً ... تَرَى كُلَّ مَلَكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَّبُ^٥
 والسُّورَةُ في هذا البيت سُورَةُ الْمَجْدِ. وهي [مستعارة من] سورة البناء.

* * *

٣٠- و (الآيَةُ) جماعة الحروف. قال الشَّيْبَانِيُّ^٦: وهو من قولهم: خرج القوم بأيّتهم، أي بجماعتهم.
 ٣١- و (السَّعُّ الطَّوَالُ) آخرها براءة. كانوا يرون الأنفال وبراءة سورة واحدة؛ لأنها جميعاً نزلتا في مغازي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ولذلك لم يفصلوا بينهما.

* * *

٣٢- و (السور التي تعرف بالمئين) هي ما ولي السَّعُّ الطَّوَالُ، سميت بمئين لأن كل سور منها تزيد على مائة آية أو تقاربها.

* * *

٣٣- و (المثاني) ما ولي المئين من السور التي هي دون المائة. كأن المئين مبادٍ وهذه مثانٍ.

^١ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة القيامة ١٧.

^٢ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة الإسراء ٧٨.

^٣ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: يروي لسان بن ثابت كما في ديوانه ٤١٠ واللسان ١٧ / ١٦٨، ١٩ / ٢١١ والاقطصاب ٩٨ والبيان والتبيين ١ / ٢٢٠، ٣ / ٢٦٢ وهو غير منسوب في تفسير الطبري ١ / ٩٧ طبع المعارف ونسب إلى أوس بن مغراء ونقل العيني في المقاصد النحوية بهامش الخزانة ٤ / ١٧ عن ابن السيرافي أنه لكثير بن عبد الله النهشلي، المعروف بابن الغيرة. ونقل البغدادي في الخزانة ٤ / ١١٨ عن ابن يعيش أنه لكثير هذا، وقيل لسان. ومعنى ضحوا: أي ذبحوه كالأضحية. قال ابن بري: أي جعلوه بدل الأضحية، كأنهم قتلوه في أيام لحوم الأصاحي، وذلك يوم الجمعة ثمان عشرة ليلة خلت من ذي الحجة، سنة خمس وثلاثين من الهجرة. والشمط بالتحريك بياض الشعر من الرأس يخالط سواده.

^٤ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: في الطبري ١٠٥ "وتأويلها في لغة من همزها، القطعة التي قد أفضلت من القرآن عما سواها وأبقيت..." وانظر الإقتان ١ / ٨٩.

^٥ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: ديوانه ١٧، واللسان ٦ / ٥٣، ومجاز القرآن ٤، وتفسير الطبري ١ / ١٠٥، وتفسير القرطبي ١ / ٦٥ والإقتان ١ / ٨٩.

^٦ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: هو أبو عمرو الشيباني الراوية المشهور المتوفى سنة ثلاث عشرة ومائتين. وقوله هذا في الخزانة ٣ / ١٣٧ وبعده: "أي لم يدعوا وراءهم شيئاً".

وقد تكون المثاني سور القرآن كلها قصارها وطولها، ويقال من ذلك قوله جل وعز: ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ﴾^١ ومنه قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾^٢.

وإنما سمي القرآن مثاني لأن الأنباء والقصص ثنّى فيه.

ويقال المثاني في قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ آيات سورة الحمد. سمّاها مثاني لأنها ثنّى في كل صلاة^٣.

٣٤- و (المُفَصَّل) ما يلي المثاني من قِصَار السُّور؛ سَمِيَتْ مُفَصَّلًا لِقِصَرِهَا وَكَثْرَةِ الْفُصُولِ فِيهَا بِسَطْر: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

٣٥- وأما (آل حيم) فإنه يقال: إن حم اسم من أسماء الله، أضيفت هذه السور إليه. كأنه قيل: سور الله. لشرفها وفضلها. قال الكُمَيْتُ:

وَجَدْنَا لَكُمْ فِي آلِ حَيْمٍ آيَةً... تَأَوَّلَهَا مِنَّا تَقِيٌّ وَمُعَرِبٌ

وقد يُجعل حم اسماً للسورة، ويدخله الإعراب ولا يُصرف. ومن قال هذا قال في الجميع: الحَوَامِمِ. كما يقال: طس والطَّوَّاسِينِ.

٣٦- وأما (التوراة) فإن الفراء يجعلها من وري الزند يري: إذا خرجت ناره، وأوريتها^٤. يريد أنها ضياء.

٣٧- و (الإنجيل) من نَجَلْتُ الشيء: إذا أخرجته. وولد الرجل نجله^٥. والإنجيل "إِفْعِيل" من ذلك. كأن الله أظهر به عافياً من الحق دَارِسًا.

٣٨- وقد سمي الله القرآن: (كِتَابًا) فقال: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾^٦

وقال: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾^٧ والكتاب فعلُ الكاتب. تقول: كتب كُتُبًا، كما تقول: حَبَّبَ حِجَابًا وَقَامَ قِيَامًا وَصَامَ صِيَامًا. وقد يُسمى الشيء بفعل الفاعل، يقال: هذا درهم ضَرَبُ الأمير، وإنما هو مضروب الأمير، وتقول: هؤلاء خلق الله. لجماعة الناس، وإنما هم مخلوقو الله.

^١ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة الزمر ٢٣.

^٢ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة الحجر ٨٧.

^٣ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: في اللسان ١٨ / ١٢٩ "وقال أبو عبيد: المثاني من كتاب الله ثلاثة أشياء: سمي الله ﷻ القرآن كله مثاني في قوله: (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني) وسمى فاتحة الكتاب مثاني في قوله: (ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم). وسمى جميع القرآن مثاني لأن الأنباء والقصص ثنيت فيه."

^٤ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: البيت له في سيبويه ٢ / ٣٠، واللسان ١٥ / ٤٠، ١٨ / ٢٣٠.

^٥ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: قال ذلك في كتابه في المصادر، كما في اللسان ٢٠ / ٢٦٨، وانظر مفردات الراغب ٥٤٢.

^٦ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: في اللسان ١٤ / ١٧١ "وقيل: اشتقاقه من النجل الذي هو الأصل" وفي المعرب ٢٣

"فاشتقاقه من النجل، وهو ظهور الماء على وجه الأرض واسعاه."

^٧ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة البقرة ٢.

^٨ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة إبراهيم ١.

٣٩- و (الزُّبُور) هو بمعنى مكتوب من زَبَرَ الْكِتَابَ يَزُورُهُ إِذَا كَتَبَهُ وَهُوَ فَعُولٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٌ، كما يقال: جُلُوبٌ وَرُكُوبٌ فِي مَعْنَى مَجْلُوبٌ وَمُرْكُوبٌ. ومعنى: "كَتَبَ الْكِتَابَ" أي جمع حروفه. ومنه كَتَبَ انْخَرَزَ، ومنه يقال: كَتَبْتُ الْبَغْلَةَ: إِذَا جَمَعْتَ بَيْنَ شُفْرَيْهَا بِحَلْقَةٍ.

٤٠- و ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أخبارهم. وما سَطَّرَ مِنْهَا أَي كَتَبَ. ومنه قوله: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾^١ أي يكتبون. واحداها سطر ثم أسطار، ثم أساطير [جمع الجمع، مثل: قول وأقوال وأقاويل] .
وأبو عبيدة^٢ يجعل واحداها أسطورة وإسطارة [معناها الترهات البسباس]^٣ وهو الذي لا نظام له. وليس بشيء صحيح.

^١ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة ن ١٠.

^٢ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: راجع اللسان ٦ / ٢٨.

^٣ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: في اللسان ٧ / ٣٢٧ "والبسباس: الكذب. والترهات البسباس: هي الباطل، وربما قالوا: ترهات البسباس بالإضافة".

مقدمة الراغب الأصفهاني لكتابه «المفردات في غريب القرآن»

كتاب الألف

أبا

الأب: الوالد، ويسمى كل من كان سبياً في إيجاد شيء أو صلاحه أو ظهوره أبا، ولذلك يسمى النبي ﷺ أبا المؤمنين، قال الله تعالى:

النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ [الأحزاب/ ٦] وفي بعض القراءات: (وهو أب لهم) ^١.

وروي أنه ﷺ قال لعلي: «أنا وأنت أبوا هذه الأمة» ^٢.

وإلى هذا أشار بقوله: «كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي» ^٣.

وقيل: أبو الأضياف لتفقده إياهم، وأبو الحرب لمهيجها، وأبو عذرتها لمفتضها.

ويسمى العم مع الأب أبوين، وكذلك الأم مع الأب، وكذلك الجد مع الأب، قال تعالى في قصة يعقوب: مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي؟ قَالُوا: نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً [البقرة/ ١٣٣] ، وإسماعيل لم يكن من آبائهم وإنما كان عمهم.

وسمي معلم الإنسان أبا لما تقدم ذكره.

^١ حاشية المحقق على المفردات: وبها قرأ ابن عباس، وأبي بن كعب وهي في مصحفه، وهي قراءة شاذة منسوخة.

^٢ حاشية المحقق على المفردات: الحديث لم أجده، ولعله من وضع الشيعة، والله أعلم. وقد نقله عنه الفيروزآبادي في البصائر، والسمين في

عمدة الحفاظ مادة (أبي) ، ولم يعلقا عليه.

^٣ حاشية المحقق على المفردات: الحديث أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٣/ ٣٦ والبيهقي ٧/ ١١٤ والحاكم ٣/ ١٤٢ وقال: صحيح الإسناد وتعقبه الذهبي فقال: منقطع، وأبو نعيم في معرفة الصحابة ١/ ٢٣١. وسببه أن عمر بن الخطاب خطب إلى علي بن أبي طالب ابنته أم

كثوم، فاعتل عليه بصغرها، فقال: إني لم أرد اباه ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول:

فذكره. راجع الفتح الكبير ٣/ ٣٢٤، وأسباب ورود الحديث ٣/ ٩٠.

وقد حمل قوله تعالى: وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ [الزخرف / ٢٢] على ذلك. أي: علماءنا الذين ربّونا بالعلم بدلالة قوله تعالى: رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَا [الأحزاب / ٦٧] .
وقيل في قوله: أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ

مقدمة ابن الهائم (ت ٨١٥هـ) لكتابه «التبيان في تفسير غريب القرآن»

[تفسير غريب القرآن]

١ - سورة الفاتحة

١ - بِسْمِ اللَّهِ [١] : اختصار، المعنى: أبدأ باسم الله، أو بدأت باسم الله (زه) أو باسم الله أبدأ، أو ابتدأت، أو ابتدائي، أو أتلو [أو قرأت] ١ .

٢ - الرَّحْمَنِ [١] : ذي الرحمة ولا يوصف به غير الله.

٣ - الرَّحِيمِ [١] : الراحم (زه) [والرحمة] ٢ تظهر في القلب، وهي هنا إرادة الخير بالعباد. وقيل: الإنعام على المحتاج. [٢/أ] ٤ - اَلْحَمْدُ [٢] : الثناء بالجميل على جهة التفضيل.

٥ - رَبِّ [٢] : السَّيِّد، والمالك، وزوج المرأة (زه) والمصلح، والمرتب، والمالك، والمعبود. ولا يستعمل معرفاً بأل إلا معه تعالى.

٦ - الْعَالَمِينَ [٢] : أصناف الخلق، كل صنف منهم عالم (زه) والمشهور أنه جمع عالم، وقيل: اسم جمع.

٧ - الدِّينِ [٤] : الجزاء، ويأتي بمعنى الحساب، والطاعة، والعبادة، وما يتدين به من الإسلام وغيره، والسلطان (زه) ولغير ذلك ٣ .

٨ - نَعْبُدُ [٥] لغة: التذلل، وتفسيراً: الطاعة مع الخضوع، قال ابن عيسى ٤ : خضوع ليس فوقه خضوع.

^١ حاشية المحقق على التبيان لابن الهائم: ما بين المعقوفين مكانه غير واضح في الأصل. وانظر تقدير الكلام في «بسم الله» في المحرر الوجيز ١ /

^٢ حاشية المحقق على التبيان لابن الهائم: في الأصل مكانه بياض. [.....]

^٣ حاشية المحقق على التبيان لابن الهائم: في هامش الأصل: «كقوله تعالى: ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ» (التوبة ٣٦) .

^٤ حاشية المحقق على التبيان لابن الهائم: هو أبو الحسن علي بن عيسى بن علي الرَّمَّاني. كان إماماً في العربية متقناً علوماً كثيرة كالنحو والقراءات والفقه والكلام على مذهب المعتزلة. له نحو مائة مصنف، منها: شرح الكتاب لسيبويه، وإعجاز القرآن، وتفسير للقرآن. مات سنة أربع وثمانين وثلاث مائة. (طبقات المفسرين ١ / ٤١٩ - ٤٢١، وتاريخ الإسلام ١٠ / ٤٢٨، ٤٢٩، وانظر: بغية الوعاة ٢ / ١٨٠، ١٨١، ووفيات الأعيان ٢ / ٤٦١، والأنساب ٣ / ٨٩. ويذكر بروكلمان ٢ / ١٨٩ أن الجزء السابع من الجامع في تفسير القرآن في باريس أول ٦٥٢٣) .

مقدمة محمد بن عبد العزيز الخضير لكتابه «السراج في بيان غريب القرآن»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وآله وصحبه ومن سار على منجه إلى يوم الدين، أما بعد؛
«لَا يَخْفَى أَنَّ الْمَعْرِفَةَ بِالْأَلْفَاظِ الْمَفْرَدَةِ هِيَ الْخُطْوَةُ الْأُولَى فِي فَهْمِ الْكَلَامِ؛ فَفَن لَمْ يَتَبَيَّنْ مَعْنَى الْأَلْفَاظِ الْمَفْرَدَةِ
مِنَ الْقُرْآنِ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابُ التَّدْبِيرِ، وَأَشْكَلَ عَلَيْهِ فَهْمُ الْجُمْلَةِ، وَخَفِيَ عَنْهُ نَظْمُ آيَاتِ وَالسُّورَةِ، وَلَوْ كَانَ الضَّرَرُ
عَدَمَ الْفَهْمِ لَكَانَ يَسِيرًا، وَلَكِنَّهُ أَكْثَرَ وَأَقْطَعُ؛ حَيْثُ يَتَوَهَّمُ اللَّفْظُ ضِدًّا مَا أُريدَ بِهِ، فَيُذْهَبُ إِلَى خِلَافِ الْجِهَةِ
الْمَقْصُودَةِ»^١.

قَالَ الرَّاعِبُ الْأَصْفَهَانِيُّ: «أَوَّلُ مَا يَحْتَاجُ أَنْ يُشْتَغَلَ بِهِ مِنْ عُلُومِ الْقُرْآنِ: الْعُلُومُ اللَّفْظِيَّةُ، وَمِنْ الْعُلُومِ اللَّفْظِيَّةِ: تَحْقِيقُ
الْأَلْفَاظِ الْمَفْرَدَةِ؛ فَتَحْصِيلُ مَعَانِي مُفْرَدَاتِ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ فِي كَوْنِهِ مِنْ^٢ أَوَائِلِ الْمُعَاوَنِ لِمَنْ يُرِيدُ أَنْ يَدْرِكَ مَعَانِيهِ؛
كَتَحْصِيلِ اللَّيْنِ (جَمْعُ: لَيْنَةٍ) فِي كَوْنِهِ مِنْ أَوَّلِ الْمُعَاوَنِ فِي بِنَاءِ مَا يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيهِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ نَافِعًا فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ
فَقَطُّ، بَلْ هُوَ نَافِعٌ فِي كُلِّ عِلْمٍ مِنْ عُلُومِ الشَّرْعِ»^٣.

وَلَأَجْلِ ذَلِكَ جَمَعْتُ هَذَا الْكِتَابَ؛ لِيَكُونَ تَذَكُّرًا لِمَنْ يُرِيدُ مَعْرِفَةَ مَعَانِي غَرِيبِ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ، وَقَدْ جَمَعْتُهُ مِنْ كُتُبِ
التَّفْسِيرِ، وَكُتُبِ غَرِيبِ الْقُرْآنِ الْقَدِيمَةِ وَالْمُعَاصِرَةِ، وَسَهَّلْتُ الْعِبَارَةَ، وَحَاوَلْتُ صِبَاغَةَ الْأَقْوَالِ الْمُخْتَلِفَةِ فِي عِبَارَةِ
وَاحِدَةٍ جَامِعَةٍ مَتَى كَانَ ذَلِكَ مُمَكِّنًا، وَالْأَلْجَأْتُ إِلَى التَّرْجِيحِ، وَسَمَّيْتُهُ: «السِّرَاجُ فِي بَيَانِ غَرِيبِ الْقُرْآنِ»، وَاللَّهُ
أَسْأَلُ أَنْ يَنْفَعَهُ بِهِ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ خَالِصًا لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ.

^١ حاشية السراج: باختصار من مقدمة «مفردات القرآن» لعبد الحميد الفراهي، ص ٩٥.

^٢ حاشية السراج: كلمة (من) سقطت من النص المنقول. راجع: «المفردات» ت. محمد سيد كيلاني، وت. مركز الدراسات والأبحاث
بمكتبة زار الباز.

^٣ حاشية السراج: «المفردات»، للراغب الأصفهاني، ص ٥٤.

د. محمد بن عبد العزيز الحَضِيرِي
جامعة الملك سعود
gmail.com@Mkh١٣٨٤

مقدمة مقبل بن هادي الوادعي لكتابه «الصحیح المسند من أسباب النزول»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ . ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ • يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ .

أما بعد فقد اخترت أن يكون بحثي الذي أقدمه للجامعة الإسلامية في الصحیح^١ المسند من أسباب النزول وذلك لأمر منها:

١- ارتباطه بفنين عظيمين وهما تفسير كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم اللذان هما أساس ديننا.

٢- أن معرفة سبب نزول الآية يعين على فهم معناها فقد أشكلت بعض الآيات على بعض الصحابة فمن بعدهم حتى عرفوا سبب نزولها فما أشكل عليهم ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ حتى أخبرهم أبو أيوب الأنصاري ﷺ بسبب نزولها كما سيأتي إن شاء الله تعالى فظهر لهم معناها. ومما

أشكل عليهم قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ حتى نزل -على رواية كما سيأتي إن شاء الله تعالى ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ وقد أشكل على عروة قوله: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ حتى أخبرته عائشة ﷺ بسبب نزولها.

٣- هذا ومما حدا بي إلى اختيار هذا الموضوع أن أسباب النزول قد دخلها الدخيل كغيرها من سائر الفنون قال الواحدي رحمه الله في مقدمة كتابه أسباب النزول بعد ذكره كلام عبيدة السلماني لما سئل عن آية من القرآن فقال: اتق

^١ حاشية الصحیح المسند من أسباب النزول: أعني بالصحیح على اصطلاح الأولين ما يشمل الصحیح والحسن كما في تدريب الراوي

الله وقل سدادا ذهب الذين يعلمون فيما أنزل القرآن:

”أما اليوم فكل أحد يخترع شيئا ويختلق إفكا وكذبا ملقيا زمامه إلى الجهالة غير مفكر في الوعيد للجاهل بسبب الآية، وذلك الذي حدا بي إلى إملاء هذا الكتاب الجامع للأسباب لينتهي إليه طالبو هذا الشأن والمتكلمون في نزول القرآن فيعرفوا الصدق ويستغنوا عن التمويه والكذب ويجدوا في تحفظه بعد السماع والطلب” إلى آخر كلامه ﷺ ص ٥٥.

وقال السيوطي في الإتقان ج ٢ ص ١٩٠ بعد ذكر جماعة ممن يذكرون التفسير بالأسانيد كابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما ”ثم ألف في التفسير خلاصا فاختصروا الأسانيد ونقلوا الأقوال ترى فدخل من هنا الدخيل والتبس الصحيح بالعليل ثم صار كل من يسنح له قول يورده ومن يخطر بباله شيء يعتمد عليه ثم ينقل ذلك عنه من يجيء بعده ظانا أن له أصلا غير ملتفت إلى تحرير ما ورد عن السلف الصالح ومن يرجع إليهم في التفسير حتى رأيت من حكي في تفسير قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ نحو عشرة أقوال

وتفسيرها باليهود والنصارى هو الوارد عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وجميع التابعين وأتباعهم حتى قال ابن أبي حاتم لا أعلم في ذلك اختلافا بين المفسرين ا. هـ المراد من الإتقان. قلت وهذا هو الذي حملني على ذكر الأسانيد ما وجدت إلى ذلك سبيلا وإن كان فيه من المشقة ما هو معروف لدى أهل هذا الفن.

إليك مثالا واحدا يصدق ما قاله هذان الإمامان من أنه قد وقع التساهل في نقل ما لم يثبت في كتب التفسير، وهذا المثال هو قصة ثعلبة بن حاطب التي فيها ”قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه” وهذه القصة يذكرها المفسرون عنه تفسير قول الله ﷻ ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَتَصَّدَّقَنَّ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ويمكن أنه لا يوجد تفسير إلا وهي مذكورة فيه وقل من نبه على عدم صحتها. أما جهابذة علماء الحديث ونقاده فإليك ما قالوه فيها: قال الإمام أبو محمد بن حزم ﷻ بعد ذكره لها من طريق مسكين بن بكير نا معان بن رفاعة السلي عن علي بن يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة قال: جاء ثعلبة بن حاطب بصدقته إلى عمر فلم يقبلها وقال: لم يقبلها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولا أبو بكر ولا أقبلها. قال أبو محمد وهذا باطل بلا شك لأن الله تعالى أمر بقبض زكاة أموال المسلمين وأمر ﷺ عند موته ألا يبقى في جزيرة العرب دينان فلا يخلو ثعلبة من أن يكون مسلما ففرض على أبي بكر وعمر قبض زكاته ولا بد ولا فسحة في ذلك وإن كان كافرا ففرض ألا يقر في جزيرة العرب فسقط هذا الأثر بلا شك وفي رواه معان بن رفاعة والقاسم بن عبد الرحمن وعلي بن يزيد وهو أبو عبد الملك الألهاني وكلهم ضعفاء ومسكين بن بكير ليس بالقوي ا. هـ ج ١١ من المحلى ص ٢٠٨ وقال السيوطي في باب النقول إن سندها ضعيف وقال الحافظ في تخریج الکشاف إن في سندها علي بن يزيد الألهاني وهو واه وقال في الفتح ج ٣ ص ٨ بعد ذكر بعض القصة لكنه حديث ضعيف لا يحتج به ا. هـ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧ ص ٣٢ رواه الطبراني وفيه علي بن يزيد الألهاني

^١ حاشية الصحيح المسند من أسباب النزول: وأعظم من هذا ما حكاه الشوكاني في فتح القدير ج ٣ ص ٢٥٤ في تفسير ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ الآية وقد حكى بعض المحققين أن أقوال المختلفين في الروح بلغت إلى ثمانية عشر مائة قول فانظر إلى هذا الفضول الفارغ والتعب العاقل عن النفع بعد أن علوا أن الله قد استأثر بعلمه ولم يطلع عليه أنبياءه ولا أذن لهم بالسؤال عنه ولا البحث عن حقيقته فضلا عن أهمهم المقتدين بهم إلى آخر كلامه ﷻ فراجعوه.

وهو متروك. وقال فيه الذهبي في تجريد أسماء الصحابة إنه حديث منكر بمرّة. وقال المناوي في فيض القدير ج ٤ ص ٥٢٧ قال البيهقي في إسناده هذا الحديث نظر وهو مشهور بين أهل التفسير ا. هـ. وأشار في الإصابة إلى عدم صحة هذا الحديث فإنه ساق هذا الحديث في ترجمة ثعلبة هذا ثم قال وفي كونه صاحب هذه القصة إن صح الخبر -ولا أظنه يصح- هو البدرى نظر. ا. هـ. كلام المناوي وقال الحافظ العراقي في تخرّيج الإحياء ج ٣ ص ٣٣٨ -سندها ضعيف وإنما مثلت^١ بهذه القصة لشهرتها في كتب التفاسير ولأن كثيرا من إخواننا المشتغلين بالوعظ والإرشاد وفقني الله وإياهم يستحسنونها ويلقونها على العامة غير متنبهين مع عدم صحتها سنداً فهي لا تصح معنى إذ فيها مخالفة لأصل من أصول الشريعة وهو أن التائب لو بلغت ذنوبه عنان السماء ثم تاب، تاب الله عليه.

٤- ومن الدوافع لي على اختيار هذا الموضوع الرغبة في التعرف على أسرار هذا التشريع العظيم وما في أسباب النزول من العبر وحل المشاكل التي قد ضاق بها أصحابها ذرعاً فيأتي الفرج الإلهي، وذلك كقصّة الثلاثة الذين خَلَفُوا، وكقصّة الإفك وما حصل لنبي الهدى من الأذى بسببه وكذا لأُم المؤمنين إذ بكت حتى ظن أبواها أن البكاء فائق كبدها. فيأتي الفرج بعد الشدة. وكقصّة هلال بن أمية إذ رمى زوجته بالزنى فقال له الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم: البينة أو حد في ظهرك فقال: والذي بعثك بالحق إني لصادق ولينزلن الله ما يرى ظهري من الحد فأراد الرسول أن يأمر بضربه فأنزل الله آية اللعان وأمر قسمه وأتى بالعلاج بعد تفاقم الداء نخاب وخسر من ظن أنه يستطيع أن يستغني عن هذا التشريع الحكيم.

٥- ومنها رجاء الاستفادة من مراحل التشريع فإننا في أمس الحاجة إلى أن نعتبر أنفسنا مجددين وأن نبدأ الدعوة من جديد وفي أسباب النزول الكثير الطيب من بيان مراحل الدعوة والتوجيهات الإلهية كآية القتال فإنها لم تنزل إلا بعد أن علم الله أن لهم اقتداراً على القتال إلى غير ذلك من الفرق بين المكي والمدني كما هو معروف.

تنبيه:

قد حاولت بقدر الاستطاعة أن أجمع طرق الحديث لما فيه من الفوائد من معرفة وصل الحديث وإرساله وصحته وإعلاله^٢ فرب حديث ظاهر سنده الصحة في كتاب ويكون في كتاب آخر معلولاً وقد قال ابن الصلاح في علوم الحديث ص ٨٢: وروى عن علي بن المديني قال: الباب إذا لم تجمع طرقه لم يتبين خطؤه ا. هـ. وإليك المثال على ذلك: قال الحاكم رحمه الله ج ٢ ص ٣٢٤ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أحمد بن عبد الجبار ثنا يونس بن بكير عن ابن إسحاق ثنا يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة قالت:

لما جاء أهل مكة في فداء أسارهم بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فداء أبي العاص وبعثت فيه بقلادة كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم رق لها رقّة شديدة وقال:

^١ حاشية الصحيح المسند من أسباب النزول: ولها طريق آخر عند ابن جرير لكنه عن ابن عباس أنها نزلت في ثعلبة بن أبي حاطب وهو غير ثعلبة ابن حاطب إلا أنها سلسلة بالعوفيين وهم ضعفاء فهي ضعيفة جداً.

^٢ حاشية الصحيح المسند من أسباب النزول: وله فوائد أخر منها أنه يصرح المدلس بالسماع في بعض الطرق ومنها بيان المبهم ومنها متابعة الضعيف.

”إن رأيتم أن تطلقوها أسيرها وتردوها عليها الذي لها فافعلوا“ قالوا نعم يا رسول الله وردوها عليها الذي لها قال: وقال العباس يا رسول الله إني كنت مسلما فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ”الله أعلم بإسلامك فإن يكن كما تقول فالله يجزيك فافد نفسك وبني أخويك نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب وحليفك عتبة بن عمرو بن جحدم أخا بني الحارث بن فهر“. فقال: ما ذاك عندي يا رسول الله قال: ”فأين المال الذي دفنت أنت وأم الفضل فقلت لها إن أصبت فهذا المال ليني الفضل وعبد الله وقم“ فقال والله يا رسول الله إني أشهد أنك رسول الله إن هذا الشيء

ما علمه أحد غيري وغير أم الفضل فاحسب لي يا رسول الله ما أصبتم مني عشرين أوقية من مال كان معي فقال رسول الله ﷺ: ”أفعل“. ففدى العباس نفسه وبني أخويه وحليفه وأنزل الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فأعطاني مكان العشرين الأوقية في الإسلام عشرين عبدا كلهم في يده مال يضرب به مع ما أرجو من مغفرة الله ﷻ. هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي ا. هـ.

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٨ رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجال الأوسط رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع ا. هـ. ثم بعد الاطلاع على سنن البيهقي ج ٦ ص ٣٢٢ ظهر أن قصة العباس مدرجة على هذا السند. قال البيهقي ﷺ: كذا فيما حدثنا به شيخنا أبو عبد الله في كتاب المستدرک ثم ذكره الحافظ البيهقي على الصواب مبينا أن قصة العباس لها سند آخر وأنها مرسلة وقال الحافظ في الفتح ج ٩ ص ٣٨٢ بعد ذكره هذه القصة وفي طريق عطاء محمد بن إسحاق، وليست هذه القصة عنده مسندة بل معضلة وصنيع إسحاق يعني ابن راهوية وتبعه الطبراني وابن مردويه يقتضي أنها موصولة والعلم عند الله ا. هـ.

وقال في المطالب العالية ج ٣ ص ٣٣٧ وأظن ذلك مدرجا في الخبر من كلام ابن إسحاق وحديث عباس على هذا معضل وأما على ظاهر السياق أولا فهو مسند وهو على ذلك عمل إسحاق ا. هـ. والأمثلة على هذا كثيرة. اعتذار: لم آل جهدا في الحرص على العزو إلى أئمة الحديث وكتبهم وقد يضيق علي الوقت بالعزو إلى بعضهم وربما اكتفيت بعزو بعض المؤلفين إليه وهذا قليل وربما صعب علي الوقوف على سند الحديث إذا كان في الكتب المفقودة أو العززة الوجود فإن صححه إمام تطمئن النفس إلى تصحيحه كتبه بدون سند وإلا توقفت فيه حتى يسهل الله بالعثور على سنده. والله سبحانه أسأل أن يجعل عملي خالصا لوجهه الكريم وأن ينفع بهذا المؤلف الإسلام والمسلمين آمين.

قواعد أصولية:

لأسباب النزول قواعد أصولية نشير إلى بعضها حسبما رسمه شيخنا محمود بن عبد الوهاب فائد حفظه الله مقتصرين على المشهور منها وما لا بد منه رغبة في الاختصار:

١- تعريف سبب النزول: سبب النزول يكون قاصرا على أمرين:

أحدهما: أن تحدث حادثة فينزل القرآن الكريم بشأنها كما في سبب نزول ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ كما سيأتي إن شاء الله.

الثاني: أن يُسأل الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن شيء فينزل القرآن ببيان الحكم فيه كما في سبب نزول آية اللعان كما سيأتي إن شاء الله.

٢- طريقة معرفته: أما طريقة معرفته فالعلماء يعتمدون في معرفة سبب النزول على صحة الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أو عن الصحابي فإن إخبار الصحابي عن مثل هذا له حكم الرفع قال ابن الصلاح رحمه الله في كتابه علوم الحديث:

الثالث: ما قبل إن تفسير الصحابي حديث مسند فإنما ذلك في تفسير يتعلق بسبب نزول الآية يخبر به الصحابي أو نحو ذلك كقول جابر رضي الله عنه: كانت اليهود تقول من أتى امرأته من دبرها في قبلها جاء الولد أحول^١ فأنزل الله تعالى ﴿يَسْأَلُكُمْ خِزْتُ لَكُمْ﴾ الآية فأما سائر تفاسير الصحابة التي لا تشتمل على إضافة شيء إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فعدود في الموقوفات. والله أعلم. هـ. ص ٤٦.

وأما قول التابعي نزلت في كذا فهو مرسل فإن تعددت طرقه قبل وإلا فلا على الراجح عند المحدثين.

٣- العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب والدليل على ذلك أن الأنصاري الذي قبل الأجنبية ونزلت فيه تعالى ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ الآية، قال للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أي هذا وحدي يا رسول الله؟ ومعنى هذا هل حكم هذه الآية يختص بي لأني سبب نزولها فأفتاه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأن العبرة بعموم اللفظ فقال "بل لأمتي كلهم".

أما صورة السبب فجمهور أهل الأصول أنها قطعية الدخول في العام فلا يجوز إخراجها منه بمخصص وهو التحقيق وروي عن مالك أنها ظنية الدخول كغيرها من أفراد العام. ا. هـ. من مذكرة أصول الفقه للشیخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله باختصار ص ٢٠٦ و ٢١٠.

٤ قد تعدد الأسباب والنازل واحد كما في آية اللعان وغيرها من الآيات كما استجده إن شاء الله في مواضعه وكذا قد تعدد الآيات النازلة والسبب واحد كما في حديث المسبب رضي الله عنه في شأن وفاة أبي طالب وقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم "لأستغفرن لك ما لم أنه عنه" فأنزل الله تعالى ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْحَجِيمِ﴾ . ونزل في أبي طالب عليه السلام ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ والأمثلة على ذلك كثيرة ستر بك إن شاء الله.

٥- صيغة سبب النزول إما أن تكون صريحة في السببية وإما أن تكون محتملة. فتكون نصاً صريحاً إذا قال الراوي سبب نزول هذه الآية كذا أو إذا أتى بفاء تعقيبية داخلية على مادة النزول بعد ذكر الحادثة أو السؤال كما إذا قال حدث كذا أو سئل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن كذا فنزلت الآية.

فهاتان صيغتان صريحتان في السببية وسيأتي لهما أمثلة إن شاء الله وتكون الآية محتملة للسببية ولما تضمنته الآية من الأحكام إذا قال الراوي نزلت هذه الآية في كذا فذلك يراد به تارة أنه سبب النزول وتارة أنه داخل في معنى الآية.

^١ حاشية الصحيح المسند من أسباب النزول: سيأتي تخريجه إن شاء الله.

وكذا إذا قال أحسب هذه الآية نزلت في كذا أو ما أحسب هذه الآية إلا نزلت في كذا فإن الراوي بهذه الصيغة لا يقطع بالسبب فهاتان صيغتان تحتملان السببية وغيرها وسيأتي لها أمثلة إن شاء الله ا. هـ. مختصرا من كتاب مباحث في علوم القرآن لمناع القطان.

فائدة
:

من القرآن ما نزل لسبب ومنه ما نزل ابتداء بعقائد الإيمان وواجبات الإسلام وغير ذلك من التشريع وإنما ذكرت هذا لأن بعضهم طالبني في ذات مرة أن أذكر سببا آخر لقوله تعالى ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ﴾ الآية - عندما قلت له إن القصة التي وردت في ثعلبة ضعيفة. وكذا قوله تعالى ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ إلى آخر الآيات عندما قلت لبعضهم إن ما ورد أنها نزلت في علي وفاطمة ليس بصحيح وقد ذكرها ابن الجوزي في الموضوعات¹ ووافقه السيوطي فأحببت التنبيه على هذا لئلا يظن من لم يمارس سبب النزول أن لكل آية سببا. هذا ما تيسر لي وإن كنت تريد المزيد فعليك بمراجعة الإتيان للحافظ السيوطي رحمته الله والله أسأل أن يثبت شيخنا المشرف على حسن توجيهه وتنبيهه على ما وقع مني من الأخطاء فإنه حفظه الله قد أتعب نفسه ولاحظ ملاحظة دقيقة فجزاه الله خيرا وبارك له في عمله وولده وماله آمين.

¹ حاشية الصحيح المسند من أسباب النزول: هذا الحديث وأمثاله من الأحاديث الضعيفة والموضوعة في فضائل أهل بيت النبوة قد أودعناها في كتابنا رياض الجنة وقد أغنى الله أهل بيت النبوة عن هذه الأباطيل.

مقدمة خالد بن سليمان المزيني لكتابه «أسباب النزول من خلال الكتب التسعة»

قدر مؤلفها وعلو إسنادها، وتلقي الأمة لها بالقبول حتى تكاد تستوعب ما في سواها من دواوين السنة ولهذا اقتضت على ما ورد فيها.

ثانياً: حاجة المكتبة القرآنية قديماً وحديثاً إلى مؤلف مفرد يجمع الأسباب ويقدم لها دراسة متكاملة كي يسهل على القارئ والباحث مقارنة الروايات في مقام واحد، ويلقي الضوء على أوجه الترجيح بينها.

ثالثاً: الحاجة إلى تحقيق المرويات ودراستها دراسة نقدية من الناحيتين التفسيرية والحديثية بسبب تعدد المرويات الواقعة الواحدة، وتعارضها أحياناً في أصلها أو أجزائها، وفشو المرويات الضعيفة في كتب التفسير والسنة وشيوعها في الأمة، فكان لا بد من عمل علمي رصين يستنبط الحقيقة المضبوطة من عتامة المرويات المظلمة، ويستخرج الرواية النقية من النبع الصافي الذي كدرته الدلاء الدخيلة.

رابعاً: افتقار المؤلفات المعنية بهذا العلم إلى التحرير والترجيح، حيث يلحظ القارئ وبلا تكلف عناية المؤلفين لهذه المؤلفات بجانب السرد، دون التدقيق والتمحيص واختيار السبب الصحيح، وهذا ما سيضيفه هذا البحث.

خامساً: قصور بعض المؤلفات في هذا الفن عن استيعاب جميع أسباب النزول خصوصاً المذكورة في الكتب التسعة.

سادساً: حرصي على أن يكون موضوع أطروحتي لنيل الدكتوراه ذا فائدة علمية لي أولاً، ثم لأهل التخصص وعمامة المسلمين ثانياً.

* الدراسات السابقة:

تتابع العلماء - رحمهم الله - في التأليف في علم أسباب النزول من قديم الزمان، وهي ما بين مطبوع، ومخطوط، ومفقود، ومع هذا فقد انبرى للتأليف في هذا الزمان جملة من العلماء والباحثين فأجادوا وأفادوا - جزاهم الله خير الجزاء - وقد يسر الله لي الاطلاع على بعض ما ألف في هذا الباب فرأيتُه حسناً مفيداً لكنه لم يتناول هذا العلم على النسق الذي أردت والأسلوب الذي رسمت، وفي ظني - إن شاء الله - أنه سيساهم مساهمة فعالة في تنقيته من الدخيل والغريب.

ومن المؤلفات التي اطلعت عليها في هذا الباب:

١ - أسباب النزول للواحي، وعليه بعض الملاحظات على أن هذا لا يعني القدر فيه فنها:

أ - أن المؤلف قد فاتته شيء كثير من أسباب النزول فلم يذكرها.

ب - أنه ساق روايات على أنها أسباب نزول وليست كذلك.

ج - أنه أغفل مرويات قوية واستشهد بمرويات ضعيفة^١.

ويغني في وصف الكتاب قول أبي حيان: (وقد صنف الواحي في ذلك كتاباً قلماً يصح فيه شيء، وكان ينبغي أن لا يشتغل بنقل ذلك إلا ما صح)^٢ اهـ.

٢ - العجائب في بيان الأسباب للمحافظ ابن حجر.

وهذا الكتاب لا يخرج في مضمونه عن نسق غيره من المؤلفات المهمة بجانب السرد دون الاستيعاب والتدقيق والترجيح، ودون استخراج الأسباب من المصادر الأصلية كالصالح والسنن والمسانيد.

٣ - لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي. وعليه الملاحظات التالية:

أ - أن كثيراً من الآيات لها أسباب نزول لم يذكرها وقد تكون صحيحة مشهورة.

ب - أن بعض الآيات لها أكثر من سبب ولا يذكر إلا واحداً.

ج - قد يكون السبب في الصحيحين أو أحدهما ويترك العزو إليهما أو لأحدهما.

د - تصحيحه لبعض الأحاديث الضعيفة.

هـ - صيغة السبب يحولها من غير صريحة إلى صريحة^٣.

٤ - الصحيح المسند من أسباب النزول للشيخ مقبل بن هادي الوادعي.

وهذا الكتاب تضمن أسباباً صحيحة لكنه مع هذا يحتاج للإضافة سواء من حيث العدد، أو تحقيق صحتها، أو الجمع والترجيح.

٥ - أسباب النزول وأثرها في التفسير للدكتور عصام الحميدان، وقد وضع في كتابه قواعد مفيدة في أسباب النزول، وعقد مقارنة بين كتابي الواحي والسيوطي، وقام بدراسة لما فيهما دراسة مختصرة تشبه التعليق في أكثر الأحيان.

٦ - رسالة دكتوراه للشيخ الدكتور جمعة سهل، لم يتيسر لي الاطلاع عليها لكنني اطلعت على فهرسها من أحد الفضلاء، ومن خلال اطلاعي على ذلك لم أجد الشيخ

ذكر أسباب النزول، لكنه ذكر بعض الضوابط، والقواعد، وحكم التشريع من خلال أسباب النزول، وما يتبع ذلك.

^١ حاشية المزني: الروحاء: من عمل الفرع. معجم البلدان (٣:٨٧) رقم (٥٦٤٦). وهي من المدينة ستة وثلاثون ميلاً لما روى جابر قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: إن الشيطان إذا سمع النداء بالصلاة ذهب حتى يكون مكان الروحاء؟ قال سليمان: فسألته عن الروحاء؟ فقال: هي من المدينة ستة وثلاثون ميلاً.

انظر: مسلم، كتاب الصلاة، باب فضل الأذان (١:٢٩٠) رقم (٣٨٨).

^٢ حاشية المزني: المدراس: صاحب دراسة كتبهم، ويطلق على البيت الذي يدرسون فيه. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢:١١٣) مادة (درس).

^٣ حاشية المزني: الخرفة: حائط نخل يخرف منه الرطب. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢:٢٤) مادة (خرف).

٧ - جامع النقول في أسباب النزول للشيخ ابن خليفة عليوي، فقد ذكر ما أخرجه الواحدي والسيوطي في كتابيهما ثم شرح الآيات التي تضمنتها أسباب النزول عندهما. هذه بعض المؤلفات المصنفة في هذا الباب، وهناك العديد غيرها لكنها لا تخرج عن منوالها وطريقتها. وإني لأرجو أن يكون البحث الذي أقدم له الآن قد شق طريقاً جديداً وأضاء مصباحاً منيراً، تأصيلاً وتأطيراً، لكل سالك في ميدان أسباب النزول.

* خطة البحث:

تتكون خطة البحث من مقدمة وتمهيد وقسمين وخاتمة.

مقدمة البحث: تتناول أهمية الموضوع، وأسباب اختياره والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهجي في إعداده.

التمهيد: وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: مكانة أسباب النزول وأهميتها.

المبحث الثاني: فوائد معرفة أسباب النزول.

المبحث الثالث: نشأة علم أسباب النزول.

المبحث الرابع: مصادر أسباب النزول.

المبحث الخامس: بواعث الخطأ في أسباب النزول.

القسم الأول: قواعد في أسباب النزول وضوابط الترجيح فيها، وفيه فصلان:

الفصل الأول: قواعد في أسباب النزول، وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: تعريف أسباب النزول ومفهومه لدى العلماء.

المبحث الثاني: أسباب النزول من حيث صيغتها.

المبحث الثالث: تعدد النازل والسبب واحد.

المبحث الرابع: تعدد السبب والنازل واحد.

المبحث الخامس: عموم اللفظ وخصوص السبب.

المبحث السادس: تكرار النزول.

الفصل الثاني: ضوابط الترجيح في أسباب النزول، وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: الترجيح بتقديم الصحيح على الضعيف.

المبحث الثاني: الترجيح بتقديم السبب الموافق للفظ الآية على غيره.

المبحث الثالث: الترجيح بتقديم قول صاحب القصة على غيره.

المبحث الرابع: الترجيح بتقديم قول الشاهد للسبب على الغائب عنه.

المبحث الخامس: الترجيح بدلالة السياق القرآني.

المبحث السادس: الترجيح بدلالة الوقائع التاريخية.

القسم الثاني: دراسة أسباب النزول دراسة تفسيريةً وحدithية.

وسيكون ترتيب الدراسة على النحو التالي:

- * ذكر الآية أو الآيات النازلة.
- * ذكر السبب أو الأسباب التي نزلت بشأنها الآيات.
- * دراسة السبب أو الأسباب دراسة تفسيرية وحديثة.
- * النتيجة وفيها خلاصة الدراسة.
- خاتمة البحث: وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها خلال البحث.
- فهارس البحث:

- ١ - فهرس الآيات القرآنية.
- ٢ - فهرس الأحاديث النبوية.
- ٣ - فهرس الألفاظ الغريبة.
- ٤ - فهرس الأعلام المترجم لهم.
- ٥ - ثبت المصادر والمراجع.
- ٦ - فهرس محتويات الرسالة.
- * منهجي في إعداد البحث:
- وينقسم إلى قسمين:

الأول: منهجي في إعداد الدراسة النظرية لعلم أسباب النزول، وعملي هنا تمثل في الآتي:

- أ - قمت باستقراء ما كتب عن أسباب النزول قديماً وحديثاً في المؤلفات التي تختص بهذا العلم، أو في المؤلفات التي تناولت علوم القرآن بوجه عام ومنها أسباب النزول، فإن أصبتُ فيها ما أريد استخرجته، واستفدت منه.
- ب - قمت بالبحث في كتب التفسير خصوصاً، وفي غيرها من المؤلفات، طلباً لأقوال العلماء كي أستعين بها في ترسيخ القواعد والضوابط التي ذكرتها وتأصيلها.
- ج - بعد أن نقلت من أقوال العلماء ما أفادني، قمت باستخراج الأمثلة التي قمت بدراستها في القسم الثاني من رسالتي، والتي أراها تناسب تلك القواعد وتؤديها إذ لا يخفى أثر المثال في ترسيخ المقال، وقد أكثرت من الأمثلة، وكنت حريصاً على عدم التكرار.

والذي دعاني لهذا أن من سبقني من المؤلفين يكررون الأمثلة، وفي أكثر الأحيان لا تخلو من مقال، فأردت أن يدرك القارئ الكريم أن الأمثلة لا تعاني شحاً، كما أنها سليمة من المقال.

الثاني: منهجي في إعداد الدراسة التطبيقية لأسباب النزول وعملي هنا يتمثل في الآتي:

- ١ - أبدأ بكتابة الآيات التي تضمنها سبب النزول.
- ٢ - إذا اختلفت ألفاظ الأحاديث في ذكر الآيات النازلة، فبعض الألفاظ مثلاً يذكر آية فقط، وبعضها يذكر أكثر من آية، فلاني في البداية أذكر الزيادة وإن كنت لا أذكر اللفظ الذي وردت فيه.
- ٣ - أقوم بكتابة الآيات بالرسم العثماني في جميع البحث سواء أكان في المتن أم في الحاشية.
- ٤ - قمت بترتيب الآيات حسب ورودها في المصحف.

٥ - قت بعزو الآيات إلى مواضعها من القرآن.

٦ - قت بجمع المادة العلمية (أسباب النزول) من مصادرها الأصلية بالبطاقات أقرأها كتاباً كتاباً فإذا وجدت السبب دونه في البطاقة وذكرت رقمه ورقم الجزء، والصفحة ومن أخرجه، ثم لما فرغت، قت بترتيب البطاقات حسب الآيات، ثم رتبت البطاقات في كل آية حسب الوفيات، وقد استغرق هذا العمل مني سنة وسبعة أشهر. ٧ - جعلت تحت الآيات عنواناً سميت به (سبب النزول) أسوق تحته الحديث الوارد في نزول الآية، أو الأحاديث الواردة إن كانت أكثر من حديث.

٨ - إذا كان الحديث قد أخرج في أكثر من مصنف فإنني أقدم من ذكرت لفظه، ثم من بعده على حسب الوفاة، باستثناء ابن ماجه فإنني أجعله الأخير دوماً وإن تقدمت وفاته لأن العلماء أخروا كتابه في الرتبة.

٩ - إن كان لنزول الآية أكثر من سبب فإنني أجعل لكل سبب رقماً مستقلاً، فإن كان للحديث لفظ آخر من طريق صحابي آخر فإنني أجعل له أيضاً رقماً مستقلاً، وإن كان للحديث لفظ آخر من طريق الصحابي ذاته ذكرته بدون ترقيم.

١٠ - أختار من ألفاظ الأحاديث ما اجتمع فيه صحة الإسناد، والتصريح بالنزول، فإن لم يجتمعا قدمت اللفظ الذي وقع فيه النزول لأن البحث يختص بأسباب النزول.

١١ - إن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما فأنا أستغني بهذا عن التعرض لدراسة إسناده، فإن كان الحديث مشكلاً في كونه سبباً للنزول، فإن أمكن تجاوز الإشكال بدون التعرض لإسناده فعلت، وإن لم يمكن إلا بهذا فإنني أتمس من أهل التخصص في علم الحديث ومعرفة العلل النظر في إسناده وبيان الخلل، على أن هذا - بفضل الله - لم يمس أصول الأحاديث بسوء.

١٢ - إن كان الحديث في غير الصحيحين فإنني أقوم بدراسة إسناده تارةً بتوسع وتارةً باختصار حسبما تقتضيه المصلحة.

١٣ - في دراستي لأسانيد الأحاديث لا أنقل عن المتأخرين شيئاً في الحكم على الحديث.

١٤ - أحكم على أسانيد الأحاديث - ما وسعني ذلك - بالصحة والضعف، والرفع والوقف، والوصل والإرسال.

١٥ - بعد ذكر الأسباب وضعت عنواناً سميت به (دراسة السبب) ثم أبدؤه بقولي: هكذا جاء في سبب نزول هذه الآية، أو الآيات، وقد ذكر هذا الحديث جمهور المفسرين منهم ثم أنقل بعض أقوال المفسرين التي تؤيد كون الحديث سبباً للنزول فإن رأيت يتفق وقواعد النزول أعتمده ثم أمضي، وإن

كان لي وجهة نظر فيما قالوه أبديتها، وإن كان لي دليل ذكرته، ثم أخلص إلى ما أراه صواباً في المسألة.

فإن كان العلماء مختلفين في اعتبار الحديث سبباً للنزول ذكرت من يختاره منهم، ثم ذكرت من يخالفهم، وإن ذكروا أدلةً ذكرتها لهم ثم ناقشتها وخلصت إلى النتيجة.

فإن كان للآية أكثر من سبب نقلت ما يفيد من أقوال العلماء، ثم قارنت بين الأسباب، وناقشتها نقاشاً علمياً، ثم خلصت إلى الصواب الذي أراه.

١٦ - عند المناقشة أسمى للجمع بين الأقوال ما أمكن بشرط أن يكون الجمع سائغاً، فإن لم يكن سائغاً عدلت عنه إلى الترجيح.

١٧ - عند ترجيحي لأحد الأقوال أحاول تنفيذ الأقوال الأخرى كلها إن استطعت، فإن لم أستطع فندت بعضها، وتركزت الأقوال الباقية مرسلّة بلا جواب.

١٨ - أكثر من نقول العلماء في بحثي لأن هذا مما يزيد الأسباب رسوخاً وثبوتاً.

١٩ - أحياناً أنقل أقوال بعض التابعين عند دراستي للأسباب.

٢٠ - إن كان في الأسباب إشكالات علمية لا تمس النزول، ذكرتها، وأجبت عنها.

٢١ - بعد الفراغ من الدراسة ذكرت عنواناً سمّيته (النتيجة) ذكرت فيه خلاصة ما انتهيت إليه، والأسباب التي دعتني إلى اختيار هذه النتيجة.

٢٢ - في غالب دراستي للأسباب اعتمدت الكتب الآتية كمراجع ثابتة:

أ - جامع البيان للطبري.

ب - معالم التنزيل للبغوي.

ج - أحكام القرآن لابن العربي.

د - المحرر الوجيز لابن عطية.

هـ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.

و - تفسير القرآن العظيم لابن كثير.

ز - تيسير الكريم الرحمن للسعدي.

ح - أضواء البيان للشنقيطي.

ط - التحرير والتنوير لابن عاشور.

وإنما اخترت هذه المراجع بخصوصها لأمرين:

الأول: أن مناهج مؤلفيها متباعدة، وهذا التباين يفتح آفاقاً أرحب للدارس.

الثاني: أن عامة هؤلاء المؤلفين ينزعون إلى الاجتهاد وترك التقليد.

الثالث: أن عصور مؤلفيها تمتد من القرن الرابع إلى العصر الحاضر.

٢٣ - قمت بشرح الألفاظ الغريبة في الأحاديث، معتمداً في ذلك على كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير باعتباره معنياً بألفاظ الأحاديث، فإن لم أجده فيه رجعت إلى لسان العرب لابن منظور لكونه يجمع عدداً من المصادر، فإن لم أجده فيه رجعت إلى شروح الأحاديث.

٢٤ - قمت بالتعريف بالقبائل المذكورة معتمداً في هذا على كِتَابِي (جمهرة أنساب العرب) لابن حزم، و (نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب) للقلقشندي.

٢٥ - قمت بترجمة الأعلام غير المشهورين الذين يرد ذكرهم في الأحاديث، وأما الأعلام الذين ترد أسمائهم في

الدراسة فلم ألتزم بالترجمة لهم.

٢٦ - قمت بعزو الأبيات الشعرية إلى قائلها.

٢٧ - ألتزم بجعل أقوال العلماء التي أنقلها بين قوسين، فإن تصرف فيها يسيراً أو اختصرت قليلاً، قلت: اه باختصار، أو بتصرف يسير.

أما إذا نقلت مضمون الكلام دون نصه فأنا لا ألتزم بهذا - أعني جعله بين قوسين -.

٢٨ - إذا نقلت أقوال العلماء فإنني أرتبها حسب الوفاة إلا إذا اقتضى الأمر خلاف ذلك.

٢٩ - حين أذكر العلماء فإنني لا ألتزم بالترحم عليهم؛ لأن التزام ذلك يطول، لكنني أسأل الله لهم المغفرة والرحمة والرضوان على العلم النافع الذي تركوه لمن بعدهم.

٣٠ - إذا ذكرت المرجع أول مرة فإنني أذكر اسمه كاملاً، واسم مؤلفه، وعند التكرار لا أذكر المؤلف، بينما المراجع تختلف، فمنها ما أذكره كاملاً، ومنها ما أذكر بعضه كجامع البيان.

٣١ - تعيين الحديث من الكتاب، يتطلب ذكر اسم الكتاب، والترجمة في الباب وهنا أرمز إلى الكتاب بـ ك، وأما الترجمة في الباب فإن كانت مختصرة ذكرتها كاملة، وإن كانت طويلة اقتصرت على بعضها.

٣٢ - إذا تكرر السبب في موضعين فإنني أحياناً أقوم بدراسته في الموضع الأول وفي الموضع الثاني أحيل على الأول، وأحياناً أرجئ دراسته إلى الموضع الثاني وفي الموضع الأول أشير إلى ذلك بقولي ستأتي دراسته في موضع كذا.

٣٣ - في مناقشة الأقوال حاولت أن أراعي الأدب مع العلماء والإنصاف ما استطعت، والبعد عن التشنج لأن هذا هو دأب علمائنا مع مخالفهم.

وفي خاتمة العمل فإنني أحمد الله - تعالى - وأشكره على التيسير والتسهيل، وأسأله سبحانه أن يقبل العمل مني، ويغفر زلي فيه، ثم أشكر والديَّ الكريمين على دعائهما، وتوجيههما، وأسأله جل وعلا أن يغفر لهما ويرحمهما كما ربياني صغيراً.

ثم أتقدم بالشكر الجزيل لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ولكلية أصول الدين في الرياض، وعلى وجه الخصوص قسم القرآن وعلومه الذي أتاح لي هذه الفرصة.

كما أدعو لشيخنا ووالدنا الفقيه العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله تعالى - وأسكنه الفردوس الأعلى، وجعل ما قدمه في ميزان حسناته، فإنني لا أعلم في نفسي أحداً آمنَّ عليَّ في صحبته وعلبه من فضيلته، وذلك أني لم ألتق العلم من عالم سواه، ولم أطوِّركبتي عند غيره، ولئن كان فضله عاماً على كل من تلمذ عليه، فضله على كاتب هذه السطور خاص، حتى في هذا البحث الذي أمرني بتسجيله، وعرض عليَّ المساعدة في ذلك.

ثم أشكر الشكر الجزيل لشيخي الكريم الأستاذ الدكتور علي بن سليمان العبيد، حيث لم يأل جهداً في قراءة هذا البحث، وتصويبه، بل بذل الكثير من جهده، ووقته، وفكره، فكان مثلاً صادقاً سامياً في خلقه، ودينه. تواضع جم، وتقدير واحترام، ورفق. لا يعنف ولا يوبخ بل يشير عليك ويدع الخيار لك، والحق أني أشعر بالفخر لإشرافه

على رسالتي، وأسأل الله جلّت قدرته أن يحسن إليه في الدنيا والآخرة، وأن يجزيه خير الجزاء وأن يبارك في علمه وعمره وذريته وأن يكثر من أمثاله.

كما لا يفوتني أن أشكر إخواني الكرام من طلاب العلم وأهله على جهودهم التي بذلوها سواء ما كان يتعلق بتحقيق الأحاديث، أو إعارة الكتب، أو حتى المناقشات العلمية وإسداء النصيحة فجزاهم الله خيراً، وأعظم أجورهم، وبارك في أعمارهم.

سيحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

خالد بن سليمان المزيني

التمهيد

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: مكانة أسباب النزول وأهميتها.

المبحث الثاني: فوائد معرفة أسباب النزول.

المبحث الثالث: نشأة علم أسباب النزول.

المبحث الرابع: مصادر أسباب النزول.

المبحث الخامس: بواعث الخطأ في أسباب النزول.

المبحث الأول

مكانة أسباب النزول وأهميتها

القرآن العظيم هو حبل الله المتين وصراطه المستقيم، وحجته البالغة على العالمين يقول - جل وعلا - في وصفه: ﴿وَإِنَّهُ

لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت: ٤١، ٤٢].

أنزله - سبحانه وتعالى - لهداية المتقين فقال - جل شأنه -: ﴿الْم ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ١، ٢].

وجعل من حكم إنزاله إخراج الناس به من ظلمات الجهل والكفر إلى نور العلم والإيمان به، فقال تعالى: ﴿الر

كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].

ثم لم يقصر المنعم المتفضل النعمة على إخراجهم من الظلمات إلى النور بل زادهم من لده خيراً كثيراً ثباتاً وهدى

وبشرى فقال - جل وعلا -: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ

رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ { [النحل: ١٠٢].

وهذه الأوصاف العظيمة وغيرها من المنح الإلهية لا تتحقق للعبد بدون التفكير في القرآن وتدبر معانيه، والنظر

في حكمه، وأسراره، ونحن نشاهد أن أرسخ الناس إيماناً وأعظمهم فهماً هم العلماء الربانيون الذين أوتوا من التدبر

والفكر حظاً عظيماً.

وإذا كان الشأن كذلك فلن يكون الأمر غريباً أن يعيب الله على أولئك المعرضين عن التدبر بقوله: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ

الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤] لأن الله أخبر وهو أصدق القائلين أنه إنما أنزل القرآن للتدبر والتذكر

فقال جل شأنه: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩] وهذا التدبر لا يتأتى إلا بمعرفة تفسير الآية، لأن التدبر بدون فهم المعنى يمتنع ومعرفة تفسيرها لا تمكن بغير معرفة سبب نزولها، قال الواحدي: (إنه يمتنع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها) ١. اهـ.

فإذا كان التدبر لكاتب الله، وهو مفتاح العلوم والمعارف موقوفاً على التفسير، والتفسير موقوفاً على سبب النزول، فإننا ندرك بذلك المنزلة العالية، والمكانة السامية التي تحظى بها أسباب النزول.

ولا شك أن لأسباب النزول أثراً في التفسير وبيان المراد، ومن ذلك:

١ - أن أسباب النزول في غالبها حكايات وقصص، منها ما هو مختصر ومنها ما هو طويل مبسوط، وهذه القصص تصور العصر الإسلامي الأول، وتصور واقع حال الذين كانت تنزل عليهم الآيات القرآنية لتعليمهم، وتوجيههم، وتربيتهم، وتصور بيئتهم العامة، ومفاهيمهم التي كانت سائدة بينهم، من الأمور التي تقدم نفعاً جليلاً في فهم المعنى، إذ هي تبصرة بالمناخ الذي نزل فيه النص، وكثيراً ما يقع المفسر في الخطأ، لأنه فهم النص وهو يضع في اعتباره واقع حال المجتمع الذي يعيش فيه، لا واقع البيئة والمجتمع الذي نزل النص لمعالجته بالتعليم والتوجيه والتربية.

٢ - أن أسباب النزول تكشف لنا عن الظرفين الزماني والمكاني اللذين أنزلت فيهما الآيات، فهو يقدم للمفسر نفعاً جليلاً، ويهديه إلى مفهوم أدق وأقرب إلى المراد، وذلك أن من الآيات ما يلائم ظرفاً من الظروف في حين أنه قد لا يلائم ظرفاً آخر، إذ ما يلائم في مواسم الأعياد قد لا يلائم في أوقات التحريض على الجهاد، وما يلائم حال المناسك قد لا يلائم في مواضع البيع والشراء.

٣ - أن أسباب النزول تبين الحال النفسية والفكرية والاجتماعية التي كان عليها الذين أنزلت عليهم الآيات، وهذا يفيد المفسر في فهم المعنى.

ويدخل في ذلك تصور حالات السلم والحرب، والأمن والخوف، وسعة الرزق والجوع، والنصر والهزيمة، والإيمان والكفر والنفاق ونحو ذلك من الأحوال النفسية التي يستدعي كل منها ما يلائمها من التعليم والتوجيه والتربية. ويدخل في ذلك تصور الحالات الاجتماعية كالبداوة والتحضر، والرفعة والضعف، والقيادة والانقياد وغيرها من الأحوال التي تتطلب ما يلائمها من البيان ٢.

وكل هذا إنما ينكشف ويتبين بمعرفة أسباب النزول.

ومما يبرز أهمية أسباب النزول ومكانتها احتواؤها على حكم التشريع البالغة وأسرارها الباهرة التي هي من أكبر الشواهد على كمال علم الرب تعالى، وحكمته، ورحمته وبره بعباده، ولطفه بهم، وما اشتملت عليه من بيان مصالح الدارين والإرشاد إليها، وبيان مفاسد الدارين والنهي عنها، وأنه سبحانه لم يرحمهم في الدنيا برحمة. ولم يحسن إليهم

^١ حاشية المزني: قال ابن كثير بعد سياقه لكلام الطبري وابن أبي حاتم في قصة عمر: (وهذان الإسنادان يدلان على أن الشعبي حدث به عن عمر، ولكن فيه انقطاع بينه وبين عمر فإنه لم يدرك زمانه والله أعلم). تفسير القرآن العظيم (١: ١٣١).

^٢ حاشية المزني: أخرجه البخاري، كتاب التهجد، باب قيام النبي صلى الله عليه وسلم بالليل في رمضان وغيره (١: ٣٨٥) رقم (١٠٩٦)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي (١: ٥٠٨) رقم (٧٣٨).

إحساناً أعظم من إحسانه إليهم بهذا الدين القيم وهذه الشريعة الكاملة، ولهذا لم يذكر في القرآن لفظة المن عليهم إلا في سياق ذكرها كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤] وقوله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧]^١. وليس يخفى على كل منصف أن العلم بالحكمة الداعية إلى التشريع، يزيد الإيمان واليقين في قلوب المكلفين، وتطمئن به نفوسهم، وتقر به عيونهم، ولهذا

نجد أن الله يقرن الحكم بعلته في مواضع عديدة من كتابه الكريم كقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لَتَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ [البقرة: ١٤٣]. وقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا بِيَسَاءٍ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَظْهَرْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وقوله تعالى: ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَذًى لَكُمْ﴾ [النساء: ٣].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١].

فأسباب النزول تكشف حكم الشريعة وأسرارها وفي هذا من الخير ما لا يخفى.

ومن الآثار الحسنة لأسباب النزول، والتي تظهر فيها مكانتها وتسمو بها منزلتها لإزالتها للإشكالات التي قد تنشأ عند بعض الناس من فهم غير سديد لآيات القرآن فيفهم منها ما لا يفهم، ويظن فيها ما لا يظن، وما ذاك إلا لخفاء أسباب نزول الآيات على أولئك، وعدم علمهم بها، ولو علموا هذه الأسباب وفيما كانت، لتحولت أفهامهم، واستقامت على الصواب نظرهم وإذا كانت المعاني القرآنية قد تشكل على بعض الصحابة كما وقع لقدامة بن مظعون - رضي الله عنه - حين ظن أن شرب الخمر جائز واستدل على ذلك بالكتاب، حتى بين له عمر وابن عباس - رضي الله عنهما - أن الآية التي استدل بها هي حجة عليه، وعذراً لمن مات من الصحابة - رضي الله عنهم - وهم يشربون الخمر قبل تحريمها.

أو تشكل على بعض كبار التابعين كما جرى لعروة بن الزبير - رضي الله عنهما - مع خالته عائشة - رضي الله عنها - حين ظن أن السعي بين الصفا والمروة ليس واجباً أخذاً من قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨] فبينت له أم المؤمنين - رضي الله عنها - سبب نزولها، وأن اللفظ لا يدل على عدم الوجوب.

أو كما جرى لمروان - رحمه الله - حين أشكل عليه قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٨٨]. فأزال ابن عباس - رضي الله عنهما - الإشكال من قلبه ببيان سبب نزولها وأنها ليست كما يظن مروان.

^١ حاشية المزيني: أخرجه مسلم، كتاب الحيض، باب صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما (١: ٢٥٢) رقم (٣١٥).

أقول إذا كانت هذه الإشكالات تقع من هؤلاء الأكابر مع رسوخهم في الدين والعلم، فكيف الظن بمن بعدهم من الذين لم يدركوا ما أدرك هؤلاء السابقون من الخير والدين، ولم تسعفهم علومهم في فهم شيء من أسباب النزول بته، ولم تنطلق ألسنتهم بلغة القرآن والسنة.

أليس هؤلاء أحوج ما يكونون إلى فهم أسباب النزول أجمع والعناية بها ليتمكنوا من فهم معاني القرآن، وفهم نزول، وفهم أريد به؟

والجواب: بلى وفي ظني وتقديري القاصرين أن حاجتهم ماسة للجميع وليس للآيات المشكلة فحسب؛ لأن السحب بينهم وبين فهم القرآن جد كثيفة.

وقد تحدث ابن عاشور عن أهمية أسباب النزول ومكانتها في مقدمة تفسيره حيث قال: إن من أسباب النزول ما ليس المفسر بغنى عن علمه؛ لأن فيها بيان مجمل أو إيضاح خفي وموجز، ومنها ما يكون وحده تفسيراً، ومنها ما يدل المفسر على طلب الأدلة، التي بها تأويل الآية أو نحو ذلك، فني صحيح البخاري أن مروان بن الحكم أرسل إلى ابن عباس يقول: لئن كان كل امرئ فرح بما أتى، وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً لنعذب أجمعون، يشير إلى قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُونَ أَنَّ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فأجاب ابن عباس قائلاً: إنما دعا النبي - صلى الله عليه وسلم - اليهود، فسألهم عن شيء فكتموه إياه، وأخبروه بغيره فأروه أنهم قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم وفرحوا بما أتوا من كتمانهم ثم قرأ ابن عباس: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} ... {الآية ١}.

وفي الموطأ عن هشام بن عروة بن الزبير عن أبيه أنه قال: قلت لعائشة أم المؤمنين وأنا يومئذ حديث السن: رأيت قول الله تعالى: {إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرَّةَ}

مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَنَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا} فما على الرجل شيء ألا يطوف بهما، قالت عائشة: كلا، لو كان كما تقول لكنت: فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما، إنما أنزلت هذه الآية في الأنصار، كانوا يهلون لمناة، وكانوا يخرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن ذلك فأنزل الله تعالى: {إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرَّةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ} ^٢ ومنها: ما ينبه المفسر إلى إدراك خصوصيات بلاغية تتبع مقتضى المقامات، فإن من أسباب النزول ما يعين على تصوير مقام الكلام.

ثم ذكر أنه تصفح أسباب النزول التي صحت أسانيدها فوجدها أقسام:

منها: ما هو المقصود من الآية يتوقف فهم المراد منها على علمه فلا بد من البحث عنه للمفسر، وهذا منه تفسير مبهمات القرآن مثل قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١]، ونحو: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا﴾ [البقرة: ١٠٤] ومثل بعض الآيات التي فيها ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾.

^١ حاشية المزيني: للاستزادة. انظر: العجائب في بيان الأسباب، لابن حجر حيث ساقه وصححه (٢: ٧١٦).

^٢ حاشية المزيني: النساء: بالفتح مقصور على وزن عصا - وهو عرق يخرج من الورك إلى الكعب والأفصح أن يقال: النساء لا عرق النساء - لسان العرب (١٥: ٣٢١) مادة (نسا).

ومنها: ما يفيد البحث فيه زيادة تفهم في معنى الآية، وتمثيلاً لحكمها وهي مساوية لمدلولات الآيات النازلة عند حدوثها مثل قصة عويمر العجلاني الذي نزلت عليه آية اللعان^١، ومثل حديث كعب بن عجرة الذي نزلت عليه آية: {فَن كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ} ٥٠ { [البقرة: ١٩٦].

ومنها: قسم بين مجملات، ويدفع متشابهات مثل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

فإذا ظن أحد أن (من) للشرط أشكل عليه كيف يكون الجور في الحكم كفراً، ثم إذا علم أن سبب النزول هم النصارى علم أن (من) موصولة، وعلم أن الذين تركوا الحكم بالإنجيل لا يتعجب منهم أن يكفروا بمحمد.

ومن هذا القسم ما لا يبين مجملًا، ولا يؤول متشابهًا، ولكنه يبين وجه تناسب الآي بعضها مع بعض كما في قوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُفْسِدُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣] فقد تخفى الملازمة بين الشرط وجزائه فيبينها ما في الصحيح عن عائشة - رضي الله عنها - أن عروة بن الزبير سألها عنها فقالت: (هي اليتيمة تكون في حجر وليها تشركه في ماله فيريد أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها فتها أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن في الصداق فأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن) ٣٢.هـ.

وبهذا تبين لنا مكانة أسباب النزول وأهميتها في فهم الكتاب العزيز، وإزالة ما قد يعلق بالأذهان من إشكال في فهم معاني القرآن، كما تكشف عن حكم الشريعة وأسرارها الباهرة، والله أعلم.

المبحث الثاني

فوائد معرفة أسباب النزول

لمعرفة أسباب النزول فوائد عديدة تناول ذكرها طائفة من العلماء المحققين أوجزها في الآتي:

الفائدة الأولى: أن معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية.

قال الواحدي عن أسباب النزول: (إذ هي أوفى ما يجب الوقوف عليها، وأولى ما تصرف العناية إليها، لامتناع معرفة تفسير الآية، وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها) ٤.هـ.

وقال ابن دقيق العيد: (بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن) ٥.هـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب، ولهذا كان أصح قول الفقهاء أنه إذا لم يعرف ما نواه الخالف رُجع إلى سبب يمينه، وما هيجه وأثارها) ٦.هـ.

وقال الشاطبي مقررًا هذا المعنى: (إن علم المعاني والبيان الذي يعرف به إعجاز نظم القرآن فضلاً عن معرفة مقاصد

^١ حاشية المزني: أضنى: أي أصابه الضنى، وهو شدة المرض حتى نحل جسمه. النهاية (٣: ١٠٤) مادة (ضنا).

^٢ حاشية المزني: العرق: العظم إذا أخذ عنه معظم اللحم. النهاية (٣: ٢٢٠) مادة (عرق).

^٣ حاشية المزني: السل: انتزاع الشيء وإخرجه في رفق. لسان العرب (١١: ٣٣٨) مادة (سل).

^٤ حاشية المزني: أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٣: ١٠٦٧) رقم (٥٠٨) وإسناده صحيح.

^٥ حاشية المزني: الاختراف: لَقَطَ النخل بَسْرًا كان أو رطبًا. لسان العرب (٩: ٦٤) مادة (خرف).

^٦ حاشية المزني: أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلْجَبْرِيلِ﴾ (٤: ١٦٢٨) رقم (٤٢١٠).

كلام العرب إنما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال: حال الخطاب من جهة نفس الخطاب، أو المخاطب، أو المخاطب، أو الجميع، إذ الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالين، وبحسب مخاطبين، وبحسب غير ذلك، كالاستفهام لفظه واحد، ويدخله معان أخر من تقرير، وتوبيخ وغير

ذلك، وكالأمر يدخله معنى الإباحة والتهديد والتعجيز وأشباهها ولا يدل على معناها المراد إلا الأمور الخارجة، وعمدتها مقتضيات الأحوال، وليس كل حال يُنقل، ولا كل قرينة تقتزن بنفس الكلام المنقول، وإذا فات نقل بعض القرائن الدالة فات فهم الكلام جملة، أو فهم شيء منه، ومعرفة الأسباب رافعة لكل مشكل في هذا النمط، فهي من المهمات في فهم الكتاب بلا بد، ومعنى معرفة السبب هو معنى معرفة مقتضى الحال^١ اهـ.

ومن آيات القرآن التي كان لسبب النزول أثر في فهم معناها ما يلي:-

١ - أخرج البخاري وأحمد ومسلم والنسائي عن البراء بن عازب - رضي الله عنه - قال: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت وأنه صلى أو صلاها، صلاة العصر، وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان صلى معه فر على أهل المسجد، وهم راكعون، قال: أشهد بالله، لقد صليت مع النبي - صلى الله عليه وسلم - قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت، وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحول قبل البيت رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم، فأُنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾^٢ فسبب النزول هنا بين أن المراد بالإيمان هنا الصلاة، وليس التصديق المتضمن للقبول والإذعان، ولولا سبب النزول ما كنا لنقف على المعنى الصحيح للآية.

٢ - أخرج البخاري ومسلم عن البراء - رضي الله عنه - قال: نزلت هذه الآية فينا، كانت الأنصار إذا حجوا فجأؤوا، لم يدخلوا من قبل أبواب بيوتهم ولكن من ظهورها، فجاء رجل من الأنصار، فدخل من قبل بابه فكأنه غير بذلك فنزلت: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾^٣. فسبب النزول بين أن المراد بالإتيان هو الدخول وليس مجرد المجيء، كما أفاد أن المراد بالبيوت بيوتهم وليست بيوت غيرهم، ولولا وجود سبب النزول ما تبين هذان المعنيان من لفظ الآية المجرد.

٣ - أخرج البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة - رضي الله عنها -: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ قالت: هي اليتيمة في حجر ولها فيرجب في جمالها، ومالها، ويريد أن يتزوجها بأدنى من سنة نساءها فنوا عن نكاحهن إلا أن يقسطوا لهن في إكمال الصداق، وأمروا بنكاح من سواهن من النساء^٤. فسبب النزول هنا بين الصلة في الآية بين الأمر بالقسط في اليتامى، وبين نكاح ما طاب

^١ حاشية المزيني: فتح الباري (٨:١٦).

^٢ حاشية المزيني: الإصابة في تمييز الصحابة (٢:٢٧١) رقم (٤٥٠٧).

^٣ حاشية المزيني: حيلاه: أي تلقاء وجهه. النهاية في غريب الحديث والأثر (١:٤٧٠) مادة (حيل).

^٤ حاشية المزيني: أخرجه الترمذي، أبواب الصلاة، باب ما جاء في الرجل يصلي لغير القبلة في الغم (١:٣٧٤) رقم (٣٤٥) وانظر (٢٩٥٧)، وابن ماجه في سننه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب من يصلي لغير القبلة وهو لا يعلم (١:٣٢٦) رقم (١٠٢٠)، والطيالسي

رقم (١١٤٥) وغيرهم من طرق عن عاصم بن عبيد الله - وهو العمري - عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه فذكره.

ومدار الحديث على عاصم، وهو ضعيف الحديث - كما في التقريب (٣٠٦٥) - وعبارات الأئمة تدور على تضعيفه وتليينه، ومنهم من وضعفه

من النساء، ولولا وجود السبب لم تثبت الصلاة.

الفائدة الثانية: أن العلم بسبب النزول يرفع الإشكال، ويحسم النزاع قال الشاطبي: (إن الجهل بأسباب التنزيل موقع في الشبهة والإشكالات، ومُورد للنصوص الظاهرة مُورد الإجمال حتى يقع الاختلاف، وذلك مظنة وقوع النزاع ويوضح هذا المعنى ما روى أبو عبيد عن إبراهيم التيمي. قال: خلا عمر ذات يوم، فجعل يحدث نفسه: كيف تختلف هذه الأمة، ونبيها واحد، وقبلتها واحدة فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين إنا أنزل علينا القرآن فقرأناه، وعلنا فيم نزل، وإنه سيكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن، ولا يدرون فيم نزل، فيكون لهم فيه رأي، فإذا كان لهم فيه رأي اختلفوا، فإذا اختلفوا اقتتلوا. قال: فزجره عمر وانتهره، فانصرف ابن عباس، ونظر عمر فيما قال، فعرفه فأرسل إليه، فقال: أعد علي ما قلت، فأعاده عليه، فعرّف عمر قوله وأعجبه، وما قاله صحيح في الاعتبار، ويتبين بما هو أقرب.

فقد روى ابن وهب عن بكير أنه سأل نافعاً كيف كان رأي ابن عمر في الحرورية؟

قال: يراهم شرار خلق الله، إنهم انطلقوا إلى آيات أنزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين. فهذا معنى الرأي الذي نبه ابن عباس عليه، وهو الناشئ عن الجهل بالمعنى الذي نزل فيه القرآن.

ثم ذكر أمثلة حتى انتهى إلى قوله: وهذا شأن أسباب النزول في التعريف بمعاني المنزل، بحيث لو فقد ذكر السبب، لم يُعرف من المنزل معناه على الخصوص دون تطرق الاحتمالات، وتوجه الإشكالات.

وقد قال ابن مسعود في خطبة خطبها: والله لقد علم أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - أني من أعلمهم بكتاب الله^١، وقال في حديث آخر: والذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت؟ ولا أنزلت

آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم أنزلت؟ ولو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لركبت إليه (٢).

وهذا يشير إلى أن علم الأسباب من العلوم التي يكون العالم بها عالماً بالقرآن.

وعن الحسن أنه قال: ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن يُعلم فيم أنزلت وما أراد بها؟ وهو نص في الموضع مشير إلى التحريض على تعلم علم الأسباب^٢ ١٠٠هـ باختصار.

جداً، حتى قال أبو حاتم والبخاري: منكر الحديث، زاد أبو حاتم: مضطرب الحديث ليس له حديث يعتمد عليه، وما أقربه من ابن عقيل. ينظر: تهذيب الكمال (١٣:٥٠٠).

وقد نص جماعة من الحفاظ على تضعيف الحديث كالعقيلي في الضعفاء (١:٣١) حيث قال: وأما حديث عامر بن ربيعة، فليس يُروى من وجه يثبت منته.

ومنه الترمذي (١:٣٧٥)، والبيهقي في السنن (٢:١٢) حيث قال - عقب ذكر حديث عامر، وحديث جابر بنفس المعنى -: ولا نعلم لهذا الحديث إسناداً صحيحاً قوياً... ثم رجع حديث ابن عمر، والذي في كتابه المذهب في اختصار السنن الكبير. البيهقي (١:٤٦٣).

^١ حاشية المزني: المعلم: ما جعل علامة للطرق والحدود مثل أعلام الحرم ومعامله. النهاية (٣:٢٩٢) مادة (علم).

^٢ حاشية المزني: أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جواز صلاة النافلة على الدابة (١:٤٨٦) رقم (٧٠٠)، وأحمد في

المسند (٨:٣٣٧) رقم (٤٧١٤)، والترمذي في سننه، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة البقرة (٥:٧٣) رقم (٢٩٥٨)، والنسائي، كتاب الصلاة، باب الحال التي يجوز فيها استقبال غير القبلة (١:٢٦٤) رقم (٤٩٠).

ومن آيات القرآن التي كان لسبب النزول أثر في دفع الإشكال عنها ما يلي:

١ - أخرج البخاري ومالك وأحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن عروة بن الزبير قال: قلت لعائشة - رضي الله عنها - أرايت قول الله - تبارك وتعالى -: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ فلا أرى على أحد شيئاً أن لا يطوف بهما؟ فقالت عائشة: كلا، لو كانت كما تقول، كانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما، إنما أنزلت هذه الآية في الأنصار كانوا يهلون لمناة، وكانت مناةً حذو قديد، وكانوا يخرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن ذلك فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾^١.

فسبب النزول هنا دفع الإشكال الذي وقع في نفس عروة حين ظن أن السعي بين الصفا والمروة ليس واجباً فبينت له أم المؤمنين - رضي الله عنها - أن الآية إنما أنزلت لرفع الحرج عمن امتنع من السعي بينهما، بسبب ما كانوا يفعلونه في الجاهلية، والله أعلم.

٢ - أخرج مسلم وأحمد والبخاري والترمذي والنسائي أن مروان قال: اذهب يا رافع (لبؤانه) إلى ابن عباس فقل: لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى، وأحب أن يمدح بما لم يفعل معذباً لنعذب أجمعون، فقال ابن عباس: ما لكم ولهذه الآية؟ إنما أنزلت هذه الآية في أهل الكتاب سألهم النبي - صلى الله عليه وسلم - عن شيء فكتموه إياه، وأخبروه بغيره، فخرجوا قد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إياه ما سألهم عنه^٢.

فسبب النزول هنا بين أن الأمر ليس كما ظنه مروان، بل الآية نزلت بسبب اليهود حين كتموا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما سألهم عنه، وأخبروه بغيره وفرحوا بكتمانهم إياه ما سألهم عنه، والله أعلم.

٣ - أخرج البخاري وأحمد والدارمي ومسلم عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: كنت ساقى القوم في منزل أبي طلحة، وكان نمرهم يومئذ الفضيخ فأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منادياً ينادي، ألا إن الخمر قد حرمت، قال: فقال لي أبو طلحة: اخرج فأهرقها، فخرجت فهرقتها، فجرت في سكك المدينة، فقال بعض القوم: قد قُتل قوم وهي في بطونهم فأنزل الله: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا﴾^٣.

فعنى هذه الآية أشكل على قدامة بن مظعون - رضي الله عنه - حيث فهم منها جواز شرب الخمر قال الشاطبي: (وروي أن عمر استعمل قدامة بن مظعون على البحرين، فقدم الجارود على عمر، فقال: إن قدامة شرب فسكره فقال عمر: من يشهد على ما تقول؟ قال الجارود: أبو هريرة يشهد على ما أقول، وذكر الحديث، فقال عمر: يا قدامة

^١ حاشية المزيبي: جامع البيان (١:٥٠٣)، معالم التنزيل (١:١٠٨)، المحرر الوجيز (١:٣٣٦)، الجامع لأحكام القرآن (٢:٨٠)، تفسير القرآن العظيم (١:١٥٨).

^٢ حاشية المزيبي: أحكام القرآن (١:٣٥).

^٣ حاشية المزيبي: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١:١٥٧).

إني جالدك، قال: والله لو شربتُ كما يقولون ما كان لك أن تجلدني، قال عمر: ولم؟ قال: لأن الله يقول: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ﴾ فقال عمر: إنك أخطأت التأويل يا قدامة، إذا اتقيت الله اجتنبت ما حرم الله، وفي رواية فقال: لم تجلدني؟ بيني وبينك كتاب الله. فقال عمر: وأي كتاب الله تجد أن لا أجلدك؟ قال: إن الله يقول في كتابه: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ .. { الآية فأنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا } شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرًا • وأحدًا • والحنديق • والمشاهد • فقال عمر: ألا تردون عليه قوله • فقال ابن عباس: إن هؤلاء الآيات أنزلن عذرًا للماضين • وحجة على الباقيين فعذر الماضين بأنهم لقوا الله قبل أن تحرم عليهم الخمر • وحجة على الباقيين لأن الله يقول: ({يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ } ثم قرأ إلى آخر الآية الأخرى،

فإن كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ثم اتقوا وآمنوا، ثم اتقوا وأحسنوا فإن الله قد نهى أن يشرب الخمر. قال عمر: صدقت) ١٠١هـ.

فقدامة بن مظعون - رضي الله عنه - لما جهل سبب نزول الآية استدل بها على جواز شرب الخمر فوقع في الإشكال، والصحابة - رضي الله عنهم - لعلمهم بسبب النزول أبطلوا استدلاله بالآية على شرب الخمر. الفائدة الثالثة: أن معرفة سبب النزول تبين الحكمة الداعية إلى تشريع الحكم.

قال الزركشي: (وأخطأ من زعم أنه لا طائل تحته - يعني العلم بأسباب النزول - لجريانه مجرى التاريخ وليس كذلك بل له فوائد:

منها: وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم) ١٠٢هـ.

قال الزرقاني مبيناً فائدة العلم بحكمة التشريع: (وفي ذلك نفع للمؤمن وغير المؤمن. أما المؤمن فيزداد إيماناً على إيمانه، ويحرص كل الحرص على تنفيذ أحكام الله، والعمل بكلمه لما يتجلى له من المصالح والمزايا التي نيطت بهذه الأحكام، ومن أجلها جاء هذا التنزيل، وأما الكافر فتسوقه تلك الحكم الباهرة إلى الإيمان إن كان منصفاً حين يعلم أن هذا التشريع الإسلامي قام على رعاية مصالح الإنسان، لا على الاستبداد، والتحكم، والظغيان؛ خصوصاً إذا لاحظ سير ذلك التشريع وتدرجه في موضوع واحد. وحسبك شاهداً على هذا تحريم الخمر وما نزل فيه) ١٠٣هـ. ومن الأمثلة التي يبين فيها السبب الحكمة الداعية إلى تشريع الأحكام؛ ما يلي:

^١ حاشية المزني: البحر المحيط (١:٥٣٠).

^٢ حاشية المزني: التحرير والتنوير (١:٦٨٢).

^٣ حاشية المزني: أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، أبواب القبلة، باب ما جاء في القبلة ومن لا يرى الإعادة على من سها فصل إلى غير القبلة (١:١٥٧) رقم (٣٩٣)، وأخرجه في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ (٤:١٦٢٩) رقم (٤٢١٣)، وأحد في المسند (١:٢٩٧) رقم (١٥٧) وانظر (١٦٠)، (٢٥٠)، والدارمي في سننه، كتاب المناسك، باب الصلاة خلف المقام (٢:٦٧) رقم (١٨٤٩)، والترمذي في سننه، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة البقرة (٥:٧٤) رقم (٢٩٥٩، ٢٩٦٠)، والنسائي في الكبرى، كتاب التفسير قوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ (٢٩٠، ٦:٢٨٩) رقم (١٠٩٩٨).

^٤ حاشية المزني: انظر: جامع البيان (١:٥٣٤)، معالم التنزيل (١:١١٣)، المحرر الوجيز (١:٣٥٢)، الجامع لأحكام القرآن (٢:١١٢)، تفسير القرآن العظيم (١:١٦٩).

١ - أخرج البخاري وأحمد ومسلم والترمذي والنسائي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا﴾ قال: نزلت ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - مختفٍ بمكة، وكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن، ومن أنزله، ومن جاء به فقال الله لنبيه - صلى الله عليه وسلم - : ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ أي: بقرائك، فيسمع المشركون فيسبوا القرآن، ﴿وَلَا تُخَافِتُ بِهَا﴾ عن أصحابك فلا تسمعهم ﴿وَأُتِنِعَ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾^١.

فلاية خلت من ذكر الحكمة الداعية إلى التشريع، بينما السبب نص عليها، وهي كف المشركين عن سب القرآن، ومن أنزله، ومن جاء به.

٢ - أخرج مسلم وأحمد والدارمي والترمذي والنسائي عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أنه سئل عن المتلاعنين أيفرق بينهما؟ قال: سبحان الله نعم إن أول من سأل عن ذلك فلان بن فلان. قال: يا رسول الله أرايت أن لو وجد أحدنا امرأته على فاحشة كيف يصنع؟ إن تكلم تكلم بأمر عظيم، وإن سكت سكت على مثل ذلك... الحديث^٢.

فآيات اللعان خلت من ذكر الحكمة الداعية إلى التشريع، لكن السبب بينها، ذلك أن الزوج هنا بين أمرين أحلاهما مرٌّ، فإن تكلم فخذ القذف أمامه، وإن سكت سكت على أمر عظيم كما قال. ولن يطيق هذا مؤمن فكانت مشروعية اللعان مخرجاً من حد القذف، أو السكوت على الريبة، والله أعلم.

٣ - أخرج مسلم وأحمد والبخاري عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فوجد الناس جلوساً ببابه، لم يؤذن لأحد منهم، قال: فأذن لأبي بكر فدخل، ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له، فوجد النبي - صلى الله عليه وسلم - جالساً حوله نساؤه، واجماً، ساكناً، قال: لأقولن شيئاً أضحك النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله، لو رأيت بنت خاتمة النفقة، فقمت إليها فوجأت عنقها، فضحك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال: (هن حولي كما ترى يسألني النفقة)، فقام أبو بكر لعائشة يجأ عنقها، فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها كلاهما يقول: تسألن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما ليس عنده، فقلن: والله لا نسأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شيئاً أبداً ليس عنده ثم اعتزلن شهراً ثم نزلت عليه هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ﴾ - حتى بلغ ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾^٣.

فسبب النزول بين الحكمة الباعثة على تخييرهن بهذه الآية، وهي سؤالهن النفقة من رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، أما الآية فلم تتناول الحكمة بالحديث عنها، والله أعلم.

الفائدة الرابعة: أن يخصص الحكم بالسبب الذي نزل من أجله.

^١ حاشية المزني: فتح الباري لابن حجر (١:٦٠٢).

^٢ حاشية المزني: جامع البيان (١:٥٣٦).

^٣ حاشية المزني: الأكمة: الموضع الذي هو أشد ارتفاعاً مما حوله. لسان العرب (١٢:٢١) مادة (أكم).

قال الزركشي: (ومنها: تخصيص الحكم به - أي بالسبب - عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب) ^١ اهـ.
وتخصيص الحكم بالسبب لا ينافي العموم، لكن القائلين به يقولون أخذنا ذلك العموم من القياس، أي قياس
الحوادث المشابهة على الحوادث الواقعة في العهد النبوي، ولم نأخذ العموم من طريق اللفظ العام؛ لأن هذا اللفظ
العام مختص بسببه.
الفائدة الخامسة: دفع توهم الحصر.

قال الزركشي: (قال الشافعي في معنى قوله تعالى: {قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا} ... { [الأنعام: ١٤٥]
الآية: إن الكفار لما حرموا ما أحل الله، وأحلوا ما حرم الله، وكانوا على المضادة والمحاددة، جاءت الآية مناقضةً
لغرضهم فكأنه قال: لا حلال إلا ما حرمتهم، ولا حرام إلا ما أحللتهم نازلاً منزلة من يقول: لا تأكل اليوم
حلاوة، فتقول: لا أكل اليوم إلا الحلاوة، والغرض: المضادة لا النفي والإثبات على الحقيقة، فكأنه قال: لا
حرام إلا ما حللتهم من الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله به، ولم يقصد حل ما وراءه، إذ القصد
إثبات التحريم لا إثبات الحل) ^٢ اهـ.

الفائدة السادسة: بيان أخصية السبب بالحكم.

قال الطوفي: (أي أن السبب أخص بالحكم من غيره من صوره لأن اللفظ ورد بياناً لحكم السبب فكان مقطوعاً
به فيه فيمتنع تخصيصه بالاجتهاد) ^٣ اهـ بتصرف.
الفائدة السابعة: معرفة التاريخ.

قال الطوفي: (معرفة تاريخ الحكم بمعرفة سببه، مثل أن يقال: قذف هلال بن أمية امرأته في سنة كذا فنزلت آية
اللعان فيعرف تاريخها بذلك، وفي معرفة التاريخ فائدة معرفة الناسخ من المنسوخ) (٢) ^٤ اهـ.
الفائدة الثامنة: قال الطوفي: (ومنها توسعة علم الشريعة بمعرفة الأحكام بأسبابها، فيكثر ثواب المصنفين، كالذين
صنفوا أسباب نزول القرآن، والمجتهدين بسعة محل اجتهدهم) (٢) ^٥ اهـ.

الفائدة التاسعة: التأسي والافتداء بما وقع للسلف من حوادث.

قال الطوفي: (ومنها: التأسي بوقائع السلف وما جرى لهم، فيخف حكم المكروه على الناس، كمن زنت زوجته
فلاعنها، فهو يتأسى بما جرى لهلال بن أمية، وعويمر العجلاني في ذلك، ويقول: هؤلاء خير مني، وقد جرى لهم
هذا فليأسوه بهم) ^٤ اهـ.

الفائدة العاشرة: تعيين المبهم.

قال السيوطي: (ومنها معرفة اسم النازل فيه الآية وتعيين المبهم فيها) ^٥ اهـ.

^١ حاشية المزيني: أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب (يزفون) (٣: ١٢٣٠) رقم (٣١٨٤).

^٢ حاشية المزيني: أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب (يزفون) (٣: ١٢٣١) رقم (٣١٨٥).

^٣ حاشية المزيني: النفاذ: جواز الشيء والخلوص منه. لسان العرب (٣: ٥١٤) مادة (نفذ).

^٤ حاشية المزيني: أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم (٢: ٨٨٧) رقم (١٢١٨).

^٥ حاشية المزيني: قال ابن حجر: إسناده صحيح. فتح الباري (٨: ١٩).

قال الزرقاني: (معرفة من نزلت فيه الآية على التعيين، حتى لا يشتبه بغيره فيتهم البريء ويبرأ المريب) ١٠١هـ. وسأذكر بعض الأمثلة الدالة على هذا فأقول:

١ - أخرج البخاري عن البراء بن عازب - رضي الله عنه - قال: وقال السفهاء من الناس - وهم اليهود -: {مَا وَلَاَهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ} ٠٠ {البقرة: ١٤٢} ٢ فقد فسر السفهاء هنا بأنهم اليهود.

٢ - أخرج النسائي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: لما قدم كعب بن الأشرف مكة قالت له قريش: ألا ترى إلى هذا المنبر من قومه يزعم أنه خير منا؟

قال: أتم خير منه فنزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَالطَّاعُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء: ٥١] ٣.

٣ - أخرج البخاري عن يوسف بن ماهك قال: كان مروان على الحجاز، استعمله معاوية، نخطب بفعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئاً فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة فلم يقدروا، فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَا إِلَهُي لَكُمَا أَتَعِدَانِي﴾ [الأحقاف: ١٧] فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل عذري ٤. الفائدة الحادية عشر: تيسير الفهم والحفظ.

قال الزرقاني: (تيسير الحفظ وتسهيل الفهم، وثبتت الوحي في ذهن كل من يسمع الآية إذا عرف سببها، وذلك لأن ربط الأسباب بالمسببات، والأحكام بالحوادث، والحوادث بالأشخاص والأزمنة والأمكنة كل أولئك من دواعي تقرر الأشياء، وانتقاشها في الذهن، وسهولة استدراكها عند استدكار مقارناتها في الفكر وذلك هو قانون تداعي المعاني المقرر في علم النفس) ١٠٥هـ.

هذه أبرز الفوائد الناشئة عن معرفة أسباب النزول، وأهمها الثلاثة الأول، والله أعلم.

المبحث الثالث

نشأة علم أسباب النزول

مدخل: نشأة علم ما أمر يحتاج إلى رصد وملاحظة منذ اللبّات الأولى التي قام عليها بناء هذا العلم، وهكذا تبدأ العلوم بجزئيات متفرقة لا تحمل اسماً يميزها، ومع تكاثرها، وظهور شيء من ملاحظتها العامة تنطوي تحت الاسم العام الذي يشملها، ويشمل غيرها بجامع من التجانس العلمي، ولكن هذا ليس آخر المطاف - بالنسبة إلى بعض العلوم - حيث يمضي في التشكل والنمو، وتنتظر الهمم في دراسته وتطوره حتى يستقل بنفسه ويتميز باسمه الخاص، وهكذا علم أسباب النزول بدأ بروايات متفرقة لا يضمها اسم، ولا يجمعها كتاب، فلم يزل ينمو ويتطور حتى انتهى

^١ حاشية المزيني: قال ابن حجر: سنده قوي. انظر المصدر السابق.

^٢ حاشية المزيني: تفسير القرآن العظيم (١: ١٧٠، ١٧١).

^٣ حاشية المزيني: فتح الباري (٨: ١٩).

^٤ حاشية المزيني: التحرف: هو الميل والعدول عن الشيء. لسان العرب (٩: ٤٣) مادة (حرف).

^٥ حاشية المزيني: أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة حيث كان (١: ١٥٥) رقم (٣٩٠).

به المآل إلى الحال التي هو عليها الآن مروراً بالمراحل التالية:

أولاً: عهد النبي - (ص) - والصحابة - رضي الله عنهم :-

ارتبط هذا العلم في بداياته الأولى بالوحي الإلهي الذي كان ينزل به جبريل - عليه السلام - من رب العالمين - جل وعلا - على النبي - صلى الله عليه وسلم - على إثر حادثة تحدث، أو سؤال يُسأل، أو مقالة تُقال، أو شكاية ترفع فينزل الوحي لبيان هذا الأمر الطارئ، فيحفظ ذلك من حضره من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ويكون ذلك من جملة العلم الذي تلقوه عن نبيهم - صلى الله عليه وسلم - لكنه يتميز بأنه أمر حادث يعقبه وحي إلهي ينزل، ويحفظ في الصدور، حيث لم تكن الكتابة آنذاك أسلوباً مستعملاً لعامة الناس.

فالصحابة عرب خُص أميون لا يقرؤون ولا يكتبون، فكل اعتمادهم على ملكاتهم في الحفظ، وقوة شأنتهم فيه، واعتبر ذلك بحالهم في الجاهلية فقد حفظوا أنسابهم، ومناقبهم، وأشعارهم، وخطبهم.

فكانت هذه الصدور الحافظة مهذاً لآي الذكر الحكيم، وكانت هذه القلوب الواعية أوعية لحديث النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم -^١.

ثانياً: عهد التابعين قبل تدوين السنة:

انتهى العهد النبوي الشريف بموت المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وحمل الراية بعده أصحابه الكرام، حيث نذروا أنفسهم لتبليغ الدين بكل ما يستطيعون من قول أو عمل أو جهاد أو بذل، فكان التابعون يقصدون أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - لأخذ العلم عنهم بالسؤال تارةً، وبصحبتهم وسماع ما يروون تارةً، وكان هذا العلم من جملة ما حفظه التابعون عن أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - واشتهر لبعض الصحابة رواة وتلاميذ يأخذون عنهم، ويروون عنهم فهذا عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - وتلاميذه زر بن حبيش وأبو وائل شقيق بن سلمة، وعلقمة، والأسود، وغيرهم، وهذا عبد الله بن عباس - رضي الله عنهم - وتلاميذه سعيد بن جبير، وعطاء ابن أبي رباح، وطاووس بن كيسان اليماني وغيرهم، وهذه أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - وتلاميذها كمسروق، وعروة بن الزبير، وأبي سلمة ابن عبد الرحمن وغيرهم، وقد نقل هذا العلم في هذه المرحلة بطريق التلقي والحفظ في الصدور أيضاً.

ثالثاً: عهد تدوين السنة:

التدوين على نحو محدود كان موجوداً حتى على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - ولهذا كتب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كتابه الشهير لعمر بن حزم، وأذن للصحابة - رضي الله عنهم - أن يكتبوا لأبي شاه، وكذلك على عهد الصحابة - رضي الله عنهم - كما كتب أبو بكر لأنس بن مالك - رضي الله عنه - كتاباً في شأن زكاة بهيمة الأنعام، واستمرت الحال كذلك على نحو فردي، حتى جاء الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - ورأى الحاجة داعية إلى تدوين الأحاديث وكتابتها، فكتب بذلك على رأس المائة الأولى إلى عامله وقاضيه على المدينة

^١ حاشية المزيني: أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب الصلاة من الإيمان (١: ٢٣) رقم (٤٠).

أبي بكر بن حزم: (انظر ما كان من حديث رسول الله -

صلّى الله عليه وسلّم - فكتبه إني خفت دروس العلم، وذهاب العلماء) وأوصاه أن يكتب له ما عند عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وكذلك كتب إلى عماله في أمهات المدن الإسلامية بجمع الحديث، ومن كتب إليه بذلك محمد بن شهاب الزهري ومن هذا الوقت أقبل العلماء على كتابة السنن وتدوينها، وشاع ذلك في الطبقة التي تلي طبقة الزهري، فكتب ابن جريج بمكة (١٥٠)، وابن إسحاق (١٥١) ومالك (١٧٩) بالمدينة، والربيع بن صبيح (١٦٠)، وسعيد بن أبي عروبة (١٥٦). وحماد بن سلمة (١٧٦) بالبصرة، وسفيان الثوري (١٦١) بالكوفة والأوزاعي (١٥٦) بالشام، وهشيم (١٨٨) بواسط، ومعمر (١٥٣) باليمن وجريز بن عبد الحميد (١٨٨)، وابن المبارك (١٨١) بخراسان^١.

وكان معظم هذه المصنفات والمجاميع يضم الحديث الشريف وفتاوى الصحابة والتابعين كما يتجلى لنا هذا في موطأ الإمام مالك بن أنس^٢.

رابعاً: عهد تصنيف العلوم:

بعد المرحلة السابقة رأى بعضهم أن تفرد أحاديث النبي - صلّى الله عليه وسلّم - في مؤلفات خاصة، فألفت المسانيد، وهي كتب تضم أحاديث رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - بأسانيد خالية من فتاوى الصحابة والتابعين تجمع فيها أحاديث كل صحابي، ولو كانت في مواضيع مختلفة تحت اسم مسند فلان ومسند فلان وهكذا وأول من ألف المسانيد أبو داود سليمان بن داود الطيالسي (٢٠٤ هـ)، كما يعتبر مسند الإمام أحمد بن حنبل - وهو من أتباع أتباع التابعين أوفى تلك المسانيد وأوسعها -.

جمع هؤلاء الأئمة الحديث ودونوه بأسانيد، وذكروا طرقاً كثيرة لكل حديث يتمكن بها جهابذة هذا العلم، وصيارفته من معرفة الصحيح من الضعيف والقوي من المعلوم.

ثم رأى بعض الأئمة أن يصنفوا في الحديث الصحيح فقط، وكان أول من صنف ذلك الإمام البخاري (٢٥٦ هـ) ثم الإمام مسلم (٢٦١ هـ).

ثم ظهرت الكتب الأربعة مرتبةً على الأبواب كسنة أبي داود السجستاني (٢٧٥ هـ) وأبي عيسى الترمذي (٢٦٧ هـ)، والنسائي (٣٠٣ هـ) وابن ماجه (٢٧٣ هـ)^٣.

وكانت أسباب النزول القرآني ماثلة في بطون هذه المؤلفات الضخمة حتى جاءت المرحلة اللاحقة وهي:

خامساً: مرحلة أفراد أسباب النزول بالتأليف:

وسأذكر المؤلفات التي أفردت أسباب النزول بشكل مستقل حسب الوفاة وهي على النحو التالي:

١ - (تفصيل لأسباب التنزيل) عن ميمون بن مهران ت (١١٧ هـ) مخطوط^٤.

^١ حاشية المزي: جامع البيان (٢:٢)، معالم التنزيل (١:١٢٤، ١:٢٥)، المحرر الوجيز (٢:٢)، الجامع لأحكام القرآن (٢:١٤٨)، تفسير القرآن العظيم (١:١٨٩، ١:٩٠).

^٢ حاشية المزي: فتح الباري (١:١٢١).

^٣ حاشية المزي: فتح الباري (١:١٣٠، ٥٩٩).

^٤ حاشية المزي: أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب (سيقول السفهاء) (٤:١٦٣١) رقم (٤٢١٦)، وانظر (٤٠، ٣٩٠، ٤٢١).

- ٢ - (أسباب النزول) لعلي بن المديني ت (٢٣٤ هـ) ^١.
- ٣ - (القصص والأسباب التي نزل من أجلها القرآن) للمحدث القاضي عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس ت (٤٠٢ هـ) في نحو مئة جزء ونيّف (٤).
- ٤ - (أسباب النزول) لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ت (٤٦٨ هـ) ^٢.
- ٥ - (أسباب النزول والقصص الفرقانية) لأبي المظفر محمد بن أسعد العراقي الحنفي الحكيمي ت (٥٦٧ هـ) وهو كتاب يخلو من الأسانيد تماماً ^٣.
- ٦ - (الأسباب والنزول على مذهب آل الرسول) لأبي جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب الطبري الشيعي ت (٥٨٨ هـ) ^٤.
- ٧ - (أسباب النزول) لأبي الفرج ابن الجوزي ت (٥٩٧ هـ) ^٥.
- ٨ - (أسباب نزول الآي) للأرتقي. ت (٦١٩ هـ) وهو مختصر كتاب الواحدي ^٦.
- ٩ - (عجائب القول في أسباب النزول) لأبي إسحاق إبراهيم بن عمر الجعبري ت (٧٣٢ هـ) ذكر السيوطي أنه

٦٨٢٥)، وأحمد (٤٥٤:٣٠٠:٤٥٣) رقم (١٨٤٩٦)، وانظر (١٨٧٠٧) ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحويل القبلة (١:٣٧٤) رقم (٥٢٥)، والترمذي، أبواب الصلاة، باب ما جاء في ابتداء القبلة (١:٣٧١) رقم (٣٤٠)، والنسائي في الكبرى، كتاب التفسير، قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾ (٦:٢٩١) رقم (١١٠٠٣)، وفي المجتبى، كتاب القبلة، باب استقبال القبلة (٢:٣٩٣) رقم (٧٤١).

^١ حاشية المزني: أخرجه ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب القبلة (١:٣٢٢) رقم (١٠١٠) من طريق أبي بكر بن عياش عن أبي إسحاق عن البراء وأبو بكر بن عياش تكلم فيه الأئمة كثيراً، وقد أحسن الذهبي في تلخيص حاله فقال في الميزان (٤:٤٩٩): (أحد الأئمة الأعلام، صدوق، ثبت في القراءة، لكنه في الحديث يغلط ويهم وقد أخرج له البخاري، وهو صالح الحديث، لكنه ضعفه محمد بن عبد الله بن ثمر). اهـ.

أما ابن حجر فقد قال فيه: (ثقة عابد إلا أنه لما كبر ساء حفظه وكتابه صحيح) التقريب (٧٩٨٥)، وكلام الذهبي أقرب إلى مقالات الأئمة فيه والله أعلم. تهذيب الكمال (٣٣:١٢٩) وهذا الحديث بهذا السياق لم أقف على من تابع أبا بكر بن عياش عليه، وأبو بكر لا يحتفل مثله بالتفرد، خاصة إذا تبين أنه قد رواه عن أبي إسحاق جماعة من كبار الحفاظ لم يوافقوه أحد منهم على هذا السياق بتمامه.

ولهذا حكم الحافظ ابن حجر في الفتح (١:١٢٠) - عقب إشارته لرواية أبي بكر - بالشذوذ وقال: (وأبو بكر سيء الحفظ واضطرب فيه). والخلاصة: أن العمدة على رواية البخاري ومن وافقه، وأن رواية ابن ماجه لا يعتمد عليها لتفرد أبي بكر بن عياش بها، واضطرابه فيها.

^٢ حاشية المزني: أخرجه أحمد (٤:٤٢٦) رقم (٢٦٩١) وانظر رقم (٢٧٧٥، ٢٩٦٤، ٣٢٤٩)، والدارمي في سننه، كتاب الصلاة، باب في تحويل القبلة (١:٣٠٨) رقم (١٢٣٥)، وأبو داود في سننه كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه (٥:٦٠) رقم (٤٦٨٠)، والترمذي في سننه أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة البقرة (٥:٧٧) رقم (٢٩٦٤) كلهم من طرق عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال: لما وجه النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى الكعبة قالوا: يا رسول الله كيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس فأُنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ...﴾ { وقد طعن أئمة الحديث برواية سماك عن عكرمة. قال ابن حجر: ورواية سماك عن عكرمة خاصة مضطربة. انظر الضعفاء للعقيلي (٢:١٧٨)، الجرح والتعديل (٤:٢٧٩)، تهذيب الكمال (١٢:١١٥)، التقريب (٢٦٢٤).

^٣ حاشية المزني: جامع البيان (٢:١٧)، معالم التنزيل (١:١٢٤، ١٢٥)، المحرر الوجيز (٣:٧)، الجامع لأحكام القرآن (٢:١٥٧)، تفسير القرآن العظيم (١:١٨٩).

^٤ حاشية المزني: أحكام القرآن (١:٤١).

^٥ حاشية المزني: تفسير الكريم الرحمن (١:١٦٢).

^٦ حاشية المزني: شرح صحيح البخاري (١:٩٧).

اختصره من كتاب الواحدي، خذف أسانيده ولم يزد عليه شيئاً^١.

١٠ - (سبب النزول في تبليغ الرسول) لابن الفصيح: نضر الدين أحمد بن علي بن أحمد الكوفي ت (٧٥٥ هـ)^٢.

١١ - (رسالة في أسباب النزول) لعلي بن شهاب الدين حسن بن محمد الهمداني ت (٧٨٦ هـ)^٣.

١٢ - (العجاب في بيان الأسباب) للحافظ ابن حجر العسقلاني ت (٨٥٢ هـ)^٤.

١٣ - (مدد الرحمن في أسباب نزول القرآن) للقاضي زين الدين عبد الرحمن بن علي بن إسحاق التميمي الداري الخليلي المقدسي الشافعي ت (٨٧٦ هـ)^٥.

١٤ - (لباب القول في أسباب النزول) للحافظ جلال الدين السيوطي ت (٩١١ هـ)^٦.

١٥ - (إرشاد الرحمن لأسباب النزول والنسخ المتشابه وتجويد القرآن) لعطية الله بن عطية البرهاني الشافعي الأجهوري ت (١١٩٠ هـ)^٧.

١٦ - (أسباب التنزيل) لأحمد بن علي بن أحمد بن محمود الحنفي (مجهول الوفاة)^٨.

١٧ - (أسباب النزول) لعبد الجليل التقشبندي^٩.

أما الكتب الحديثة التي تناولت أسباب النزول فمنها:

أ - (أسباب النزول عن الصحابة والمفسرين) تأليف عبد الفتاح القاضي.

ب - (الصحيح المسند من أسباب النزول) للشيخ مقبل الوادعي.

ج - (أسباب النزول القرآني) للدكتور غازي عناية.

د - (أسباب نزول القرآن) للدكتور حماد عبد الخالق حلوة.

هـ - (أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص) للدكتور عماد الدين محمد الرشيد.

^١ حاشية المزني: فتح الباري (١:١٢١).

^٢ حاشية المزني: أخرجه البخاري، كتاب التقي، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق (٦:٢٦٤٨) رقم (٦٨٢٥) وانظر كتاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة حيث كان (١:١٥٥) رقم (٣٩٠)، وأخرجه أحمد في المسند (٣٠:٤٥٣) رقم (١٨٤٩٦) وانظر رقم (١٨٧٠٧)، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب التفسير باب ومن سورة البقرة (٥:٧٦) رقم (٢٩٦٢)، وانظر كتاب الصلاة، باب ما جاء في ابتداء القبلة (١:٣٧١) رقم (٣٤٠)، وأخرجه النسائي في الكبرى، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ (٦:٢٩١) رقم (١١٠٠٣).

^٣ حاشية المزني: أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة (١:٣٧٥) رقم (٥٢٧).

^٤ حاشية المزني: جامع البيان (٢:١٩)، معالم التنزيل (١:١٢٤)، المحرر الوجيز (٢:٩)، تفسير القرآن العظيم (١:١٩٣)، تيسير الكريم الرحمن (١:١٦٣).

^٥ حاشية المزني: الكشف (١:١٠٠).

^٦ حاشية المزني: حَزَوْرَةٌ: بالفتح ثم السكون وفتح الواو والراء وهو في اللغة: الراية الصغيرة، وجمعها حَزَاوِرٌ، وفتح الزاي وتشديد الواو تصحيف، وكانت الحزورة سوق مكة وقد دخلت في المسجد لما زيد فيه. انظر معجم البلدان للحموي (٢:٢٩٤).

^٧ حاشية المزني: أخرجه الترمذي في أبواب المناقب، باب في فضل مكة (٦:٢٠٧) رقم (٣٩٢٥)، وابن ماجه، كتاب المناسك، باب فضل مكة (٢:١٠٣٧)، رقم (٣٠١٨)، والحديث صححه الترمذي وابن حبان (٣٧٠٨) والحاكم (٣:٧) وهو كما قالوا.

^٨ حاشية المزني: النكت والعيون (١:٢٠٢).

^٩ حاشية المزني: جَاءَ ذلك: أي من أجل ذلك. لسان العرب (٤:١٢٩) مادة (جر).

و - (تسهيل الوصول إلى معرفة أسباب النزول) الجامع بين روايات الطبري والنيسابوري وابن الجوزي، والقرطبي وابن كثير والسيوطي، تصنيف الشيخ خالد عبد الرحمن العك.

ز - (أسباب النزول وأثرها في التفسير) رسالة جامعية لم تطبع بعد للدكتور عصام الحميدان.

ح - (أسباب النزول) للدكتور الشيخ جمعة سهل. رسالة جامعية لم تطبع بعد.

أما المؤلفات التي تناولت أسباب النزول ضمن موضوعات عديدة فتها:

أ - (البرهان في علوم القرآن) للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ت (٧٩٤ هـ) ^١.

ب - (الإتقان في علوم القرآن) تأليف جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ^٢.

ج - (مناهل العرفان في علوم القرآن) للشيخ محمد بن عبد العظيم الزرقاني ^٣.

د - (المدخل لدراسة القرآن الكريم) للشيخ الدكتور محمد بن محمد أبو شبة ^٤.

هـ - (مباحث في علوم القرآن) للدكتور مناع بن خليل القطان ^٥.

و - (دراسات في علوم القرآن الكريم) للدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي ^٦.

ز - (مباحث في علوم القرآن) للدكتور صبحي الصالح ^٧.

وبهذا نصل إلى آخر العتبات التاريخية التي انتهى إليها علم أسباب النزول في نشأته وتطوره.

المبحث الرابع

مصادر أسباب النزول

وأعني بها المؤلفات التي روت أسباب النزول، سواء أكانت مرويةً بأسانيدها كما في أكثر المؤلفات أم بغير أسانيد كما في بعضها الآخر، وتعتبر مرجعاً رئيساً في أسباب النزول.

^١ حاشية المزيني: قديداً: اسم موضع قرب مكة، قال ابن الكلبي: لما رجع تبع من المدينة بعد حربه لأهلها نزل قديداً فهبت ريح قدت خيم أصحابه فسمي قديداً. معجم البلدان (٤: ٣٥٥) رقم (٩٤٥٨).

^٢ حاشية المزيني: أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب يفعل في العمرة ما يفعل في الحج (٢: ٦٣٥) رقم (١٦٩٨) وانظر (١٥٦١)، (١٥٦٥)، (٤٢٣٦)، (٤٢٣٧)، (٤٥٨٠)، ومالك في الموطأ، كتاب الحج، باب جامع السعي (١: ٣٧٣) رقم (١٢٩) وأحمد في المسند (٦: ١٤٤)، (١٦٢)، (٢٢٧)، ومسلم، كتاب الحج، باب بيان أن السعي بين الصفا والمروة ركن لا يصح الحج إلا به (٢: ٩٢٨ - ٩٣٠) رقم (١٢٧٧)، (١٢٧٨)، وأبو داود، كتاب المناسك، باب أمر الصفا والمروة (٢: ٤٥٢)، (٤٥٣) رقم (١٩٠١)، والترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة البقرة (٥: ٧٧) رقم (٢٩٦٥)، والنسائي في الكبرى، كتاب التفسير، قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ (٦: ٢٩٣)، رقم (١١٠٠٩)، وأخرجه في المجتبى، كتاب المناسك، باب ذكر الصفا والمروة (٥: ٢٦٣) رقم (٢٩٦٧)، (٢٩٦٨)، وابن ماجه، كتاب المناسك، باب السعي بين الصفا والمروة (٢: ٩٩٤) رقم (٢٩٨٦).

^٣ حاشية المزيني: أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب (ومناة الثالثة الأخرى) (٤: ١٨٤٢)، رقم (٤٥٨٠).

^٤ حاشية المزيني: أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب بيان أن السعي بين الصفا والمروة ركن لا يصح الحج إلا به (٢: ٩٢٨) رقم (١٢٧٧).

^٥ حاشية المزيني: (بنو غسان) - هي من الأزد من القحطانية، قال أبو عبيد: وهم بنو جفنة والحارث وهو محرق، وثعلبة وهو الغنقاء وحارثة ومالك وكعب وخارجة وعوف بن عمرو بن مزريقا، سموا غسانا لما اسم غسان بين زيد وربع، شربوا منه، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي (٣٤٨).

^٦ حاشية المزيني: أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب بيان أن السعي بين الصفا والمروة ركن لا يصح الحج إلا به (٢: ٩٣٠) رقم (١٢٧٧).

^٧ حاشية المزيني: أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب ما جاء في السعي بين الصفا والمروة (٢: ٥٩٤) رقم (١٥٦٥).

وهذه المؤلفات يمكن تقسيمها إلى ثلاثة مصادر رئيسية:

الأول: كتب السنة.

الثاني: كتب التفسير.

الثالث: كتب أسباب النزول، وإليك التعريف بأبرزها:

المصدر الأول: كتب السنة^١.

١ - الموطأ للإمام مالك.

المؤلف: إمام دار الهجرة، مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الحميري الأصبحي، أبو عبد الله، ولد سنة ثلاث وتسعين، وطلب العلم وهو حدث فأخذ عن خلق كثير، وتأهل للفتيا، وجلس للإفادة، وله إحدى وعشرون سنة، وكانت وفاته - رحمه الله - سنة تسع وسبعين ومائة، وله من العمر تسع وثمانون سنة^٢.

الكتاب: الموطأ.

هذا الكتاب ألفه مالك في الحديث على طريقة الأبواب، ولم يلتزم قصره على الأحاديث المرفوعة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بل أضاف إليه أقوال الصحابة، وفتاوى التابعين.

وحين البداءة بالموضوع يقدم حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم ما ورد من أقوال الصحابة، ثم ما ورد من فتاوى التابعين، وغالباً يكونون من أهل المدينة، وأحياناً يذكر ما عليه العمل أو الأمر المجمع عليه بالمدينة وقد يذكر بعض آرائه الفقهية، ومع هذا فصبة الكتاب حديثية لا فقهية كما أنه - رحمه الله - لم يتقيد بالمسند المتصل، بل ذكر فيه حتى المرسل والمنقطع والبلاغات، وهي ما يقول فيها مالك: بلغني أو نحوه من غير أن يعين من روى عنه.

وقد روي أن عبد العزيز بن عبد الله الماجشون سبق مالكا فعمل كتاباً ذكر فيه ما اجتمع عليه أهل المدينة وأنه عمل ذلك كلاماً وآراء بغير حديث، فلما رآه مالك نظر فيه وقال: ما أحسن ما عمل، ولو كنت أنا الذي عملت لا ابتدأت بالآثار، ثم شددت ذلك بالكلام، ويظهر أن هذا هو الذي قوى عزمه على إخراج كتابه كما أراد. وقد اختلف في سبب تسميته (الموطأ) فقيل: إن مالكا قال: عرضت كتابي هذا على سبعين فقيهاً من فقهاء المدينة، فكلهم واطأني عليه فسميته الموطأ.

وقيل: لأنه بصنيعة هذا قد وطأ العلم والحديث ويسرهما للناس.

وقد روي الموطأ بروايات مختلفة تختلف في ترتيب الأبواب، وفي عدد الأحاديث، وقد ذكر القاضي عياض أن الذي اشتهر من نسخ الموطأ نحو عشرين نسخة، وذكر بعضهم أنها ثلاثون.

والذي يظهر أن سبب الاختلاف يرجع إلى أن الإمام مالكا كان دائم التهذيب والتنقيح لموطئه وحذف بعض الأحاديث، والذين سمعوا الموطأ سمعوه في أزمان مختلفة، فكان من ذلك الاختلاف في النسخ. وقد اختلف في عدد أحاديث الموطأ نتيجة لاختلاف النسخ.

^١ حاشية المزيني: أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ (٤: ١٦٣٥) رقم (٤٢٢٦).

^٢ حاشية المزيني: أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب بيان أن السعي بين الصفا والمروة ركن لا يصح الحج إلا به (٢: ٩٢٩) رقم (١٢٧٧).

أما درجة أحاديثه فن أهل العلم من قدمه على الصحيحين كأبي بكر بن العربي ومنهم من جعله في مرتبة دون الصحيحين كابن الصلاح في مقدمته، وقال به ابن حزم وبعض المتأخرين يسوي بين موطأ مالك والصحيحين في الصحة.

وقد اختصر الموطأ: الإمام الخطابي أحمد بن محمد البستي المتوفى سنة ٣٨٨ هـ. وأبو الوليد سليمان بن خلف الباجي المتوفى سنة ٤٧٤ هـ، وابن رشيقي القيرواني المتوفى سنة ٤٥٦ هـ.

أما شروحه فكثيرة أجلها وأوسعها "التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد" لأبي عمر يوسف بن عبد البر النمري المتوفى سنة ٤٦٣ هـ.

وقد شرحه أيضاً أبو محمد عبد الله بن محمد النحوي البطلوسي المتوفى سنة ٥٢١ هـ.

وكذا القاضي أبو بكر بن العربي المتوفى سنة ٥٤٦ هـ، وسماه (القبس).

ومن شرحه الجلال السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ، وسمى شرحه (كشف المغطا في شرح الموطأ).

وكذا شرحه ولي الله الدهلوي أحمد بن عبد الرحيم المتوفى سنة ١١٧٦ هـ، وسماه (المصطفى)¹.

أما أسباب النزول في الموطأ فهي قليلة، والموجود منها متفرق في أجزاء الكتاب.

٢ - مسند الإمام أحمد بن حنبل.

المؤلف: أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الذهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي هو الإمام حقاً، وشيخ الإسلام صدقاً، ولد في ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة، وطلب الحديث وهو ابن خمس عشرة سنة، عدة شيوخه الذين روى عنهم في المسند مائتان وثمانون ونيف، امتحن في فتنه القول بخلق القرآن، وعُذب على ذلك، فصبر ولم يجبه، كانت وفاته - رحمه الله - في ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائتين².

الكتاب: المسند.

المسند في اصطلاح المحدثين هو الكتاب الذي جمعت فيه أحاديث كل صحابي على حدة من غير نظر إلى وحدة الموضوع، فحديث صلاة بجانب حديث زكاة وهكذا، فإذا فرغ من حديث الصحابي أخذ في حديث غيره حتى يتم الكتاب.

وقد اختلف أصحاب هذه الطريقة في ترتيب الصحابة، فمنهم من يرتبهم على حسب الفضل بأن يبدأ بالعشرة المبشرين بالجنة ثم بمن بعدهم كما فعل الإمام أحمد، ومنهم من يرتبهم على حروف المعجم كما فعل الطبراني في المعجم الكبير ومنهم من يرتبهم حسب القبائل.

وقد انتقى الإمام مسنده من ألوف الأحاديث التي كان يحفظها ويروها وقد قال أبو موسى المديني: (هذا الكتاب أصل كبير، ومرجع وثيق لأصحاب الحديث، انتقى من حديث كثير ومسموعات وافرة فجعله إماماً، ومعتمداً، وعند التنازع ملجأً ومستنداً، ثم روى بسنده عن حنبل بن إسحاق قال: جمعنا عمي أنا وصالح وعبد الله، وقرأ علينا المسند، وما سمعنا منه تاماً غيرنا، وقال لنا: إن هذا الكتاب قد جمعته وانتقيته من أكثر من سبعمائة وخمسين ألفاً

¹ حاشية المزيني: أخرجه البخاري، كتاب المناسك، باب وجوب الصفا والمروة (٥٩٢: ٢ - ٥٩٣) رقم (١٥٦١).

² حاشية المزيني: أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب بيان أن السعي بين الصفا والمروة ركن لا يصح الحج إلا به (٢: ٩٢٩) رقم (١٢٧٧).

فما اختلف المسلمون فيه من حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فارجعوا إليه، فإن كان فيه وإلا فليس بحجة^١.

أما عدد أحاديثه فما بين ثلاثين وأربعين ألفاً، ومن هذه الألف ما يزيد على ثلاثمائة حديث ثلاثية الإسناد أي بين الرسول فيها والإمام ثلاثة رواة.

وقد زاد على المسند عبد الله بن الإمام، وتلميذه أبو بكر القطيعي لكنهما لم يلتزما فيما زاداهما التزمه الإمام من شدة التحري والتثبت، فمن ثم وجد في المسند أحاديث ضعيفة.

أما درجة أحاديثه ففيه الصحيح، والحسن والضعيف، والمتكر، بل والموضوع على ندرة جداً، كأحاديث فضائل مرو، وعسقلان، والبرث الأحمر عند حمص كما نبه عليه طائفة من الحفاظ. وسبب وجود الموضوعات في المسند يعود إلى أمور:

الأول: أن الإمام أحمد كان ينوي تهذيب الكتاب وتنقيحه، لكن حلت به المنية قبل حصول الأمانة. الثاني: التساهل في رواية الفضائل فقد روي عنه قوله: (نحن إذا رويناهما في الحلال والحرام شدتنا، وإذا رويناهما في الفضائل تساهلنا) ولا يعني هذا إخراج الموضوعات لكن النظر يختلف في تحديد الموضوع من الضعيف عند العلماء.

الثالث: ما زاده ابنه عبد الله، وأبو بكر القطيعي وفي تلك الزيادات أحاديث كثيرة موضوعة. وقد اختصره زين الدين عمر بن أحمد الشماع الحلبي وسمى مختصره: (در المنتقد من مسند الإمام أحمد) وكذا اختصره سراج الدين عمر بن علي المعروف بابن الملتن الشافعي، المتوفى سنة ٨٠٤ هـ.

أما ترتيبه: فقد قام به أبو بكر محمد بن الحب الصامت فرتبه على معجم الصحابة ورتب الرواة كذلك كترتيب كتب الأطراف، ثم أضاف ابن كثير لهذا الترتيب أحاديث الكتب الستة، ومعجم الطبراني الكبير، ومسند البزار، ومسند أبي يعلى الموصلي إلا مسند أبي هريرة فإنه مات قبل إكمله.

قال ابن الجزري: (وقد بلغني أن بعض فضلاء الخنابلة بدمشق رتبته على ترتيب صحيح البخاري وهو الشيخ أبو الحسن علي بن زكنون الحنبلي)^٢.

وقد قيض الله لترتيب المسند في القرن الهجري الأخير أحمد بن عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي وقد قسمه سبعة أقسام وفق الترتيب التالي: -.

١ - التوحيد وأصول الدين. ٢ - الفقه. ٣ - التفسير. ٤ - الترغيب. ٥ - الترهيب. ٦ - التاريخ ويدخل فيه السير والمناقب. ٧ - القيامة وأحوال الآخرة وكل قسم من هذه الأقسام السبعة يشتمل على جملة كتب، وكل كتاب يندرج تحته جملة أبواب، وبعض الأبواب يندرج فيه جملة فصول. وسمى ترتيبه هذا (الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني).

أما شروحه: فقد شرحه شرحاً وجيزاً أبو الحسن بن عبد الهادي السندي المتوفى سنة ١١٣٨ هـ. كتعليقاته على كتب الحديث الستة.

^١ حاشية المزني: أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب بيان أن السعي بين الصفا والمروة ركن لا يصح الحج إلا به (٢: ٩٢٨) رقم (١٢٧٧).

^٢ حاشية المزني: إكمال المعلم بفوائد مسلم (٤: ٣٥٣).

وكذلك الشيخ أحمد بن عبد الرحمن البنا الساعاتي وهو شرح وجيز على كتابه الجليل (الفتح الرباني) سماه (بلوغ الأمان) من أسرار الفتح الرباني^١.

أما أسباب النزول في المسند فهي كثيرة لكنها مفرقة في نواحيه لأنه مرتب على المسانيد.

٣ - المسند الجامع للدارمي.

المؤلف: هو عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الله أبو محمد التميمي ثم الدارمي السمرقندي. طوّف أبو محمد الأقاليم، وصنف التصانيف، يضرب به المثل في الديانة، والحلم، والرزانة، والاجتهاد والعبادة، كانت وفاته سنة خمس وخمسين ومائتين يوم التروية بعد العصر، ودُفن يوم عرفة يوم الجمعة وهو ابن خمس وسبعين سنة - رحمه الله تعالى^٢.

الكتاب: المسند الجامع.

اعتنى الدارمي في كتابه بإخراج حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وآثار الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة أهل العلم في الفقه والزهد ومسائل الفروع وبيان اختلافهم وأدلة مذهبهم، ولم يقتصر على ما صح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سنداً ومُتناً، لكنه أخرج في المقدمة شيئاً مرفوعاً إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - ليس من وجه صحيح.

وبكل حال فإن غالب ما في الأصول أحاديث صحيحة أو حسنة، والأحاديث الضعيفة غالباً ما تكون في الفضائل والترغيب والترهيب، وربما يوردها في الشواهد والمتابعات.

كما أن المصنف إذا أورد الحديث علق عليه بفائدة فقهية، أو بيان مذهبه، أو قول الأئمة فيه، أو يعدل أو يجرح أحد رواته، أو يذكر اختلاف الحفاظ في إسناده باتصال أو انقطاع.

ومن الملاحظ أيضاً أنه رتب كتابه على أبواب الفقه، لكن جعل له مقدمة ضمنها خمسة عشر باباً في فضائل النبي - صلى الله عليه وسلم - ومعجزاته، ثم أتبع تلك المقدمة بأبواب العلم ذكر فيها ستة وخمسين باباً... وهكذا.

وله في كتابه أربعة عشر حديثاً ثلاثياً إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -^٣.

أما أسباب النزول في هذا المسند فليست كثيرة كما أنها مفرقة في نواحي الكتاب.

٤ - صحيح البخاري.

المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة وهي لفظة بخارية معناها الزراع، ولد أبو عبد الله في شوال سنة أربع وتسعين ومائة، روى عن ألف وثمانين شيخاً، وكانت وفاته - رحمه الله تعالى - سنة ست وخمسين ومائتين^٤.

الكتاب: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسننه وأيامه.

^١ حاشية المزيني: أخرجه النسائي في الكبرى، كتاب المناقب، زيد بن عمرو بن نفيل (٥٥، ٥٥٤) رقم (٨١٨٨). وقال ابن حجر: - إسناده قوي. فتح الباري (٣: ٥٨٤).

^٢ حاشية المزيني: جامع البيان (٢: ٤٦).

^٣ حاشية المزيني: السيرة النبوية لأبي محمد عبد الملك بن هشام الحميري (١: ٢٧٣).

^٤ حاشية المزيني: تفسير القرآن العظيم (١: ١٩٩).

جمع الإمام الحافظ البخاري كتابه في الأحاديث الصحيحة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد أن كان الأئمة يجمعون في مؤلفاتهم بين الصحيح والحسن والضعيف وكان الحامل له على هذا العمل قوله: كنت عند إسحاق بن راهويه فقال: لو جمعت مختصراً لصحيح سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: فوقع في قلبي فأخذت في جمع الجامع الصحيح.

وقد مكث في تأليفه ست عشرة سنة، وانتقاه من ستمائة ألف حديث.

ولئن كان الكتاب حديثاً فإنه مع هذا لم يخل من الفوائد الفقهية، فاستخرج بفهمه من المتون معاني كثيرة فرقها في أبواب كتابه، ففقهه يتجلى في تراجمه، ولذلك قيل: (فقه البخاري في تراجمه). وقد قسم البخاري كتابه إلى كتب والكتب إلى أبواب، فعدة كتبه (٩٧) كتاباً وعدة أبوابه (٣٤٥٠) باباً.

ومما ينبغي أن يعلم أن النسخ كما اختلفت في تقديم بعض الكتب والأبواب على بعض اختلفت في اعتبار بعض الكتب أبواباً وبعض الأبواب كتباً كما يعلم ذلك من مراجعة متن البخاري المطبوع وكتب الشروح، كما أنه يقع في كثير من أبوابه أحاديث كثيرة، وفي بعضها حديث واحد، وفي بعضها آية، وبعضها لا شيء فيه ألبته، وقد ادعى بعضهم أنه صنع ذلك عمداً، وغرضه أن يبين أنه لم يصح عنده حديث بشرطه في المعنى الذي ترجم عليه. وقد جرى البخاري في صحيحه على تكراره لبعض الأحاديث، وتقطيعه لها، واختصارها في الأبواب المختلفة. فأما تكراره فلمعانٍ وفوائد متعددة منها:

- ١ - أنه يخرج الحديث عن صحابي ثم يورده عن صحابي آخر ليخرج الحديث عن حد الغرابة.
 - ٢ - تكثير الطرق بأن يورده في كل باب من طريق غير الطريق الأولى فيزداد الحديث صحة وقوة.
 - ٣ - إزالة الشبهة عن ناقلها وذلك في الأحاديث التي يرويها بعض الرواة تامة وبعضهم مختصرة.
- ومنها: أحاديث تعارض فيها الوصل والإرسال، ورح عنده الوصل فاعتمده وأورد المرسل لينبه على عدم تأثيره.
- ومنها: أحاديث تعارض فيها الوقف والرفع والحكم فيها كذلك.
- ومنها: أنه ربما أورد حديثاً عن رايه فيورده من طريق أخرى مصرحاً فيها بالسماع وأما تقطيعه للحديث فلأسباب التالية:

- ١ - لأنه إن كان المتن قصيراً أو مرتبطاً ببعضه ببعض وقد اشتمل على حكمين فصاعداً فإنه يعيده بحسب ذلك.
 - ٢ - إن كان المتن مشتملاً على جمل متعددة لا تعلق لإحداها بالآخرى يخرج كل جملة في باب مستقل فراراً من التطويل وربما نشط فساقه بتمامه.
- وأما اقتصاره على بعض المتن ثم لا يذكر الباقي في موضع آخر فإنه لا يقع له ذلك في الغالب إلا حيث يكون المحذوف موقوفاً على الصحابي فيقتصر بالنقل على قول صاحب الشرع لأنه موضوع كتابه.
- أما المعلقات في صحيحه فمنها ما هو مرفوع ومنها ما هو موقوف، ومنها ما هو بصيغة الجزم كقال وروى، ومنها ما هو بصيغة التريض كقيل وروى.

أما ثلاثيات البخاري فعدتها اثنان وعشرون حديثاً.

أما عدد أحاديثه الموصولة بلا تكرير (٢٦٠٢) حديثاً، وبالمكرر (٧٣٩٧).
أما شروحه فكثيرة أبرزها:

- ١ - أعلام الحديث لأبي سليمان الخطابي المتوفى (٣٨٨ هـ).
 - ٢ - الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري لشمس الدين الكرمانى المتوفى (٧٨٦ هـ).
 - ٣ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى (٨٥٢) وهو أجمل الشروح مطلقاً.
 - ٤ - عمدة القاري لبدر الدين العيني المتوفى سنة ٨٥٥ هـ.
 - ٥ - إرشاد الساري إلى صحيح البخاري لشهاب الدين القسطلاني المتوفى ٩٢٢ هـ.^١
- أما أسباب النزول في هذا الكتاب فهي كثيرة وليس لها كتاب يحويها وإنما هي مفرقة بحسب ما يناسبها من الأبواب.
- ٥ - صحيح مسلم.

المؤلف: هو الإمام الكبير الحافظ المجود أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاذ القشيري النيسابوري ولد سنة أربع ومائتين، وقد روى عن شيوخ كثير، وكانت وفاته - رحمه الله - سنة إحدى وستين ومائتين بنيسابور عن بضع وخمسين سنة.^٢
الكتاب: المسند الصحيح.^٣

هو أحد الكائين اللذين هما أصح الكتب بعد كتاب الله - عز وجل -، وقد بالغ مسلم في البحث والتحري عن الرجال وتحصيل المرويات وليس أدل على هذا من انتقائه لكتابه من ألوف الروايات المسموعة، روي عنه أنه قال: (صنفت هذا الحديث من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة)، وقد مكث مع بعض تلاميذه خمس عشرة سنة يكتبون ويحرون حتى أتم تأليفه.

ومن خصائص هذا الصحيح أن مؤلفه سلك فيه طريقة حسنة حيث يجمع المتون كلها بطرقها في موضع ولا يفرقها، إلا أن يأتي موضع لا يستغنى فيه عن ترداد حديث فيه زيادة، أو إسناد يقع إلى جنب إسناد لعله تكون هناك فلا بد من إعادة الحديث.

ومن هذه الخصائص التدقيق في الألفاظ والمحافظة عليها ما وسعه الأمر، حتى إذا خالف راو غيره في لفظة والمعنى واحد بيّنه، وكذا إذا قال راو حدثنا، وقال آخر أخبرنا بيّن الخلاف في ذلك، وكذا إذا تغايرت الألفاظ يقول: (واللفظ لفلان) أما التحويل: فإنه سلك مسلك الإيجاز في كتابه بالجمع بين المتفق عليه من رجال الأسانيد وذكر غير المتفق عليه من الرجال وهو ما يعرف بالتحويل وقد أكثر مسلم من هذه الطريقة ورمز إلى ذلك بحرف (ح).
ومن خصائصه أن لا يذكر في كتابه إلا الأحاديث المسندة المرفوعة، فلذلك لم يذكر مع الأحاديث المرفوعة أقوال

^١ حاشية المزيني: فتح الباري (٣: ٥٨٥).

^٢ حاشية المزيني: فتح الباري (٣: ٥٨٥).

^٣ حاشية المزيني: قال ابن حجر: جاء في حديث البراء قيس بن صرمة الأنصاري وقد اختلف في اسمه فقال بعد أن ساق الروايات: والجمع بين هذه الروايات أنه أبو قيس صرمة بن أبي أنس قيس بن مالك بن عدي بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، كذا نسبه ابن عبد البر وغيره فن قال: قيس بن صرمة قلبه كما جزم الداودي والسهيلي بأنه وقع مقلوباً في رواية حديث الباب. انظر فتح الباري (٤: ١٥٥).

الصحابة والتابعين.

أما التعاليق: فلم يكثر في كتابه من التعليق فليس فيه منها إلا اثنا عشر موضعاً وهي في المتابعات لا في الأصول، ثم هي موصولة من جهات صحيحة في نفس الكتاب. ومن تحريه وورعه أيضاً أنه إذا ذكر بعض الرواة باسمه من غير نسبه أو بكنيته فإنه يبين نسبه بما يدل على أنه منه. ولصحيح مسلم مقدمة قيمة عرض فيها لتقسيم الأخبار، وما يخرج في صحيحه منها وأحوال الرواة، والكشف عن معانيهم، وبيان حرمة الكذب على رسول الله، والحث على التثبت في الرواية، وبيان أن الإسناد من الدين إلى غير ذلك.

أما تراجم الكتاب: فينبغي أن يعلم أن مسلماً لم يضع لكتابه تراجم للأبواب وإنما جمع الأحاديث المتعلقة بموضوع واحد في مكان واحد، وأحسن من ترجم لهذه الإمام النووي.

أما عدد أحاديثه فيقال إنها أربعة آلاف حديث أصول دون المكررات.

أما شروحه: فمنها (المعلم بفوائد كتاب مسلم) لأبي عبد الله محمد بن علي المازري المتوفى سنة ٥٣٦ هـ.

ومنها: إكمال المعلم في شرح صحيح مسلم للقاضي عياض بن موسى اليحصي المالكي المتوفى سنة ٥٤٤ هـ.

ومنها: المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج لأبي زكريا النووي المتوفى سنة ٦٧٦ هـ.

ومنها: شرح أبي الفرج عيسى بن مسعود الزواوي المتوفى سنة ٧٤٤ هـ.

أما مختصراته: فمنها:

١ - مختصر الشيخ أبي عبد الله شرف الدين محمد بن عبد الله المرسي المتوفى سنة ٦٥٦ هـ.

٢ - مختصر الشيخ الإمام أحمد بن عمر القرطبي، وله شرح على هذا المختصر سماه المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم.

٣ - مختصر الإمام عبد العظيم بن عبد القوي المنذري. المتوفى سنة ٦٥٦ هـ^١.

وأما أسباب النزول في هذا الكتاب، فليست مجموعة وإنما مفرقة وفق اختلاف الكتب التي تنتمي إليها.

٦ - سنن أبي داود:

المؤلف: سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو بن عامر الإمام شيخ السنة مقدم الحفاظ أبو داود الأزدي السجستاني محدث البصرة، ولد سنة اثنتين ومائتين، ورحل، وجمع، وصنف وبرع في هذا الشأن، كانت وفاته - رحمه الله - سنة خمس وسبعين ومائتين^٢.

^١ حاشية المزني: الخبية: الحرمان والخسران، النهاية في غريب الحديث والأثر (٢:٩٠)، مادة (خيب).

^٢ حاشية المزني: أخرجه البخاري كتاب الصوم، باب قوله تعالى: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ﴾ (٢:٦٧٦)، رقم (١٨١٦)، وأحمد في المسند (٣٠:٥٧٣) رقم (١٨٦١١)، والدارمي في سننه، كتاب الصوم، باب متى يمسك المتسحر من الطعام والشراب (٢:١٠) رقم (١٦٩٣)، وأبو داود في سننه، كتاب الصوم، باب مبدأ فرض الصيام (٢:٧٣٧) رقم (٢٣١٤) والترمذي في سننه، كتاب التفسير (٥:٧٩) رقم (٢٩٦٨)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ (٦:٢٩٧)، رقم (١١٠٢٣)، وأخرجه في المجتبى، كتاب الصيام، باب تأويل قوله تعالى: ﴿{وَكُلُوا وَاشْرَبُوا} ... {الآية (٤:٤٥٥)}، رقم (٢١٦٧).

الكتاب: سنن أبي داود.

كانت المؤلفات في الحديث - الجوامع والمسانيد ونحوها - يذكر فيها إلى جانب الأحكام أحاديث الفضائل والقصص والمواعظ والآداب حتى جاء أبو داود فجعل كتابه خاصاً بالسنن والأحكام مع الاستيفاء والاستقصاء. ولم يلتزم فيه مؤلفه تخريج الصحيح فحسب بل حتى الحسن لذاته ولغيره والضعيف المحتمل، وما لم يجمع الأئمة على تركه، وأما ما فيه وهن شديد فقد بينه ونبه عليه.

وقد بين أبو داود طريقته في سننه وبيان درجة أحاديثها في رسالته التي كتبها إلى أهل مكة جواباً لهم. قال ابن القيم عن كتابه (إنه جمع شمل أحاديث الأحكام، ورتبها أحسن ترتيب، ونظمها أحسن نظام، مع انتقاء أحسن انتقاء، واطراحه منها أحاديث المجروحين والضعفاء)^١.

أما عدة أحاديثه فأربعة آلاف وثمان مائة حديث قسمها إلى كتب، والكتب إلى أبواب وعدة الكتب خمسة وثلاثون كتاباً منها ثلاثة كتب لم يبوب فيها أبواباً، وعدة الأبواب واحد وسبعون وثمان مائة وألف، على أن هذا يختلف باختلاف النسخ.

أما شروحه: فمنها.

١ - معالم السنن لأبي سليمان الخطابي المتوفى سنة ٣٨٨ هـ.

٢ - شرح سراج الدين ابن الملقن المتوفى سنة ٨٠٤ هـ فقد شرح زوائده على الصحيحين في مجلدين.

٣ - شرح قطب الدين البيني الشافعي المتوفى سنة ٦٥٢ في أربع مجلدات كبار^٢. وغيرها.

أما أسباب النزول هنا فهي مفرقة وفق مناسبات الكتب والأبواب.

٧ - سنن الترمذي:

المؤلف: هو محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك الحافظ العلم البارع ابن عيسى السلمي الترمذي ولد في حدود سنة عشر ومائتين، وارتحل فسمع بخراسان والعراق والحرمين، وقد أضر في كبره بعد رحلته وكتبته العلم، وكانت وفاته - رحمه الله - سنة تسع وسبعين ومائتين بترمذ^٣.

الكتاب: جامع الترمذي.

تنبيه: لفظ النسائي يختلف عن غيره يسيراً مع اقتصار لفظه على حل الطعام والشراب.

^١ حاشية المزيني: الخون: أن يؤمن الإنسان فلا ينصح. لسان العرب (١٣: ١٤٤)، مادة (خون).

^٢ حاشية المزيني: أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةُ الصِّيَامِ﴾ (٤: ١٦٣٩) رقم (٤٢٣٨).

^٣ حاشية المزيني: أخرجه أحمد (٢٥: ٨٦) رقم (١٥٧٩٥) وفي إسناده ابن لهيعة، وقد تكلم في حفظه جمع من الأئمة منهم: يحيى القطان، وابن معين، وابن مهدي - واستثنى حديث ابن المبارك عنه - وأبو زرعة، والترمذي، والنسائي والدارقطني، وغيرهم، وأما الإمام أحمد فعنه في ابن لهيعة روايات، فمرة يلبنه، ومرة قال: ما حديث ابن لهيعة بحجة، وإني لأكتب كثيراً مما أكتب اعتبر به وهو يقوى بعضه ببعض، ومرة قال: من كان بمصر يشبه ابن لهيعة في ضبط الحديث وكثرته وإتقانه، ونص في بعض الروايات على أن من سمع منه قديماً فسماعه صحيح. تهذيب التهذيب (٥٠: ٣٢٧ - ٣٣١).

والذي يظهر من حاله - والله أعلم - أنه من الضعفاء الذين إذا توبعوا لحديثهم حسن وإن انفردوا لم يقبل حديثهم كما في هذا الحديث فإني لم أقف له على متابع.

وفي الإسناد أيضاً موسى بن جبير، لم أجد من تكلم عليه، غير أن ابن حبان ذكره في الثقات (٧: ٤٥١) وقال: يخطئ ويخالف. وروى عنه جمع كما في تهذيب الكمال (٢٩: ٤٢)، وقال عنه ابن حجر في التقريب (٦٩٥٤): مستور.

كتاب الترمذي كبقية كتب السنن لم يلتزم فيه مؤلفه تخريج الصحيح وحده، لكنه يبين عن علته إذا كان معلولاً. وقد التزم أن لا يخرج في كتابه إلا حديثاً عمل به فقيه أو احتج به محتج، وهذا شرط واسع، وكان من طريقتيه - رحمه الله - أن يترجم الباب الذي فيه حديث مشهور عن صحابي قد صح الطريق إليه، وأخرج من حديثه في الكتب الصحاح، فيورد في الباب ذلك الحكم من حديث صحابي آخر لم يخرجوه من حديثه، ولا تكون الطرق إليه كالطريق الأول وإن كان الحكم صحيحاً ثم يتبعه بأن يقول: (وفي الباب عن فلان وفلان) ويعد جماعة فيهم ذلك الصحابي المشهور وأكثر، وقبلما يسلك هذه الطريقة إلا في أبواب معدودة.

قال الذهبي عنه: (إنه يترخص في قبول الأحاديث ولا يشدد، ونفسه في التضعيف رخو)^١. وكتاب الترمذي يتميز بأمور:

الأول: من جهة حسن الترتيب وعدم التكرار.

الثاني: من جهة ذكر مذاهب الفقهاء ووجوه الاستدلال لكل أحد من أهل المذاهب.

الثالث: من جهة بيان أنواع الحديث من الصحيح والحسن والضعيف والغريب والمعلل.

الرابع: من جهة بيان أسماء الرواة وألقابهم وكناهم ونحوها من الفوائد، وفي آخره كتاب العلل، وفيه من الفوائد الحسنة ما لا يخفى على الفطن.

وللترمذي ثلاثي واحد بينه وبين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثلاثة رواة.

أما شروحه فمنا:

عارضة الأحوذى على الترمذي لأبي بكر بن العربي المتوفى سنة ٥٤٣ هـ.

ومنها شرح أبي الفتح محمد بن سيد الناس اليعمري الشافعي المتوفى سنة ٧٣٤ هـ.

بلغ فيه نحو ثلثي الجامع ولم يتم، ثم كمله الحافظ زين الدين العراقي المتوفى سنة ٨٠٦ هـ.

ومنها: شرح الحافظ زين الدين عبد الرحمن بن رجب الحنبلي المتوفى سنة ٧٩٥ هـ وغيرها كثير.

أما مختصراته:

فمنا مختصر الجامع لنجم الدين محمد بن عقيل الميالي المتوفى سنة ٧٢٩ هـ.

ومنها: مختصر الجامع لنجم الدين سليمان بن عبد القوي الطوفي الحنبلي المتوفى سنة ٧١٠ هـ^٢.

أما أسباب النزول هنا فهي مفرقة، وعدد لا بأس به منها موجود في أبواب تفسير القرآن.

^١ حاشية المزيني: العتمة: ثلث الليل الأول بعد غيوبة الشفق. لسان العرب (١٢: ٣٨١) مادة (عم).

^٢ حاشية المزيني: أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصوم، باب مبدأ فرض الصيام (٢: ٧٣٦) رقم (٢٣١٣) وإسناد أبي داود رجاله ثقات، سوى علي بن الحسين فإنه صدوق يهم - كما في التقريب (٤٧١٧) - وأما أبوه فتقة له أوهام - كما في التقريب (١٣٥٨) - وفي حديث أبيه بعض أوهام، وهو أيضاً ممن وصف بالتدليس، وقد عنعن في هذا الإسناد، إلا أنه ممن لا يدلسون إلا نادراً كما ذكره ابن حجر عنه إذ جعله في المرتبة الأولى من مراتب المدلسين كما في تعريف أهل التقديس (٧٩).

والحديث ضعفه النووي في المجموع (٦: ٢٥١) فقال: (وفي إسناده ضعف ولم يضعفه أبو داود).

ومع ما في إسناده من الضعف اليسير فإن متنه ورد في أحاديث أخرى جاءت عن بعض الصحابة، وحديث بعضهم في الصحيح منها حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما.

٨ - سنن النسائي.

المؤلف: أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر الخراساني النسائي أبو عبد الرحمن الإمام الحافظ الثبت، ناقد الحديث، ولد بنساً في سنة خمس عشرة ومائتين، وطلب العلم في صغره، وكان من بحور العلم مع الفهم والإتقان ونقد الرجال، وحسن التأليف، وكانت وفاته - رحمه الله - سنة ثلاث وثلاثمائة^١.
الكتاب: المجتبى من السنن.

ألف النسائي كتابه (المجتبى) مقتصراً فيه على الصحيح، وذلك بعد أن أهدى كتابه (السنن الكبرى) إلى أمير الرملة، فسأله: هل كل ما فيها صحيح؟ فقال: فيها الصحيح والحسن وما يقاربها فقال له: ميز لي الصحيح من غيره فصنف كتابه السنن الصغرى وسماه المجتبى من السنن، وكتاب السنن مرتب على الأبواب الفقهية كبقية كتب السنن.

وكان النسائي متشدداً في نقد الرجال، مبالغاً في التحري، فمن ثم قال العلماء إن درجة السنن الصغرى بعد الصحيحين لأنها أقل السنن بعدهما ضعيفاً، وليس بقليل من يفضل المجتبى على سنن أبي داود. وسنن النسائي (المجتبى) اشتمل على الصحيح والحسن والضعيف لكنه قليل بالنسبة إلى غيره. وأما ما ذكره بعض أهل العلم من أن كل ما في السنن صحيح فتساهل صريح وقول غير دقيق ولذا قال ابن كثير: (فيه رجال مجهولون إما عيناً وإما حالاً، وفيهم المجروح، وفيه أحاديث ضعيفة ومعللة ومنكرة)^٢. وهذه السنن الصغرى هي التي عدت من الأصول المعتمدة عند أهل الحديث ونقادها، وأما سننه الكبرى فكان من طريقته فيها أن يخرج عن كل من لم يجمع على تركه.

^١ حاشية المزني: أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب كيف الأذان (١: ٣٤٤) رقم (٥٠٦).

ومداره على بن أبي ليلى، وقد اختلف عليه وعلى من دونه من الرواة اختلافاً كثيراً، وخلاصة كلام الأئمة فيه أن الرابع عن عمرو بن مرة هو الوجه المرسل كما قاله الدارقطني في العلل: (٦: ٥٩): (والمرسل أصح) وقال ابن رجب في فتح الباري (٣: ٤٠٦) (ورواية شعبة أصح). ومما يقوي رجحان الوجه المرسل عن عمر أن كبار أصحاب حصين بن عبد الرحمن وهم: شعبة والثوري وجري، روه عن حصين عن ابن أبي ليلى مرسلًا، وقد خالفهم بعض الرواة الذين هم دونهم في الحفظ والإتقان: كابن طهمان، وعبد العزيز بن مسلم، ومحمد بن جابر، وشريك الذين روه عن حصين عن ابن أبي ليلى عن معاذ موصولاً.

والقول قول شعبة ومن وافقه، فإنهم أحفظ وأتقن ممن خالفهم بكثير، وخاصة شريك، ومحمد بن جابر. ولهذا صوّب جماعة من الأئمة الوجه المرسل، منهم ابن خزيمة في صحيحه (١: ١٩٩، ٢٠٠)، والدارقطني في سننه (١: ٢٤١، ٢٤٢)، والبيهقي (١: ٣٩١)، وفي (٤: ٢٠٠) وابن رجب كما تقدم.

وعلى فرض اعتبار الوجه الذي فيه تسمية معاذ أو عبد الله بن زيد فإنه منقطع لأن ابن أبي ليلى لم يسمع منهما ومن نص على ذلك ابن المديني - كما في تهذيب التهذيب (٦: ٢٣٥) - والبخاري في التاريخ الكبير (٥: ٣٦٨)، والضياء المقدسي كما نقله العلائي في جامع التحصيل (٢٢٦)، وابن حجر في الفتح (٨: ٣١). وخلاصة القول: أن الحديث معلول بثلاث علل:

(أ) كثرة الاختلاف على عمرو بن مرة، (ب) الانقطاع بين ابن أبي ليلى ومعاذ لأنه لم يسمع منه.

(ج) أن الثقات من أصحاب عمرو بن مرة روه عنه عن عبد الرحمن بن أبي ليلى مرسلًا وكذلك روه الثقات من أصحاب حصين بن عبد الرحمن عن ابن أبي ليلى مرسلًا وهو الذي رجحه جمع من الأئمة، والله أعلم.

^٢ حاشية المزني: جامع البيان (٢: ١٦٣)، معالم التنزيل (١: ١٥٧)، المحرر الوجيز (٢: ٨٩)، الجامع لأحكام القرآن (٢: ٣١٤، ٣١٥)، تفسير القرآن العظيم (١: ٢٢١)، التحرير والتنوير (٢: ١٨٠، ١٨١).

أما شروحه:

فنها زهر الربى على المجتبي لجلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ، وهو إلى التعليق أقرب منه إلى الشرح.
ومنها: تعليق أبي الحسن السندي المتوفى ١١٣٨ هـ.^١
أما أسباب النزول عند النسائي ففي سننه الكبرى جمعها في كتاب التفسير، وفي المجتبي فرقها من نواحيه، ولم يضع فيه كتاباً للتفسير.

٩ - سنن ابن ماجه:

المؤلف: محمد بن يزيد ابن ماجه، أبو عبد الله القزويني، حافظ قزوين في عصره، ولد سنة تسع ومائتين، ارتحل إلى العراق، ومكة والشام ومصر والري لكتب الحديث، وكانت وفاته - رحمه الله - سنة ثلاث وسبعين ومائتين.^٢
الكتاب: سنن ابن ماجه.

هذا الكتاب رابع كتب السنن المشهورة بالأربعة وقد رتبته مؤلفه على الكتب والأبواب، وقد ذكروا أن كتبه اثنان وثلاثون كتاباً، وجملة أبوابه ألف وخمسمائة باب، وجملة ما فيه أربعة آلاف حديث، وهي مرتبة ترتيباً فقهياً، وقد بدأ كتابه بباب اتباع سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

وهذه السنن مختلفة عن باقي السنن في الرتبة لكثرة الأحاديث الضعيفة فيها حتى قال المزي: (إن كل ما انفرد به ابن ماجه عن الخمسة فهو ضعيف).^٣

أما شروحه: فنها الديباجة لجمال الدين الدميري المتوفى سنة ٨٠٨ هـ.
ومنها: ما تمس إليه الحاجة على سنن ابن ماجه لسراج الدين بن الملحق المتوفى سنة ٨٠٤ هـ.^٤
أما أسباب النزول عند ابن ماجه فهي قليلة كما أنها مفرقة في نواحي الكتاب.

* المصدر الثاني: كتب التفسير:

لا ريب أن كتب التفسير عموماً، والتي تعنى بالتفسير بالمأثور خصوصاً لها النصيب الأوفى في إيراد أسباب النزول عند تفسير الآيات، ولبعض هذه المؤلفات التصاق أكبر بأسباب النزول من غيرها، وسأتناول بالتعريف ما رأيت أنه أكثر احتواءً لها.

١ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري:

المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الإمام العلم، المجتهد، أبو جعفر الطبري صاحب التصانيف البديعة من أهل أمل طبرستان، ولد سنة أربع وعشرين ومائتين، وأكثر الترحال، ولقي نبلاء الرجال، وكان من أفراد الدهر علماً،

^١ حاشية المزي: تيسير الكريم الرحمن (١:٢٢٥).

^٢ حاشية المزي: فتح الباري (٤:١٥٥).

^٣ حاشية المزي: أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب قول الله: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ (٢:٦٧٧) رقم (١٨١٨)، وأخرجه في كتاب التفسير، باب {﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾} .. { (٤:١٦٤) رقم (٤٢٤١)، ومسلم في كتاب الصيام، باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر (٢:٧٦٧) رقم (١٠٩١)، والنسائي في الكبرى، كتاب التفسير قوله تعالى: {﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾} ... { (٦:٢٩٧) رقم (١١٠٢٢).

^٤ حاشية المزي: انظر: جامع البيان (٢:١٧٢)، معالم التنزيل (١:١٥٨)، المحرر الوجيز (٢:٩١)، الجامع لأحكام القرآن (٢:٣٣٠)، تفسير القرآن العظيم (١:٢٣١)، التحرير والتنوير (٢:١٨٤)، (١٨٥).

وذكاءً، وكثرة تصانيف قل أن تر العيون مثله، وكانت وفاته - رحمه الله - سنة عشر وثلاثمائة ببغداد^١.
الكاتب: جامع البيان عن تأويل آي القرآن.

هذا الكتاب من أقوم كتب التفسير وأشهرها، وعليه يُعول، وإليه يرجع فهو إمام كتب التفسير بلا منازع قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأما التفاسير التي في أيدي الناس فأصحها تفسير محمد بن جرير الطبري، فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة، وليس فيه بدعة، ولا ينقل عن المتهمين كمقاتل بن بكير، والكلبي)^٢.
وقال عنه أيضاً: (وهو من أجل التفاسير وأعظمها قدراً) اهـ^٣.

وهذا التفسير وإن اشتهر عنه أنه من كتب التفسير بالمأثور إلا أن مؤلفه لم يقتصر فيه على المأثور عن السلف بل كان له فيه صولة وجولة ورأي ونظر.

أما منهجه في تفسيره فإنه إذا أراد تفسير الآية يقول: القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا ثم يذكر أحد المعاني في تفسيرها ثم يستشهد على ذلك بما يرويه عن السلف في ذلك المعنى، فإن كان في الآية قولان فأكثر فإنه يعرض كل قول على حدة ثم يمضي في سرد الروايات عن السلف في ذلك المعنى مسندة فإن كان للآية سبب نزول بدأ به قبل غيره، وفي ذلك يقول: (وأول ما نبداً به من القول في ذلك الإبانة عن الأسباب التي البداية بها أولى، وتقديمها قبل ما عداها أخرى)^٤.

والطبري من المكثرين من أسباب النزول، فلا تكاد تمر آية وفيها سبب نزول إلا أوردته مسنداً، وبأكثر من إسناد، معزواً لمن قاله من الصحابة والتابعين ثم يتحول بعد ذلك إلى الترجيح والتعليل.
ومن منهج الطبري أنه يفسر القرآن بالقرآن، وبالسنة، وأقوال الصحابة والتابعين وباللغة.
وله عناية فائقة في القراءات فيوردها، ويرجح بينها، وليس بغريب أن يكون كذلك لأنه من علماء القراءات المشهورين.

كما أنه يورد أقوال الفقهاء في آيات الأحكام، وينفرد أحياناً ببعض الآراء مؤيداً قوله بالدليل.
ومن منهجه مناقشة المسائل النحوية بعد إيرادها والأقوال فيها، وكثيراً ما يورد الأعراب في مواضع من الآيات ويستشهد لما يذهب إليه بالشعر الجاهلي والإسلامي، ولتفسير الطبري مزاياء، وعليه مآخذ.
فن مزاياء:

- ١ - الالتزام بأحسن طرق التفسير من تفسير القرآن بالقرآن، وبالسنة وأقوال الصحابة والتابعين، وتابعهم.
- ٢ - جمع أقوال أعلام المفسرين من السلف والاحتفاظ بخلاصة تفاسير مأثورة سابقة، فقدت، وضاعت أصولها.
- ٣ - ذكر أسانيد الروايات المأثورة ولو تعددت طرقها، وهذا ضروري للحكم على هذه الأحاديث، ولو لم يذكر الأسانيد ما أمكن ذلك.
- ٤ - جمعه بين الأثر والنظر، والمنقول والمقول.

^١ حاشية المزي: أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب قوله تعالى: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا...} {٢:٦٧٧} رقم الحديث (١٨١٧).

^٢ حاشية المزي: أخرجه مسلم، كتاب الصيام، باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطول الفجر (٢:٧٦٦) رقم (١٠٩٠).

^٣ حاشية المزي: انظر: التحرير والتنوير (٢:١٨٥).

^٤ حاشية المزي: فتح الباري (٤:١٥٨).

- ٥ - ذكر أقوال المخالفين وأدلتهم، وهذا من الإنصاف والموضوعية.
- ٦ - ترجيح الراجح من الأقوال في تفسير الآية، وذكر أسباب الترجيح، وعدم ترك القارئ حيران في متاهات الاختلاف.
- ٧ - تقرير قواعد وأسس التفسير المنهجية، سواء في بداية تفسيره أم في أثنائه.
- أما المآخذ عليه فنها:
- ١ - إيراد الروايات بأسانيد ضعيفة.
 - ٢ - عدم نقد الروايات والطرق والأسانيد التي يوردها، وعدم الحكم عليها.
 - ٣ - الخوض في (مبهمات القرآن) ومحاولة تفسيرها من الإسرائيليات التي لم تصح.
 - ٤ - عدم إسناد القراءات إلى أصحابها من القراء المشهورين وعدم التمييز بين الصحيح والشاذ.
 - ٥ - وجود الجمل الكثيرة المعترضة في الصياغة مما يكلف القارئ (في) إعادة الضمائر في الجمل، وربط الجمل بعضها ببعض^١.
 - ٢ - تفسير ابن أبي حاتم:
- المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران الحنظلي الغطفاني من تميم بن حنظلة بن يربوع، وقيل عرف بالحنظلي لأن أباه كان يسكن في درب حنظلة بمدينة الري، العلامة الحافظ، يكنى أبا محمد، ولد سنة أربعين أو إحدى وأربعين ومائتين، كان بجرأ في العلوم، ومعرفة الرجال وكان زاهداً يعد من الأبدال، وكانت وفاته - رحمه الله - سنة سبع وعشرين وثلاثمائة بالري، وله بضع وثمانون سنة^٢.
- الكتاب: تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والصحابة والتابعين.
- وكان الحامل للؤلؤ على تأليف الكتاب أن جماعة من إخوانه سألوه أن يخرج تفسيراً للقرآن مختصراً بأصح الأسانيد، مع حذف الطرق، والشواهد، والحروف، والروايات، وتنزيل السور، وأن يخرج التفسير مجرداً، مع تقصي كل حرف من القرآن له تفسير.
- فأجابهم إلى طلبهم، وتحرى إخراج ذلك بأصح الأخبار إسناداً، وأشبهها متناً، فإذا وجد التفسير عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يذكر معه أحداً من الصحابة (ممن) أتى بمثل ذلك، وإذا وجده عن الصحابة، فإن كانوا متفقين ذكره عن أعلاهم درجة بأصح الأسانيد، وسمى موافقيهم بحذف الإسناد.
- وإن كانوا مختلفين، ذكر اختلافهم، وذكر لكل واحد منهم إسناداً، وسمى موافقيهم بحذف الإسناد، فإن لم يجد عن الصحابة، ووجده عن التابعين، عمل فيه مثل ما عمل في الصحابة، وكذا الأمر في أتباع التابعين وأتباعهم.
- وهذا الكتاب قد تميز بأمور:
- ١ - أنه جمع بين دفتيه تفسير الكتاب بالسنة وآثار الصحابة والتابعين بالإسناد.

^١ حاشية المزني: انظر: فتح الباري (٤: ١٦٠).

^٢ حاشية المزني: أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَتُوا النُّبُوتَ مِنْ آبَائِهِمْ﴾ (٢: ٦٣٩) رقم (١٧٠٩)، وأخرجه مسلم، كتاب التفسير (٤: ٢٣١٩)، رقم (٣٠٢٦).

٢ - أنه ذكر روايات كثيرة لا توجد عند غيره، وبأسانيده هو.

٣ - أنه حفظ لنا كثيراً من التفاسير المفقودة مثل تفسير سعيد بن جبير ومقاتل بن حيان وغيرهما.

٤ - أنه مصدر أصيل معتمد لدى جمهور علماء التفسير في كل العصور بعده، ولهذا نجد معظم التفاسير تنقل عنه كثيراً من الآثار والروايات التي سردها^١.

أما أسباب النزول فهي كثيرة في تفسيره، فإن ذكر آية لها سبب ذكره ضمن الروايات فيها.
٣ - تفسير الثعلبي:

المؤلف: هو العلامة، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، كان أحد أوعية العلم، كان صادقاً موثقاً، بصيراً بالعربية، طويل الباع في الوعظ، وكانت وفاته - رحمه الله - سنة سبع وعشرين وأربعمائة^٢.
الكتاب: الكشف والبيان عن تفسير القرآن.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذا التفسير: (فيه فوائد جلية، وفيه غث كثير من المنقولات الباطلة وغيرها، والثعلبي فيه سلامة من البدع وإن ذكرها تقليداً لغيره)^٣ اهـ.

وقد ذكر المؤلف الحامل له على التأليف وهو أنه لم يجد في كتب من سبقه كتاباً جامعاً مذهباً يعتمد عليه، ثم ذكر ما كان من رغبة الناس إليه في إخراج كتاب في تفسير القرآن، فأجاب طلبهم رعاية لحقهم، وتقرباً إلى الله تعالى. وقد بدأ تفسيره بمقدمة ألقى فيها الضوء عليه، وأبان عن منهجه وطريقته فيه، كما ذكر في أول كتابه أسانيده إلى من يروي عنهم التفسير من علماء السلف مكتفياً بذلك عن تكرارها في ثانيا الكتاب، كما ذكر أسانيده إلى مصنفات أهل عصره، ومنها كتب الغريب، والمشكل، والقراءات، ثم ذكر باباً في (فضل) القرآن وأهله، وباباً في معنى التفسير والتأويل.

كما أن له عناية في اللغة وأصولها، وتصاريدها ويستشهد على قوله بشعر العرب، وكان يتوسع في الأحكام الفقهية، وخصوصاً مذهب الشافعي.

كما كان مولعاً بالأخبار والقصص ولهذا يتوسع في ذكر الإسرائيليات بدون تعقب أو تنبيه كما كان ينقل ما وجد في كتب التفسير حتى من الموضوعات، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والثعلبي هو في نفسه كان فيه خير ودين، وكان حاطب ليل ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع)^٤ اهـ.
وكان يذكر القراءات في الآية ويعتني بتوجيهها، والاستدلال لها.

أما أسباب النزول فكان يعتني بسردها، دون عزو أو إسناد كما أنه لا يتعقبها بالتعليق^٥.

^١ حاشية المزني: أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ (٤: ١٦٤٠) رقم (٤٢٤٢)، والنسائي في الكبرى، كتاب التفسير، قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ (٦: ٢٩٧) رقم (١١٠٢٤).

^٢ حاشية المزني: جامع البيان (٢: ١٨٦، ١٨٧) معالم التنزيل (١: ١٦٠)، المحرر الوجيز (٢: ٩٨، ٩٩)، الجامع لأحكام القرآن (٢: ٣٤٤)، تفسير القرآن العظيم (١: ٢٢٥)، التحرير والتنوير (٢: ١٩٧).

^٣ حاشية المزني: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأبي العباس القرطبي (٧: ٣٢٠).

^٤ حاشية المزني: شاخصاً: أي خارجاً في سبيل الله. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢: ٤٥٠) مادة (شخص).

^٥ حاشية المزني: أخرجه الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة البقرة (٥: ٨٢) رقم (٢٩٧٢)، وأبو داود، كتاب الجهاد، باب في

٤ - تفسير البغوي:

المؤلف: الإمام العلامة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي المفسر، كان زاهداً قانعاً باليسير، وكان أبوه يعمل الفراء ويبيعها، كانت وفاته - رحمه الله - في مرو الروذ من مدائن خراسان سنة ست عشرة وخسمائة، وعاش بضعا وسبعين سنة^١.
الكتاب: معالم التنزيل:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (تفسير البغوي مختصر من تفسير الثعلبي، وحذف منه الأحاديث الموضوعة، والبدع التي فيه وحذف أشياء غير ذلك)^٢ اهـ.

أما منهجه في كتابه فإنه يعتمد على تفسير القرآن بالقرآن، وبالسنة، وبأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم. أما الأحاديث الموضوعة فقد نفاها من كتابه، وكذلك البدع التي ملأ الثعلبي بها كتابه. أما أحاديث بني إسرائيل فقد اجتنب أكثرها لكنه مع ذلك روى بعضها، وهي في تفسيره أقل من غيره. كما أن عنايته باللغة والنحو عناية سطحية سريعة، وإن عرضها كان عرضه إياها موجزاً ومختصراً. أما القراءات فله حظ فيها، فكان يفصل فيها، ويبسطها، ويذكر الفرق بين القراءتين. وكان يذكر المسائل الفقهية، ويعتني بها، ولعل ذلك يعود لكونه من فقهاء الشافعية. وكان يبين في أوائل السور المكي والمدني، ويعتمد في ذلك على المأثور، وأحياناً يرح ويختار، وأحياناً يدع الأمر مرسلأ بلا تحديد. أما أسباب النزول فله بها عناية لاعتماده على المأثور في التفسير، مع ما للأسباب من أثر بين في بيان المعنى، وهي كثيرة في تفسيره^٣. وبالجملة فكتاب البغوي يغلب عليه النقل، ويقل فيه الترجيح والنقد.

٥ - تفسير ابن كثير:

المؤلف: الحافظ الكبير عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن زرع البصري ثم الدمشقي، الفقيه، الشافعي، ولد بقرية من أعمال بصرى سنة سبعمائة، وقيل إحدى وسبعمائة، ثم انتقل إلى دمشق سنة ست وسبعمائة، برع في الفقه والتفسير والنحو، وأمعن النظر في الرجال والعلل، وكان كثير الاستحضار، قليل النسيان، جيد الفهم، وكانت وفاته - رحمه الله - سنة أربع وسبعين وسبعمائة^٤.

قوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (٣:٢٧) رقم (٢٥١٢)، والنسائي في الكبرى، كتاب التفسير، قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (٦:٢٩٩) رقم (١١٠٢٩)، وابن حبان في صحيحه (١١:٩) رقم (٤٧١١)، والحاكم في المستدرک (٢:٨٤)، (٢٧٥).
من طرق عن أسلم أبي عمران، فذكره إلا أن في رواية أبي داود أن الذي على الجماعة هو عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بدل فضالة بن عبيد، والحديث صححه ابن حبان والحاكم - كما سبق - وهو كما قالوا. والله أعلم.

^١ حاشية المزني: أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب: { وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ } .. { الآية (٤:١٦٤٢) } رقم (٤٢٤٤).
^٢ حاشية المزني: جامع البيان (٢:٢٠١ - ٢٠٣)، معالم التنزيل (١:١٦٤)، المحرر الوجيز (٢:١٠٦ - ١٠٧)، الجامع لأحكام القرآن (٢:٣٦٢)، تفسير القرآن العظيم (١:٢٢٨ - ٢٢٩).

^٣ حاشية المزني: فتح الباري (٨:٣٣).

^٤ حاشية المزني: يهافت: يتساقط. النهاية في غريب الحديث والأثر (٥:٢٦٦) مادة (هفت).

الكاتب: تفسير القرآن العظيم.

هذا الكتاب من أنفع كتب التفسير، وأكثرها شيوعاً، وهو يعد من كتب التفسير بالمأثور. وقد كان مؤلفه يعتمد في تفسيره طريقة ابن جرير الطبري حيث يفسر القرآن بالقرآن، وبالسنة، وأقوال الصحابة والتابعين.

وكان له عناية بدراسة المسائل الفقهية لكن على نحو معتدل بعيداً عن المبالغة والتقصير. كما كان له عناية بالأحداث التاريخية التي تناولها القرآن بالحديث عنها، وهذا ليس بغريب إذا علمنا أن مؤلفه البداية والنهاية يعد من المراجع التاريخية، أما الإسرائيليات فقد كان يكثر منها في تفسيره، وكثيراً ما كان يتعقبها وينهج في ذلك ما أذن الشارع في نقله منها مما لا يخالف كتاباً ولا سنة. أما أسباب النزول فهي كثيرة في تفسيره، وأحياناً يحرق القول في متونها وأسانيدها وأحياناً أخرى يرويها ولا يتعقبها بشيء.

وكان يعول على اللغة في تفسير القرآن ودلالاتها، ويورد على هذا الشواهد الشعرية ويحللها. ومن مميزات هذا التفسير ما يلي:

- ١ - اختار أن يفسر القرآن بالمأثور وهذه الطريقة من أحسن الطرق في التفسير.
 - ٢ - سلامة المعتقد في باب الأسماء والصفات، فقد خلا تفسيره من البدع.
 - ٣ - عنايته بنقد الأسانيد، وهذا قليل وجوده في كتب التفسير.
 - ٤ - عدم استطراده في المباحث التي لا تمس التفسير.
- أما أبرز المآخذ فيها:

- ١ - أنه حفل بالكثير من الإسرائيليات.
- ٢ - أنه يحشد أعداداً كبيرة من الأحاديث بأسانيداً في المعنى الواحد وهذا يبلبل القارئ^١.
- ٦ - الدر المنثور للسيوطي.

المؤلف: الحافظ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن ساق السيوطي الشافعي، صاحب التصانيف، ولد سنة تسع وأربعين وثمان مائة.

سمع الحديث من جماعة، وأجازه أكبر علماء عصره، وبرز في جميع الفنون وفاق الأقران، واشتهر ذكره، وبعد صيته، وكانت وفاته سنة إحدى عشرة وتسعمائة^٢.

^١ حاشية المزني: الفرق بالتحريك: مكالم يسع ستة عشر رطلاً وهي اثنا عشر مداً، أو ثلاثة أصع عند أهل الحجاز. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣: ٤٣٧) مادة (فرق).

^٢ حاشية المزني: أخرجه البخاري، كتاب الحج أبواب الإحصار وجزاء الصيد باب قول الله تعالى: ﴿أَوْ صَدَقَ﴾ وهي إطعام ستة مساكين (٢: ٦٤٤)، رقم (١٧٢٠)، وانظر باب: الإطعام في القدية نصف صاع (٢: ٦٤٥) رقم (١٧٢١)، وباب النسك شاة (٢: ٦٤٥) رقم (١٧٢٢)، وأخرجه في كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، (٤: ١٥٣٧) رقم (٣٩٢٧)، وانظر رقم (٣٩٥٥)، وأخرجه في كتاب التفسير، باب: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ﴾ (٤: ١٦٤٢) رقم (٤٢٤٥)، وأخرجه أحمد في المسند برقم (١٨١٥٣)، وأبو داود، (١٨١٧٢)، وأخرجه مسلم، كتاب الحج، باب جواز حلق الرأس للبحرم (٢: ٨٥٩ - ٨٦٢) برقم (١٢٠١)، وأبو داود، كتاب

الكتاب: الدر المنثور في التفسير بالمأثور.

هذا الكتاب اختصره المؤلف من كتاب آخر أوسع منه وهو (ترجمان القرآن) ساق فيه التفسير بالأسانيد، فلها رأى المهم عن تحصيله قاصرة والرغبة في الاختصار على متون الأحاديث وافرة لخصه في كتابه الدر المنثور، وهذا الكتاب يحوي بين دفتيه الروايات الماثورة من كتب الحديث الصحاح، والسنن، والمسانيد، والمصنفات، وكتب التفسير.

ولم يقتصر كتابه على الصحيح من الروايات بل أورد فيه الضعيف والموضوع^١ وأما أسباب النزول في كتابه فهي كثيرة ضرورة كثرة المرويات، لكنها بحاجة إلى دراسة نقدية في أسانيدها ومتونها والله أعلم.

* ثالثاً: المصادر المستقلة:

وأعني بها المصادر التي أفردت أسباب النزول بالتناول، وهي كثيرة إلا أنني سأقتصر في التعريف على كتابين يعدان من أشهرها، وأكثرها تداولاً بين أهل التخصص وهما:

١ - أسباب النزول للواحدي:

المؤلف: الإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري، الشافعي، صاحب التفسير، صنف التفاسير الثلاثة، البسيط، والوسيط، والوجيز.

تصدر للتدريس مدة، وعظم شأنه، وكانت وفاته - رحمه الله - سنة ثمان وستين وأربعمائة^٢.

الكتاب: أسباب النزول:

قدم الواحدي كتابه بمقدمة يبين فيها أهمية علوم القرآن، والآثار الدالة على جواز تفسيره، وكيف نزل ابتداءً، وأول وآخر ما نزل ثم تكلم عن كل آية لها سبب منقول، ومن منهجه:

أنه رتب الآيات على ترتيب المصحف إلا في مواضع نادرة، كما أنه يذكر اسم السورة، وبعد ذكر الآية يتبعها بذكر السبب أو الأسباب، وأحياناً يذكر السبب بدون ذكر الآية قبله، وأحياناً يذكر الخلاف في سبب نزول الآية، وقد يعدد الروايات للسبب الواحد، كما أنه أحياناً يذكر الحديث المتصل والمرسل بالسند، وأحياناً بغير سند، لكن إسناده للمتصل أكثر من إسناده للمرسل.

أما إسناده القول للمفسرين فتارة يقول قال المفسرون، أو قال أكثر المفسرين أو قال أهل التفسير، أو عند أكثر المفسرين نزلت في كذا، ونحو هذا، وأحياناً لا يعين المفسرين، بل يقول قال آخرون، وقال قوم، يروي، روي، ومن الكثير عنده أنه لا ينسب السبب لقائله.

كما أنه في بعض المواضع يبين معاني الآيات، كما أنه قد يذكر بعض الفوائد في معاني الأحاديث، وقد يذكر الآية،

المناسك، باب في الفدية (٤٣٠: ٤٣٢) برقم (١٨٥٦، ١٨٥٧، ١٨٥٨، ١٨٥٩، ١٨٦٠) وأخرجه الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة البقرة (٥: ٨٤) رقم (٢٩٧٣، ٢٩٧٤) والنسائي في الكبرى، كتاب التفسير، قوله تعالى: {فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا} ... الآية (٦: ٢٩٩، ٣٠٠) رقم (١١٠٣٠، ١١٠٣١)، وابن ماجه، كتاب المناسك، باب فدية المحصر، (٢٨: ١٠٢٩، ٢٩) رقم (٣٠٧٩، ٣٠٨٠).

^١ حاشية المزيبي: جامع البيان (٢: ٢٣٠)، معالم التنزيل (١: ١٦٩، ١٧٠)، المحرر الوجيز (٢: ١١٢)، الجامع لأحكام القرآن (٢: ٣٨٣)، تفسير القرآن العظيم (٢: ٢٣٢).

^٢ حاشية المزيبي: الصبيان: بيض البرغوث والقمل. لسان العرب (١: ٥١٤) مادة (صأب).

ويبين معناها من غير ذكر سبب نزولها وقد يعقب على ذكر الحديث الذي رواه بسنده فيقول رواه البخاري أو مسلم أو الحاكم عن فلان.

كما أنه يذكر بعض الروايات على أنها أسباب نزول وليست كذلك^١.

٢ - باب النقول في أسباب النزول:

المؤلف: تقدم التعريف به.

الكتاب:

هذا الكتاب يعد من الكتب الرئيسة في علم أسباب النزول، فقد حوى منها شيئاً كثيراً، واستفاد مؤلفه من كتاب الواحد الذي سبقه في اقتناص محاسنه وزاد عليها من عنده ومن ذلك:

أ - أنه حفظ في كتابه نصوصاً من كتب مفقودة، فكتابه فيها مرجع أصيل.

ب - حكمه على بعض الأحاديث والآثار بالصحة أو الضعف أو غيرهما.

ج - نقله لأقوال العلماء في الحكم على بعض الأحاديث والآثار.

د - ذكره لطريق الحديث والأثر مما يعين على الحكم على السبب خاصة إذا كان الكتاب مفقوداً.

هـ - ذكره عدة أسباب لنزول الآية، ومحاولة الجمع بينهما.

و - تعقيبه على بعض الأقوال العلمية.

ز - ترجيحه واختياره لبعض الأسباب دون بعضها.

ح - تحديده لظروف نزول الآية هل هي مكية أو مدنية ليلية أو نهارية.

أما ما يلاحظ على كتابه فالآتي:

أ - أنه لم يستوعب جميع الآيات التي ورد فيها سبب نزول.

ب - أنه ذكر بعض الأحاديث والآثار الضعيفة مع أنه أشار في مقدمة كتابه إلى عدم ذكر ذلك.

ج - في مواضع نادرة لا يرتب الآيات كترتيب المصحف^٢.

المبحث الخامس

بواعث الخطأ في أسباب النزول

من رحمة الله بهذه الأمة حفظه لكتابها الذي لا يقوم دينها إلا به، وصيانه من التحريف والتبديل الذي نال

كثيراً من الكتب السماوية السابقة فقال - سبحانه وتعالى - : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]،

بل زاد على ذلك أن صانه من الاختلاف والتناقض فقال - سبحانه وتعالى - : ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ

عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] فتمت بذلك كلمة ربك صدقاً وعدلاً أن الاختلاف واقع

^١ حاشية المزيخي: أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب قول الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ (٢:٥٥٤) رقم (١٤٥١)، وأبو

داود. كتاب المناسك، باب التزود في الحج (٢:٣٤٩) رقم (١٧٣٠)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ

خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ (٦:٣٠٠) رقم (١١٠٣٣).

^٢ حاشية المزيخي: جامع البيان (٢:٢٨١)، معالم التنزيل (١:١٧٣)، أحكام القرآن (١:١٣٥)، الجامع لأحكام القرآن (٢:٤١١)، تفسير

القرآن العظيم (١:٢٣٨، ٢:٣٩)، التحرير والتنوير (٢:٢٣٦).

ولا بد إلا من المعصوم - صلوات الله وسلامه عليه - كما قال عنه ربه - عز وجل :- ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤] وإن نظرة في العلوم عامة على اختلاف مشاربها، وتنوع مصادرها يجد اختلافاً كثيراً، فما كان بالأمس من النظريات ثابتاً قائماً لا يجوز تكذيبه، أصبح اليوم نائماً لا يجوز تصديقه، وما كان في السابق من الظنيات أصبح في الحاضر من الحقائق المسلمات.

وليست علوم الشريعة بجميع تخصصاتها بلا استثناء سِلماً من هذا فقد نالها حظها ونصيبها من الاختلاف، إلا أن ما يميز تلك العلوم عن غيرها ثبوت الأصلين شاخحين معصومين من الخطأ والزلل، كتاب الله، وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - مما يفتح الباب واسعاً لكل من ينشد التحقيق والتدقيق في تحرير المسائل وتصويبها إن استمسك بغرر هذين الأصلين.

وإن علوم التفسير عامة، وأسباب النزول على وجه الخصوص قد أصابها ما أصابها من ذلك، فتجد من يقول: سبب نزول الآية كذا، وآخر يقول: هذا لا يصح أن يكون سبباً لها، وآخر يذكر حدثاً ثم يقول: فأُنزل الله، وآخر يذكر نفس القصة ثم يقول: فلا عليه، أو يقول: فذلك قوله تعالى.

ومنهم من يقول: نزلت هذه الآية بمكة، وآخر يقول: بل نزلت في المدينة، وثالث يقول: بل نزلت مرتين.

اختلاف وتباين يجعل الحليم حيراناً، يقرأ وينظر لكنه لم يستفد إلا بلبلة الفكر وتشتت الذهن.

وقد حاولت في هذا المبحث جمع الأسباب التي قادت إلى الوقوع في الخطأ وحصرها مع التمثيل لكلٍ منها بعدد من الأمثلة ليتبين للناظر حقيقة الأمر بدليله.

وإني أعتقد جازماً أن هذا المبحث ثمرة حسنة من ثمار البحث لأمرين:

أولاً: أن العلم بسبب الخطأ سبب للوقاية منه، وقد قيل: من لا يعرف الشوك لا يتقيه.

ثانياً: الوقوف على القواعد المعتمدة، والضوابط المقررة في تحديد سبب النزول من غيره، وإن العلم بالخطأ يورث العلم بالصواب، وقد قيل: وبضدها تتميز الأشياء.

وقد تبين لي بعد التتبع والاستقراء أن البواعث الرئيسة على الخطأ تنحصر في خمسة يندرج تحتها صور متعددة، وأقسام متنوعة، سأذكر تحت كل قسم خمسة أمثلة، وأحيل في الحاشية إلى المواضع الأخرى.

السبب الأول: أن تقع المخالفة بين سبب النزول وآيات القرآن باعتبار التاريخ وهو قسمان:

أ - أن تقع المخالفة بين ما نزل قبل الهجرة أو بعدها. وإليك الأمثلة:

١ - أخرج ابن ماجه عن خباب - رضي الله عنه - في قوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ - إلى

قوله :- ﴿فَتَكُونَنَّ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ قال: جاء الأقرع بن حابس التميمي، وعيينة بن حصن الفزاري فوجدوا رسول

الله - صلى الله عليه وسلم - مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعداً في ناس من الضعفاء من المؤمنين، فلما رأوهم

حول النبي صلى الله عليه وسلم حقروهم، فأتوه، نفلوا به وقالوا: إنا نريد أن تجعل لنا منك مجلساً تعرف لنا به

العرب فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا العرب مع هذه الأعبد،

فإذا نحن جئناك فأفهم عنك، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت. قال: (نعم) قالوا: فاكتب لنا عليك كتاباً، قال: فدعا بصحيفة، ودعا علياً ليكتب، ونحن قعود في ناحية فنزل جبرائيل - عليه السلام - فقال: {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} ... {١٠٠} اهـ. مختصراً.

قال ابن عطية: (وهذا تأويل بعيد في نزول الآية لأن الآية مكية وهؤلاء الأشراف لم ينفذوا إلا في المدينة، وقد يمكن أن يقع هذا القول منهم، لكنه إن كان وقع فيعد نزول الآية بمدة). اهـ.

وقال ابن كثير: (وهذا حديث غريب، فإن هذا الآية مكية، والأقرع بن حابس وعيينة إنما أسلما بعد الهجرة بدر) ١٠١ اهـ.

٢ - أخرج البخاري ومسلم عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال أبو جهل: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، فنزلت: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

وقد أخرج البخاري عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: سورة الأنفال. قال: نزلت في بدر وقال ابن عاشور: (وقد اتفق رجال الأثر كلهم على أنها نزلت في غزوة بدر. قال ابن إسحاق: أنزلت في أمر بدر سورة الأنفال بأسرها). اهـ.

وجه المخالفة: أن سورة الأنفال بالاتفاق نزلت بعد الهجرة، وأن دعاء أبي جهل كان بمكة لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ وإنما كان فيهم قبل الهجرة ٢.

٣ - أخرج الترمذي عن ابن أخي عبد الله بن سلام قال: لما أريد عثمان جاء عبد الله بن سلام، فقال له عثمان: ما جاء بك؟ قال: جئت في نصرتك، قال: اخرج إلى الناس فاطردهم عني فإنك خارج خير لي منك داخل، نفرج عبد الله إلى الناس، فقال: أيها الناس، إنه كان اسمي في الجاهلية فلان، فسماني رسول الله - (ص) - عبد الله، ونزلت في آيات من كتاب الله، نزلت في: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾ .. { ونزلت في: } {قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ}.

قال القرطبي: (وكيف يكون عبد الله بن سلام، وهذه السورة مكية، وابن سلام ما أسلم إلا بالمدينة؟).

وقال ابن كثير: (قيل: نزلت في عبد الله بن سلام. قاله مجاهد، وهذا القول غريب لأن هذه الآية مكية، وعبد الله بن سلام إنما أسلم في أول مقدم النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة).

وقال ابن عاشور: (وقيل: أريد به عبد الله بن سلام، الذي آمن بالنبي - صلى الله عليه وسلم - في أول مقدمه

^١ حاشية المزيني: عكاظ: نخل في واد بينه وبين الطائف ليلة وبينه وبين مكة ثلاث ليال، وسميت عكاظ بذلك لأنهم كانوا يتفخرون فيها إذا اجتمعوا يقال: عكظ الرجل صاحبه إذا فخره وغلبه بالمفاخرة، وقيل: سميت بذلك من تعكظ القوم تعكظاً إذا تحبسوا ينظرون في أمورهم. معجم البلدان (٤: ١٦٠).

^٢ حاشية المزيني: مجنة: تقع بمر الظهران قرب جبل يقال له الأصفر وهو أسفل مكة على قدر يريد منها، وكانت تقوم عشرة أيام من آخر ذي القعدة والعشرون منه قبلها سوق عكاظ وبعد مجنة سوق ذي الحجاز ثمانية أيام من ذي الحجة ثم يعرفون في التاسع إلى عرفة. معجم البلدان (٥: ٧٠).

المدينة، ويبيده أن السورة مكية)^١.
والآية المقصودة هنا آية سورة الرعد.

٤ - أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: كانت بنو سلمة في ناحية المدينة فأرادوا النقلة إلى قرب المسجد فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إن آثاركم تكتب فلا تنتقلوا).

قال ابن عطية: (وهذه السورة مكية بإجماع إلا أن فرقة قالت: إن قوله: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ نزلت في بني سلمة، وليس الأمر كذلك إنما نزلت الآية بمكة ولكنه احتج بها عليهم في المدينة)^{١٠} اهـ باختصار.

وقال ابن كثير عن هذا الحديث: (وفيه غرابة من حيث ذكر نزول هذه الآية، والسورة بكملها مكية فالله أعلم)^{١٠} اهـ. وقال ابن عاشور: (وتوهم راوي الحديث أن هذه الآية نزلت في ذلك وسياق الآية يخالفه، ومكيها تنافيه)^٢ اهـ.

٥ - أخرج أحمد والترمذي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: مر يهودي برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو جالس، قال: كيف تقول يا أبا القاسم يوم يجعل الله السماء على ذه وأشار بالسبابة، والأرض على ذه، والجبال على ذه، وسائر الخلق على ذه؟ كل ذلك يشير بأصابعه، قال: فأنزل الله - عز وجل -: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾.

قال ابن عطية: (فرسول الله - صلى الله عليه وسلم - تمثل بالآية وقد كانت نزلت)^{١٠} اهـ. وقال ابن عاشور: (وهو وهم من بعض رواته، وكيف وهذه مكية، وقصة الخبر مدنية)^٣ اهـ.

ب - أن تقع المخالفة فيما نزل بعد الهجرة أكان في أولها أم في آخرها وإليك الأمثلة:

١ - أخرج مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة ويكبر، ويرفع رأسه (سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد) ثم يقول وهو قائم: (اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة، والمستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم كسني يوسف، اللهم العن لحيان ورعلاً وذكوان وعصية عصت الله ورسوله) ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾.

وجه المخالفة: أن قصة رعل، ولحيان، وذكوان وعصية كانت لما قُتل القراء في بئر معونة وذلك في صفر من السنة الرابعة، والآية في سياق غزوة أحد، فكيف يتقدم النزول على السبب؟^٤

٢ - أخرج أبو داود والترمذي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: نزلت هذه الآية: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾

^١ حاشية المزيني: المجاز: موضع سوق بعرفة على ناحية كبكب على فرسخ من عرفة. معجم البلدان (٥: ٦٦).

^٢ حاشية المزيني: أخرجه البخاري، كتاب التفسير باب: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ (٤: ١٦٤٢) رقم (٤٢٤٧)، وأخرجه في كتاب الحج، باب: التجارة أيام الموسم (٢: ٦٢٨) رقم (١٦٨١)، وأخرجه في كتاب البيوع (٢: ٧٢٣) رقم (١٩٤٥)، وأخرجه في كتاب البيوع، باب الأسواق التي كانت في الجاهلية (٢: ٧٤٠) رقم (١٩٩٢).

^٣ حاشية المزيني: نكري: نؤجر، والكراء أجرة المستأجر. لسان العرب (١٥: ٢١٨) مادة (كرا).

^٤ حاشية المزيني: المعروف: موضع الوقوف بعرفة. معجم البلدان (٥: ١٨١).

في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر، فقال بعض الناس: لعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخذها فأنزل الله - عز وجل -: {وَمَا كَانَ لَنَبِيِّ أَنْ يَغُلَّ} .. { الآية.

أفاد ابن عاشور أن هذا الحديث لا يصح أن يكون سبباً لنزول الآية، إذ كيف تفقد القطيفة يوم بدر، ولا تنزل الآية لأجل هذا إلا يوم أحد مع أن بين الغزوتين سنة وشهراً^١.

٣ - أخرج البخاري وأحمد عن عائشة - رضي الله عنها - زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - قالت: كان عمر بن الخطاب يقول لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - احبب نساءك قالت: فلم يفعل، وكان أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - يخرجن ليلاً إلى ليل قبل المناسك، فخرجت سودة بنت زمعة، وكانت امرأة طويلة، فرآها عمر بن الخطاب وهو في المجلس. فقال: عرفناك يا سودة، حرصاً على أن ينزل الحجاب، قالت: فأنزل الله - عز وجل - آية الحجاب. قال ابن كثير عن هذا الحديث: (المشهور في قصة سودة أنها كانت بعد نزول الحجاب) اهـ. وإذا كان كذلك فكيف تكون القصة سبب نزول الآية ولم تقع إلا بعدها^٢.

٤ - أخرج البخاري وأحمد عن المسور بن مخرمة ومروان في قصة الحديبية قالوا: خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زمن الحديبية حتى كانوا ببعض الطريق فذكر الحديث ... إلى أن قالوا: وبنفلة منهم أبو جندل بن سهيل فلحق بأبي بصير فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها، فقتلوهما وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - تناشده بالله والرحم: لما أرسل: فمن أتاه فهو آمن، فأرسل النبي - صلى الله عليه وسلم - إليهم، فأنزل الله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَنْظَرَكُمْ عَلَيْهِمْ} ... { قال ابن حجر: (ظاهره أنها نزلت في شأن أبي بصير، وفيه نظر، والمشهور في سبب نزولها ما أخرجه مسلم من حديث سلمة بن الأكوع، ومن حديث أنس بن مالك أيضاً وأخرجه أحمد والنسائي من حديث عبد الله بن مغفل بسند صحيح أنها نزلت بسبب القوم من قريش الذين أرادوا أن يأخذوا من المسلمين غرةً، فظفروا بهم، فعفا عنهم النبي - صلى الله عليه وسلم - فنزلت الآية) اهـ. وهذا كان في الحديبية، وقصة أبي بصير بعد الحديبية.

٥ - أخرج البخاري وأحمد ومسلم عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قيل للنبي - صلى الله عليه وسلم -: لو أتيت عبد الله بن أبي، فانطلق إليه النبي - (ص) - وركب حماراً، فانطلق المسلمون يمشون معه، وهي أرض

^١ حاشية المزني: أخرجه أحمد في المسند (١٠:٤٧٣) رقم (٦٤٣٤)، وأبو داود في سننه، كتاب المناسك، باب الكري (٢:٣٥٠) رقم (١٧٣٣)، وابن خزيمة (٤:٣٥٠) رقم (٣٠٥١) من طرق عن أبي أمامة التيمي عن ابن عمر فذكره، وإسناد الحديث صحيح كما قال ابن خزيمة، فإن أبا أمامة - ويقال أبو أميمة - وثقه ابن معين، وقال: لا يعرف اسمه، وقال: أبو زرعة لا بأس به. انظر تهذيب الكمال (٣٣:٥٢).
^٢ حاشية المزني: جامع البيان (٢:٢٨٢ - ٢:٢٨٥)، معالم التنزيل (١:١٧٤)، وأحكام القرآن لابن العربي (١:١٣٥)، المحرر الوجيز (٢:١٢٦)، الجامع لأحكام القرآن (٣:٤١٣، ٤:١٤)، تفسير القرآن العظيم (١:٢٣٩، ٢:٤٠)، التحرير والتنوير (٢:٢٣٧).

^٣ حاشية المزني: الجنس: جمع الأحسن وهم قريش ومن ولدت قريش وكثانة وجديلة قيس، سواهم لأنهم تحمسوا في دينهم: أي تشددوا. النهاية في غريب الحديث والأثر (١:٤٤٠) مادة (حمس).

سبخة، فلما أتاه النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: إليك عني، والله لقد آذاني تنن حمارك، فقال رجل من الأنصار منهم: والله لحمار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أطيب ريحاً منك، فغضب لعبد الله رجل من قومه فشتمه، فغضب لكل واحد منهما أصحابه فكان بينهما ضرب بالجريد والأيدي والنعال فبلغنا أنها أنزلت: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾.

قال ابن عاشور: (وبناكد هذا - أي القول بأنها سبب النزول - أن تلك الواقعة كانت في أول أيام قدوم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة، وهذه السورة نزلت سنة تسع من الهجرة)^١ اهـ. مختصراً.

ومن هنا نعلم أنه من رام السلامة من الخطأ في تحديد السبب فلا بد له من معرفة وقت النزول ووقت السبب.

السبب الثاني: أن تقع المخالفة بين سبب النزول وآيات القرآن باعتبار السياق وهو ثلاثة أقسام:

أ - أن يقع الاختلاف بينهما في الألفاظ وإليك الأمثلة:

١ - أخرج أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: لما نزل تحريم الخمر، قال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شفاءً فنزلت هذه الآية التي في البقرة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ قال: فدعي عمر فقرئت عليه.

بيان مخالفة السبب للآية من وجهين:

الأول: أن الآية فيها السؤال عن الخمر والميسر جميعاً، بينما حديث عمر فيه الدعاء بالبيان عن الخمر فقط.

الثاني: أن الله قال في الآية: ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ وعمر لم يسأل النبي - صلى الله عليه وسلم - كما يدل على هذا لفظ الحديث، وإنما فيه أنه دعا الله، وفرق بين دعاء الله وسؤال رسوله - صلى الله عليه وسلم -^٢.

٢ - أخرج الترمذي عن عمران بن حصين - رضي الله عنه - أن رجلاً عض يد رجلٍ فنزع يده، فوقعت ثنيته، فاختصموا إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: (يعض أحدكم أخاه كما يعض الفحل لا دية لك) فأنزل الله: ﴿وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ﴾.

وجه المخالفة هنا: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - نفى حقه في الدية فكيف يكون له قصاص مع أن شأن القصاص أعظم وأكبر ثم يقال: فأنزل الله: ﴿وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ﴾ اهـ.^٣

٣ - أخرج مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي والنسائي عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال: نزلت في أربع آيات أصبت سيفاً فأتيت به النبي - صلى الله عليه وسلم - فقلت: يا رسول الله نفلني: فقال: (ضعه) ثم قام،

^١ حاشية المزني: أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب في الوقوف (٢: ٨٩٤) رقم (١٢١٩)، والبخاري، كتاب الحج، باب الوقوف بعرفة (٢: ٥٩٩، ٦٠٠) رقم (١٥٨٢)، والترمذي، أبواب الحج، باب ما جاء في الوقوف بعرفات (٢: ٢٢٠) رقم (٨٨٤)، والنسائي في كتاب التفسير، قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ (٦: ٣٠٠) رقم (١١٠٣٤)، وأخرجه في المجتبى، كتاب المناسك، باب رفع اليدين في الدعاء بعرفة (٥: ٢٨١) رقم (٣٠١٢)، وابن ماجه، كتاب المناسك، باب الدفع من عرفه (٢: ١٠٠٤) رقم (٣٠١٨).

^٢ حاشية المزني: دان: أي اتبعهم في دينهم ووافقهم عليه. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢: ١٤٩) مادة (دين).

^٣ حاشية المزني: أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب: ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس (٤: ١٦٤٣) رقم (٤٢٤٨)، ومسلم، كتاب الحج، باب في الوقوف (٢: ٨٩٣) رقم (١٢١٩).

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (ضعه من حيث أخذته) ثم قام، فقال: نفلني يا رسول الله فقال: (ضعه) فقام فقال: يا رسول الله نفلني. أأجعل كمن لا غناء له؟ فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم -: (ضعه من حيث أخذته) قال: فنزلت هذه الآية: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾.

قال أبو العباس القرطبي عن حديث سعد: (يقتضي أن يكون ثم سؤال عن حكم الأنفال، ولم يكن هنالك سؤال عن ذلك على ما يقتضيه هذا الحديث) ١. اهـ. فالذي وقع في حديث سعد أنه سأل نفلاً ورفق بين من يسأل عن الشيء وبين من يسأل الشيء، فالأول مستفهم والثاني يريد العطاء.

٤ - أخرج البخاري وأحمد ومسلم وأبو داود والنسائي عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: سألت أو سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أي الذنب عند الله أكبر؟ قال: (أن تجعل لله نداً وهو خلقك) قلت: ثم أي؟ قال: (ثم أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك) قلت: ثم أي؟ قال: (أن تزاني بحليلة جارك) قال: ونزلت هذه الآية تصديقاً لقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ فالفرق بين الآية وحديث ابن مسعود أن الحديث حصر القتل في الولد خشية الطعام وحصر الزنا بحليلة الجار وهذا الحصر لا يوافق العموم في الآية ٢. اهـ.

٥ - أخرج البخاري ومسلم وأحمد والنسائي عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: إن قريشاً لما استعصت على النبي - صلى الله عليه وسلم - دعا عليهم بسنين كسني يوسف فأصابهم قحط وجذب وحتى جعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد ... فذكر الحديث حتى قال فأنزل الله: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ ٣. اهـ. باختصار.

قال ابن كثير عن الآية: (أي بين واضح يراه كل أحد، وعلى ما فسر به ابن مسعود إنما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد، وهكذا قوله تعالى: ﴿يَغْشَى النَّاسَ﴾ أي يتغشاهم ويعميهم ولو كان أمراً خيالياً يخص أهل مكة المشركين لما قيل فيه ﴿يَغْشَى النَّاسَ﴾.

وقال أبو العباس القرطبي: (لا شك في أن تسمية هذا دخاناً تجوز، وحقيقة الدخان ما ذكر في حديث أبي سعيد) ٣. اهـ.

^١ حاشية المزني: جامع البيان (٢: ٢٩٣، ٢٩٤)، معالم التنزيل (١: ١٧٥، ١٧٦)، أحكام القرآن (١: ١٣٩)، المحرر الوجيز (٢: ١٢٩)، الجامع لأحكام القرآن (٢: ٤٢٧، ٤٢٨)، تفسير القرآن العظيم (١: ٢٤٢)، أضواء البيان (١: ١٤١)، التحرير والتنوير (٢: ٢٤٢).

^٢ حاشية المزني: ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ (٣٨٠) والبيت من قصيدة يمدح بها العباس ابن عبيد الله ابن أبي جعفر عم هارون الرشيد.

^٣ حاشية المزني: أخرجه الإمام أحمد في المسند (١: ٤٤٢) رقم (٣٧٨) عن خلف بن الوليد، وأبو داود في سننه، كتاب الأشربة، باب في تحريم الخمر (٤: ٧٩) رقم (٣٦٧٠) من طريق إسماعيل بن جعفر، والترمذي في سننه، أبواب تفسير القرآن، ومن سورة المائدة (٥: ١٤٠) رقم (٣٠٤٩) من طريق محمد بن يوسف، ومن طريق وكيع، والنسائي في المجتبى، كتاب الأشربة، باب تحريم الخمر (٨: ٦٨١) رقم (٥٥٥٥) من طريق عبيد الله بن موسى، خمستهم (إسماعيل، ومحمد، وكيع، وعبيد الله، وخلف) عن إسرائيل بن يونس، عن أبي إسحاق السبيعي، عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل، عن عمر - رضي الله عنه - أنه قال: (اللهم بين لنا في الخمر الحديث). وقد رواه الجماعة كلهم عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة، عن عمر هكذا، ورواه وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة أن عمر بن الخطاب قال: ..

ب - أن يقع الاختلاف بينهما في المقصود بالخطاب وإليك الأمثلة:

١ - أخرج الإمام أحمد والنسائي عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: «أُتِيَ رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - صلاة العشاء ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلاة. قال: (أما إنه ليس من أهل هذه الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم قال: (وأنزل هؤلاء الآيات: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ - حتى بلغ - ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾».

وجه المخالفة: أن القول بالنزول يقتضي نفي المساواة بين الذين آمنوا من هذه الأمة وبين أهل الكتاب. بينما اتفق المفسرون على أن الآية تنفي المساواة بين مؤمني أهل الكتاب وكافرهم قال ابن العربي: (وقد اتفق المفسرون أنها نزلت فيمن أسلم من أهل الكتاب وعليه يدل ظاهر القرآن، ومفتتح الكلام نفي المساواة بين من أسلم منهم وبين من بقي منهم على الكفر) اهـ.

وقال ابن عاشور: (استئناف قصد به إنصاف طائفة من أهل الكتاب بعد الحكم على معظمهم بصيغة تعميم تأكيداً لما أفاده قوله: ﴿مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^١.

٢ - أخرج أبو داود والنسائي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ - إلى قوله - ﴿عَفْوَرٌ رَجِيمٌ﴾ نزلت هذه الآية في المشركين فمن تاب منهم قبل أن يقدر عليه لم يمنعه ذلك أن يُقام فيه الحد الذي أصابه.

وجه المخالفة: أن الله قال في آيات الحرب: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفْوَرٌ رَجِيمٌ﴾ والحديث يقتضي المؤاخاة إذا تاب المحارب قبل القدرة.

قال القرطبي: (وقد أجمعوا على أن أهل الشرك إذا وقعوا في أيدينا فأسلبوا أن دماءهم تحرم) اهـ. فإذا كان

أي مرسلًا، وقد صحح الترمذي هذا الوجه الذي رواه وكيع، وفي ذلك نظر من وجهين:

١ - أن الجماعة - وهم حفاظ كبار - روه بصيغة (عن) التي تدل على التحمل من الشيخ.

٢ - أن سماع أبي مبصرة من عمر - ثابت، فقد نص على ثبوت السماع، البخاري في التاريخ الكبير (٦: ٣٤١)، وأبو حاتم كما في (المرج) لابنه (٦: ٢٣٧)، والمثبت هنا مقدم على من نفى السماع وهو أبو زرعة الرازي - كما في المراسيل لابن أبي حاتم (١٤٣) وهو الذي يشير إليه الترمذي في رواية وكيع.

والخلاصة: أن إسناده الحديث صحيح، ثقة رجاله، واتصاله، لتنصيب البخاري، وأبي حاتم على مبصرة من الفاروق - رضي الله عنه

^١ حاشية المزيبي: أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٤: ٢٦٧) رقم (٨٦٢٠) والحديث إسناده ضعيف من ثلاثة وجوه:

الأول: ضعف أبي معشر، وهو نجيح بن عبد الرحمن السندي كما في التقريب (٧١٠٠).

الثاني: جهالة شيخ أبي معشر، وهو أبو وهب، كما في تعجيل المنفعة لابن حجر (٢: ٥٦١) رقم (١٤٢٢) إذ لم يرو عنه سوى أبي معشر، ورجل آخر اسمه جميل بن بشر، وهو مجهول أيضاً، كما في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٢: ٥١٩).

الثالث: تفرد أبي وهب بهذا الخبر من بين أصحاب أبي هريرة - رضي الله عنه - إذ لم أقف - بعد البحث - على من تابعه، وهذه علة قوية، تزيد الخبر ضعفاً والله أعلم.

الإجماع منعقدًا على قبول توبة المشرك بعد القدرة فقبلها من باب أولى^١.

٣ - أخرج النسائي عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - في قوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا﴾ قال: هو بلعم، وقال نزلت في أمية.

وجه المخالفة: أن الله قال عن المذكور: ﴿آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾ فكيف لأمية بن أبي الصلت أن تأتيه الآيات^٢.

٤ - أخرج البخاري عن محمد بن عباد بن جعفر أن ابن عباس قرأ: (ألا إنهم ثنوني صدورهم) قلت: يا أبا العباس ما ثنوني صدورهم؟ قال: كان الرجل يجامع امرأته فيستحي أو يتخلى فيستحي فنزلت: (ألا إنهم ثنوني صدورهم).

قال ابن عاشور بعد ذكر السبب: (وهذا التفسير لا يناسب موقع الآية ولا اتساق الضمائر. فلعل مراد ابن عباس أن الآية تنطبق على صنيع هؤلاء وليس فعلهم هو سبب نزولها). اهـ ..

وهذا ظاهر لأن الآية تتحدث عن المذكورين حديث ذم وقدرح، بينما المذكورون في الحديث أهل للثناء والمدح^٣.

٥ - أخرج الدارمي عن يحيى بن جعدة قال: أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - بكتف فيه كتاب، فقال: كفى بقوم ضلالاً أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إلى ما جاء به نبي غير نبيهم أو كتاب غير كتابهم فأنزل الله - عز وجل -: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾.

وجه المخالفة بين الآية والحديث: أن الله قال قبل هذه الآية: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ وقال بعدها: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيِّنًا وَبَيِّنَاتٍ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾، فالضمير في (يكفهم) يعود على الكافرين القائلين: ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ﴾.

والحديث يقتضي أن عدم الاكتفاء واقع من بعض المؤمنين^٤.

ج أن يقع الاختلاف بينهما في أصل الموضوع وإليك الأمثلة:

١ - أخرج ابن ماجه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كان الرجل يقوت أهله قوتاً فيه سعة، وكان الرجل

^١ حاشية المزني: أحكام القرآن (١: ١٤٩)، تفسير القرآن العظيم (١: ٢٥٥).

^٢ حاشية المزني: أسباب النزول للواحدي (٤٤)، معالم التنزيل (١: ١٩١)، التحرير والتنوير (٢: ٣٣٨).

^٣ حاشية المزني: تفسير ابن كثير (٢: ٩٢).

^٤ حاشية المزني: أخرجه الإمام أحمد في المسند (٥: ١٤٠) رقم (٣٠٠٠)، وأبو داود، كتاب الوصايا، باب مخالطة اليتيم في الطعام (٣: ٢٩١) رقم (٢٨٧١)، والنسائي في الكبرى، كتاب الوصايا، باب ما للوصي من مال اليتيم إذا قام عليه (٤: ١١٣) رقم (٦٤٩٦)، وأخرجه في المجتبى، كتاب الوصايا باب ما للوصي من مال اليتيم (٦: ٥٦٧) رقم (٣٦٧١، ٣٦٧٢). والحديث ضعيف لأن عطاء بن السائب كان قد اختلط وهذا الحديث مروى عنه بعد الاختلاط. وقد قال ابن حجر: وروى الثوري في تفسيره عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير أن سبب نزول الآية المذكورة .. وساق الحديث إلى أن قال: وهذا هو المحفوظ مع إرساله فتح الباري (٥: ٤٦٣) فالحافظ ربح المرسل وأنه من رواية سعيد بن جبير وليس من حديث ابن عباس لأن سالم الأفطس يرويه عن سعيد بن جبير رسلاً.

ولهذا كان الإمام أحمد يقول عن عطاء: وكان يرفع عن سعيد بن جبير شيئاً لم يكن يرفعها أي: (قبل اختلاطه).

وقال عنه أبو حاتم: رفع أشياء كان يرويها عن التابعين فرفعها إلى الصحابة. تهذيب الكمال (٢٠: ٩٢) فالصحيح في الحديث أنه من مراسيل سعيد بن جبير.

يقوت أهله قوتاً فيه شدة فنزلت: ﴿مَنْ أَوْسَطَ مَا نِطْعُمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾.

وجه المخالفة: أن حديث الآية عن الكفارة حين يحنث الحالف في يمينه، بينما السبب يدور على القوت والإنفاق وفرق كبير بين هذين^١.

٢ - أخرج أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كانت امرأة حسناء تصلي خلف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: فكان بعض القوم يستقدم في الصف الأول لئلا يراها، ويستأخر بعضهم حتى يكون في الصف الآخر، فإذا ركع نظر من تحت إبطيه فأنزل الله في شأنها: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾.

قال الطبري: (وأولى الأقوال بالصحة قول من قال معنى ذلك: ولقد علمنا الأموات منكم يا بني آدم فتقدم موته ولقد علمنا المستأخرين الذين استأخر موتهم لدلالة ما قبله من الكلام وهو قوله: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ وما بعده وهو قوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾. اهـ. بتصرف.

وقال ابن عاشور عن الحديث: (وهو خبر واهٍ لا يلاقي انتظام هذه الآيات ولا يكون إلا من التفاسير الضعيفة)^٢. اهـ. باختصار.

٣ - أخرج البخاري ومالك ومسلم والنسائي عن عائشة - رضي الله عنها -: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ أنزلت في الدعاء.

وجه المخالفة هنا: أن الله نهى عن المخالفة بالصلاة في الآية، ولو كان المراد بالصلاة الدعاء لما نهى عن المخالفة لأن هذا هو الأصل في الدعاء لقوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾^٣.

٤ - أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: كانت بنو سلبه في ناحية المدينة فأرادوا النقلة إلى قرب المسجد فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ﴾ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إن آثارك تكتب فلا تنتقلوا).

وجه المخالفة: أن حديث الآية عن الموتى لقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾ بينما الحديث في الأحياء، فكيف تنزل بسببه.

قال ابن عطية: (ووافقها - أي الآية - قول النبي - صلى الله عليه وسلم - في المعنى فمن هنا قال من قال: إنها نزلت

^١ حاشية المزني: انظر جامع البيان (٢: ٣٦٩)، معالم التنزيل (١: ١٩٤)، أحكام القرآن (١: ١٥٤)، المحرر الوجيز (٢: ١٧٤)، الجامع لأحكام القرآن (٣: ٦٢)، تفسير القرآن العظيم (١: ٢٥٦)، التحرير والتنوير (٢: ٣٥٤).

^٢ حاشية المزني: أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٩: ٣٥٦) رقم (١٢٣٥٤) وانظر (٢١: ١٩٨) رقم (١٣٥٧٦)، والدارمي، كتاب الطهارة، باب مباشرة الحائض (١: ٢٦١) رقم (١٠٥٣)، ومسلم، كتاب الحيض، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها (١: ٢٤٦) رقم (٣٠٢)، وأبو داود، كتاب الطهارة، باب في مؤاكلة الحائض ومجامعتها (١: ١٧٧) رقم (٢٥٨) وانظر كتاب النكاح، باب في إتيان الحائض ومباشرتها (٢: ٦٢٠) رقم (٢١٦٥)، والترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة

البقرة (٥: ٨٥) رقم (٢٩٧٧)، والنسائي في الكبرى، كتاب التفسير، قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَجِيزِ﴾ (٦: ٣٠١) رقم (١١٠٣٧) وأخرجه في المجتبى، كتاب الطهارة، باب تأويل قول الله - عز وجل - ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَجِيزِ﴾ (١: ١٦٧) رقم (٢٨٧)، وابن ماجه، كتاب الطهارة، باب ما جاء في مؤاكلة الحائض وسؤرها (١: ٢١١) رقم (٦٤٤).

^٣ حاشية المزني: أخرجه الدارمي، كتاب الطهارة، باب إتيان النساء في أدبارهن (١: ٢٧٤) رقم (١١٢٧).

في بني سلمة) والمراد بقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: (دياركم تكتب آثاركم)^١.

٥ - أخرج الترمذي عن يوسف بن سعد قال: قام رجل إلى الحسن بن علي بعد ما بايع معاوية فقال: سودت وجوه المؤمنين، أو يا مسود وجوه المؤمنين فقال: لا تؤنبي - رحمك الله - فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - أرى بني أمية على منبره فساء ذلك فنزلت: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ يا محمد، يعني نهراً في الجنة، ونزلت: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ وَمَا أَذْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ يملكها بعدك بنو أمية يا محمد. قال القاسم: فعددها فإذا هي ألف شهر لا تزيد يوماً ولا تنقص.

قال ابن كثير: (ومما يدل على ضعف هذا الحديث أنه سيق لزم بني أمية، ولو أريد ذلك لم يكن بهذا السياق، فإن تفضيل ليلة القدر على أيامهم، لا يدل على ذم أيامهم فإن ليلة القدر شريفة جداً، والسورة الكريمة إنما جاءت لمحذ ليلة القدر فكيف تمدح بتفضيلها على أيام بني أمية التي هي مذمومة بمقتضى هذا الحديث.

والسورة مكية فكيف يحال على ألف شهر هي دولة بني أمية ولا يدل عليها لفظ الآية ولا معناها، والمنبر إنما صنع بالمدينة بعد مدة من الهجرة فهذا كله مما يدل على ضعف الحديث ونكاته والله أعلم). اهـ. بتصرف.

وقال ابن عاشور: (وهو مختل المعنى وسمات الوضع لا تحته عليه وهو من وضع أهل النحل المخالفة للجماعة)^٢. اهـ. باختصار.

ومن هنا يمكن القول أنه لا بد لاستقامة السبب وقبوله أن يوافق الآية في اللفظ والخطاب، وأصل الموضوع.

السبب الثالث: وقوع الخطأ في الإسناد وهو أقسام:

أ - أن يكون السبب ضعيف الإسناد واليك الأمثلة:

١ - أخرج الترمذي وابن ماجه عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه - رضي الله عنه - قال: كُنا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في سفر في ليلة مظلمة

فلم ندر أين القبلة فصلى كل رجل منا على حياله، فلما أصبحنا ذكرنا ذلك للنبي - صلى الله عليه وسلم - فنزل: ﴿فَأَيُّنَمَا تَوَلَّوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾.

هذا الحديث مداره على عاصم بن عبيد الله العمري، وقد قال أبو حاتم، وأبو زرعة والبخاري: (منكر الحديث، زاد أبو حاتم: مضطرب الحديث ليس له حديث يعتمد عليه)^٣. اهـ.

٢ - أخرج النسائي عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رجلاً أتى امرأته في دبرها في عهد رسول الله - صلى

^١ حاشية المزني: أخرجه الدارمي، كتاب الطهارة، باب من أتى امرأة في دبرها (١:٢٧٧) رقم (١١٤٥).

^٢ حاشية المزني: جامع البيان (٢:٣٨٠، ٣٨١)، معالم التنزيل (١:١٩٦)، أحكام القرآن (١:١٥٨)، المحرر الوجيز (٢:١٧٩)، والجامع

لأحكام القرآن (٣:٨١)، تفسير القرآن العظيم (١:٢٥٨)، التحرير والتنوير (٢:٣٦٤).

^٣ حاشية المزني: الحول في العين: أن يظهر البياض في مؤخرها، ويكون السواد من قِبَل الماق، وقيل: الحول: إقبال الحدقة على الأنف، وقيل: هو ذهاب حدقتها قِبَل مؤخرها، وقيل: الحول: أن تكون العين كأنها تنظر إلى الحجاج، وقيل: أن تميل الحدقة إلى الخاظ. لسان العرب (١١:١٩١) مادة (حول).

الله عليه وسلم - فوجد من ذلك وجداً شديداً فأُنزل الله تعالى: ﴿يَسْأَلُكُمْ خَزَنَتُ لَكُمْ فَأْتُوا خَزَنَتَكُمْ أَيْ سِئْتُمْ﴾.

ظاهر هذا الإسناد الصحة ولكنه ليس كذلك فقد نص أبو حاتم الرازي على علته وأن الأصح في سنده هو ما رواه عبد الله بن نافع الصائغ عن داود بن قيس عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم قال ابنه ما نصه: (قال أبي: هذا أشبه - أي كونه من حديث أبي سعيد - وهذا أيضاً منكرو، وهو أشبه من حديث ابن عمر لأن الناس أقبلوا قبل نافع فيما حكى عن ابن عمر في قوله: ﴿يَسْأَلُكُمْ خَزَنَتُ لَكُمْ﴾ في الرخصة، فلو كان عند زيد بن أسلم عن ابن عمر لكانوا لا يولعون بنافع، وأول ما رأيت حديث ابن عبد الحكم استغربه ثم تبين لي علته)^١.

٣ - أخرج أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كانت امرأة حسناء تصلي خلف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: فكان بعض القوم يستقدم في الصف الأول لثلاث يراها، ويستأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر، فإذا رجع نظر من تحت إبطيه فأُنزل الله في شأنها: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُتَفَضِّلِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُتَسْتَخِرِينَ﴾.

قال ابن كثير: (وهذا الحديث فيه نكارة شديدة، فالظاهر أنه من كلام أبي الجوزاء)^١. اهـ. مختصراً. ومدار الحديث على عمرو بن مالك النكري لم يوثقه أحد من ذوي الشأن باستثناء ابن حبان ومع ذلك فقد قال: (يخطئ ويغرب)^٢.

٤ - أخرج الترمذي عن أبي أمامة - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (لا تتبعوا القينات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير في تجارة فيهن وثمنهن حرام)، في مثل هذا أنزلت هذه الآية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

وإسناد هذا الحديث يدور على عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن.

قال الدارقطني: (عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد نسخة باطلة).

وقال ابن حبان: (وإذا روى ابن زحر عن علي بن يزيد أتى بالطامات، وإذا اجتمع في إسناد خبر عبيد الله بن زحر، وعلي بن يزيد، والقاسم بن عبد الرحمن لا يكون متن ذلك الخبر إلا مما عملت أيديهم فلا يحل الاحتجاج

^١ حاشية المزني: أخرجه مسلم، كتاب النكاح، باب جواز جماع امرأته في قبلها (٢: ١٠٥٨) رقم (١٤٣٥)، والدارمي، كتاب الطهارة، باب إتيان النساء في أدبارهن (١: ٢٧٥) رقم (١١٣٢) وانظر (٢: ٢١٤)، والبخاري، كتاب التفسير، باب: ﴿يَسْأَلُكُمْ خَزَنَتُ لَكُمْ﴾ (٤: ١٦٤٥) رقم (٤٢٥٤)، وأبو داود، كتاب النكاح، باب في جامع النكاح (٢: ٦١٨) رقم (٢١٦٣)، والترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة البقرة (٥: ٨٦) رقم (٢٩٧٨)، والنسائي في الكبرى، كتاب التفسير، قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكُمْ خَزَنَتُ لَكُمْ﴾ (٦: ٣٠٢) رقم (١١٠٣٨، ١١٠٣٩)، وابن ماجه، كتاب النكاح، باب النبي عن إتيان النساء في أدبارهن (١: ٦٢٠) رقم (١٩٢٥).

^٢ حاشية المزني: كنى برحله عن زوجته، أراد به غشيانها في قبلها من جهة ظهرها لأن الجامع يعلو المرأة ويركبا مما يلي وجهها، فحيث ركبا من جهة ظهرها كنى عنه بتحويل رحله، إما أن يريد به المنزل والمأوى، وإما أن يريد به الرجل الذي تركب عليه الإبل وهو الكور. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢: ٢٠٩) مادة (رحل).

بهذه الصحيفة)^١ اهـ. مختصراً.

٥ - أخرج الترمذي عن يوسف بن سعد قال: قام رجل إلى الحسن بن علي بعدما بايع معاوية فقال: سودت وجوه المؤمنين، أو يا مسود وجوه المؤمنين فقال: لا تؤنبي - رحمك الله - فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - أرى بني أمية على منبره فساء ذلك فنزلت: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ يا محمد يعني: نهراً في الجنة ونزلت: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ وَمَا أَذْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ يملكها بعدك بنو أمية يا محمد. قال القاسم: فعددناها فإذا هي ألف شهر لا تزيد يوماً ولا تنقص.

قال ابن كثير: (ثم هذا الحديث على كل تقدير منكر جداً قال شيخنا الإمام الحافظ الحجة أبو الحجاج المزي: هو حديث منكر... ثم ذكر كلاماً حتى قال: فهذا كله مما يدل على ضعف الحديث ونكارتة والله أعلم) اهـ. باختصار. وقال ابن عاشور: (واتفق حذاق العلماء على أنه حديث منكر صرح بذلك ابن كثير وذكره عن شيخه المزي، وأقول: هو مختل المعنى، وسمات الوضع لائحة عليه)^٢ اهـ. باختصار.

ب - أن يكون أصل الحديث صحيحاً وفيه علة إسنادية خفية وإليك الأمثلة:

١ - أخرج مسلم وأحمد والبخاري والدارمي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله - (ص) - يقول حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة ويكبر ويرفع رأسه (سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد) ثم يقول وهو قائم: (اللهم انج الوليد ابن الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم كسني يوسف اللهم العن لحيان، ورعلاً وذكوان، وعصية عصت الله ورسوله) ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾.

هذه الرواية في تسمية القبائل تفرد بها يونس بن يزيد الأيلي عن الزهري عند مسلم وقد تابعه اثنان بدونها: شعيب،

^١ حاشية المزي: أخرجه أحمد (٤: ٤٣٤) رقم (٢٧٠٣)، والترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة البقرة (٥: ٨٨) رقم (٢٩٨٠)، والنسائي في الكبرى، كتاب التفسير، قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكُمْ خِزْيُ لَكُمْ﴾ (٦: ٣٠٢) رقم (١١٠٤٠)، وابن حبان (٩: ٥١٦) رقم (٤٢٠٢) من طريق يعقوب بن عبد الله القمي، عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فذكره... ويعقوب القمي، قال عنه النسائي: ليس به بأس، وقال الطبراني: كان ثقة، وقال الدارقطني: ليس بالقوي، وذكره ابن حبان في الثقات، ونخص الذهبي وابن حجر حاله بقولهما: (صدوق) زاد ابن حجر: بهم، وقال الذهبي في معرفة الرواة: صالح الحديث. الثقات لابن حبان: (٧: ٦٤٥)، تهذيب الكمال (٣٢: ٣٤٤)، الكاشف (٣: ٢٥٥)، معرفة الرواة المتكلم فيهم بما لا يوجب الرد (١٩١)، والتقريب (٧٨٢٢).

أما جعفر بن أبي المغيرة الخراساني، فقد وثقه الإمام أحمد، وقال ابن منده: ليس بالقوي في سعيد بن جبير، وذكره ابن حبان في الثقات (٦: ١٣٤). وقال الذهبي: كان صدوقاً، وقال ابن حجر: صدوق بهم. ولعل مراد الحافظ أنه يهيم في حديثه عن ابن جبير، فكأنه اعتمد قول ابن منده.

انظر: العلال لأحمد (٢: ١٥٩) رقم (١٠٥٧)، الميزان (١: ٤١٧)، تهذيب التهذيب (٢: ٩٢، ٩٣)، التقريب (٩٦٠)، وبهذا يتبين أن في الحديث ضعفاً، وخاصة أن في حديث جعفر عن ابن جبير ضعفاً كما نص على ذلك ابن منده، ولهذا أشار الترمذي إلى ضعفه فقال: (حديث حسن غريب) وقول الترمذي أقرب من قول ابن حبان الذي صحح الخبر والله أعلم.

^٢ حاشية المزي: التجبية: الانكباب على الوجه تشبيهاً بهيئة السجود. النهاية (١: ٣٣٨) مادة (جبا).

وإبراهيم بن سعد عند البخاري، والحديث له طريق أخرى عن أبي هريرة بدونها أيضاً من رواية الأعرج عند البخاري، فهذه الرواية شاذة لأن يونس تفرد بها عن بقية الثقات.

وقال ابن حجر عن رواية البخاري للحديث وقوله: (حتى أنزل الله): (ثم ظهر لي علة الخبر وأن فيه إدراجاً، وأن قوله: حتى أنزل الله منقطع من رواية الزهري عن بلغة، بين ذلك مسلم في رواية يونس المذكورة فقال هنا - يعني الزهري -: ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما نزلت وهذا البلاغ لا يصح لما ذكرته) اهـ. يعني الانقطاع^١.

٢ - أخرج مالك وأحمد والبخاري ومسلم والنسائي عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: خرجنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش، انقطع عقد لي فأقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على التماسه وأقام الناس معه، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء فأتى الناس إلى أبي بكر الصديق فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول الله - صلى الله عليه وسلم - والناس، وليسوا على ماء وليس معهم ماء، قالت عائشة: بقاء أبو بكر، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - واضع رأسه على فخذي قد نام، فقال: حبست رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والناس وليسوا على ماء، وليس معهم ماء قالت عائشة: فعاتبني أبو بكر، وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعن بيده في خاصرتي، فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رأس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على فخذي فنام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى أصبح على غير ماء فأنزل الله تبارك وتعالى آية التيمم فتميموا، فقال أسيد بن حضير ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر، قالت: فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته.

وفي لفظ للبخاري: ثم إن النبي - صلى الله عليه وسلم - استيقظ، وحضرت الصبح فالتمس الماء فلم يوجد فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾.

وهذه الزيادة في ذكر الآية انفرد بذكرها عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصاري، وخالف الجماعة الذين أعرضوا عن ذكرها، وعمرو بن الحارث وإن كان من الثقات الأثبات فقد ذكر أحمد أن له مناكير^٢.

٣ - أخرج البخاري وأحمد عن عائشة - رضي الله عنها - زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - قالت: كان عمر بن الخطاب يقول لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - احبب نساءك، قالت: فلم يفعل، وكان أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - يخرجن ليلاً إلى ليل قبل المناصع، فخرجت سودة بنت زمعة، وكانت امرأة طويلةً فرآها عمر بن الخطاب

^١ حاشية المزني: أخرجه النسائي في الكبرى، كتاب عشرة النساء، تأويل قول الله: ﴿يَسْأَلُكُمْ خِزْيُ لَكُمْ﴾ (٥:٣١٥) رقم (٨٩٧٨)

من طريق عبد الله بن سليمان الطويل، عن كعب بن علقمة، عن أبي النضر سالم عن نافع فذكر الخبر، والحديث قال عنه ابن كثير بعد سياقه: وهذا إسناد صحيح. تفسير القرآن العظيم (١:٢٦٢)، وفي الحكم عليه بالصحة نظر لأن عبد الله الطويل قال عنه ابن حجر في التقریب (٣٣٧٠): صدوق يخطئ، وشيخه كعب صدوق - كما في التقریب (٥٦٤٤) ومثل هذا الإسناد أمثل ما يقال فيه أنه قابل للتحسين نظراً لكثرة ما روي عن ابن عمر في هذه المسألة كما بسط ذلك ابن كثير نفسه وابن حجر في الفتح (٨:٣٨، ٣٩).

ولو أن ابن كثير حكم على مجموع ما روي عن ابن عمر في هذا الباب بالصحة - كما قاله غير واحد من الحفاظ - لأمكن توجيه كلامه، إلا أن قوله عنه عقب ذكره: إسناده صحيح. لا يساعد على ذلك، فيكون في حكمه عليه بالصحة نظراً. والله أعلم.

^٢ حاشية المزني: الوجد: الحزن، وتوجدت لفلان حزنت له. لسان العرب (٣:٤٤٦) مادة (وجد).

وهو في المجلس، فقال: عرفناك يا سودة حرصاً على أن ينزل الحجاب قالت: فأنزل الله - عز وجل - آية الحجاب. وللشيخين عنها: قالت: فأوحى الله إليه ثم رفع عنه، وإن العرق في يده ما وضعه فقال: (إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن).

وهذا الحديث رواه عن عائشة عروة وعنه اثنان؛ الأول: ابنه هشام بدون ذكر الآية. الثاني: الزهري وعنه جماعة كلهم ذكروا الآية، وهذه الرواية وإن كانت ثابتة عن الزهري إلا أن مما يؤيد رواية هشام حديث أنس في قصة زينب بنت جحش حيث وقع النزول^١.

٤ - أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن موسى كان رجلاً حياً ستيراً، لا يرى من جلده شيء استحياء منه فأذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده: إما برص، وإما أدرة وإما آفة، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى، نغلا يوماً وحده، فوضع ثيابه على الحجر، ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه، وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل، فأروه عرباناً أحسن ما خلق الله، وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر،

فأخذ ثوبه، فلبسه، وطفق بالحجر ضرباً بعصاه، فوالله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً فذلك قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾. ولفظ مسلم ونزلت: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا} ...}. فالتصریح بالنزول شاذ غير محفوظ إذ انفرد به عبد الله بن شقيق ولم يتابعه عليها أحد من أصحاب أبي هريرة الذين أكثروا عنه، وهم أثبت منه عموماً، وفي أبي هريرة خصوصاً^٢.

^١ حاشية المزيني: أخرجه النسائي في الكبرى، كتاب عشرة النساء، تأويل هذه الآية على وجه آخر (٥: ٣١٦) رقم (٨٩٨١) من طريق محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، عن أبي بكر بن أبي أويس عن سليمان بن بلال، عن زيد بن أسلم عن ابن عمر فذكره ... وظاهر هذا الإسناد الصحة، ولكنه ليس كذلك فقد نص الإمام أبو حاتم الرازي على علته، وأن الأصح في سنده هو ما رواه عبد الله بن نافع الصائغ عن داود بن قيس، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد عن النبي - صلى الله عليه وسلم - بخوه، ثم قال ابنه ما نصه: (قال أبي: هذا أشبه - أي كونه من حديث أبي سعيد - وهذا أيضاً منكر، وهو أشبه من حديث ابن عمر، لأن الناس أقبلوا قبل نافع فيما حكى عن ابن عمر في قوله: ﴿يَسْأَلُكُمْ خِزْيٌ لَكُمْ﴾ في الرخصة، فلو كان عند زيد بن أسلم عن ابن عمر لكانوا لا يولعون بنافع، وأول ما رأيت حديث ابن عبد الحكم استغربه ثم تبين لي علته العلل لابن أبي حاتم (١: ٤٠٨، ٤٠٩).

ومراد أنه هذا الحديث معروف من رواية نافع، ولو كان معروفاً عن زيد بن أسلم لما نتابع الرواة على روايته عن نافع، بل كانوا يروونه عن زيد بن أسلم.

وسياق ابن كثير يدل على أنه يرى رأي أبي حاتم، إذ ساقه ولم يتعقبه بشيء. وبهذا البيان يتضح أن رواية هذا الحديث من طريق زيد بن أسلم عن ابن عمر معلولة والمحمول في الحديث هو رواية نافع عن ابن عمر والله أعلم.

^٢ حاشية المزيني: جامع البيان (٢: ٣٩٢ - ٣٩٧)، معالم التنزيل (١: ١٩٨)، أحكام القرآن (١: ١٧٣، ١٧٤)، المحرر الوجيز (٢: ١٨٢، ١٨٣)، الجامع لأحكام القرآن (٣: ٩١، ٩٢)، تفسير القرآن العظيم (١: ٢٦٠ - ٢٦٢)، التحرير والتنوير (٣: ٣٧٢، ٣٧٣).

٥ - أخرج البخاري ومسلم وأحمد والنسائي عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: إن قريشاً لما استعصت على النبي - صلى الله عليه وسلم - دعا عليهم بسنين كسني يوسف فأصابهم قحط وجهد، حتى جعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد فذكر الحديث ... حتى قال فأُنزل الله - عزّ وجل - ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ۖ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

فالتصريح بالنزول إنما جاء من طريق أبي معاوية محمد بن خازم، وقد خالف سبعة من أصحاب الأعمش كلهم لم يذكروا نزول الآية، والأعمش أيضاً قد توبع بدونها فتكون شاذة لا اعتبار بها^١.

ح أن يكون السبب صحيحاً لكنه يخالف سبباً أصح منه وإليك الأمثلة:

١ - أخرج أحمد وأبو داود والنسائي عن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - قال كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلي الظهر بالهاجرة، ولم يكن يصلي صلاة أشد على أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - منها قال فنزلت: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ وقال: إن قبلها صلاتين وبعدها صلاتين.

فهذا يخالف ما روى مسلم وأحمد والبخاري وأبو داود والترمذي والنسائي عن زيد بن أرقم - رضي الله عنه - قال: كنا نتكلم في الصلاة، يكلم الرجل صاحبه وهو إلى جنبه في الصلاة حتى نزلت: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام.

وفي رواية للبخاري: (إن كنا لتكلم في الصلاة على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - يكلم أحداً صاحبه بحاجته حتى نزلت: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ فأمرنا بالسكوت.

فهذا الحديث أصح سنداً ومتناً من حديث زيد بن ثابت، وتفصيل ذلك في الدراسة^٢.

٢ - أخرج البخاري عن عبد الله بن أبي أوفى - رضي الله عنهما - أن رجلاً أقام سلعة في السوق فحلف فيها، لقد أعطي بها ما لم يُعطه ليقع فيها رجلاً من المسلمين فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ...﴾ الآية.

فهذا يخالف ما روى البخاري وأحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من حلف على يمين وهو فاجر ليقطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان) قال: فقال الأشعث بن قيس: فيّ والله كان ذلك، كان بيني وبين رجل من اليهود أرض فجددني، فقدمته إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (ألك بينة؟) قال: لا. قال: فقال لليهودي: احلف. قال: فقلت: يا رسول الله إذن يحلف ويذهب بمالي قال: فأُنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ إلى آخر الآية.

فهذا الحديث أصح سنداً ومتناً من حديث ابن أبي أوفى - رضي الله عنهما -^٣.

^١ حاشية المزني: تيسير الكريم الرحمن (١:٢٧٧).

^٢ حاشية المزني: تهذيب السنن (٦:٢٠١).

^٣ حاشية المزني: أخرجه أحمد (٤٤:٢٢٠) رقم (٢٦٦٠١)، والدارمي في سننه، كتاب الطهارة، باب إتيان النساء في أدبارهن (١:٢٧٢).

٣ - أخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن رجلاً من المنافقين على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان إذا خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الغزو تخلفوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإذا قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اعتذروا إليه وحلفوا وأحبوا أن يمحذوا بما لم يفعلوا فنزلت: {لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا} ... { الآية. فهذا يخالف ما روى مسلم وأحمد والبخاري والترمذي والنسائي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن هذه الآية أنزلت في أهل الكتاب ثم تلا ابن عباس: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ

الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ} هذه الآية. وتلا ابن عباس: {لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا} وقال ابن عباس: سألهم النبي - صلى الله عليه وسلم - عن شيء فكنموه إياه، وأخبروه بغيره، ففرحوا قد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه واستحمدوا بذلك إليه وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إياه ما سألهم عنه.

فهذا السبب أصح من حديث أبي سعيد من أنها نزلت في المنافقين، لأنه مؤيد بالسياق القرآني^١.

٤ - أخرج النسائي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الأنصار، شربوا حتى إذا نهلوا عبث بعضهم ببعض، فلما صحوا جعل الرجل يرى الأثر بوجهه وبرأسه ولحيته فيقول: قد فعل بي هذا أخي - وكانوا إخوة ليس في قلوبهم ضغائن - والله لو كان بي رؤوفاً رحيماً ما فعل بي هذا فوقعت في قلوبهم الضغائن فأُنزل الله - عز وجل -: {إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ} - إلى قوله - {مُنْتَهَوْنَ} فقال ناس: هي رجس ... الحديث. اهـ. موضع الشاهد.

فهذا يخالف ما روى مسلم وأحمد عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال: وأتيت على نفرٍ من الأنصار والمهاجرين فقالوا: تعال نطعمك ونسقيك خمرأً. وذلك قبل أن تحرم الخمر. قال: فأتيتهم في حبش - والحش البستان - فإذا رأس جزور مشوي عندهم، وزق من خمر. قال: فأكلت وشربت معهم قال: فذكرت الأنصار والمهاجرون عندهم. فقلت: المهاجرون خير من الأنصار، قال: فأخذ رجل أحد لحبي الرس فضر بني به فخرح بأنفي. فأتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبرته، فأُنزل الله - عز وجل - في - يعني نفسه - شأن الخمر: {إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ}.

رقم (١١١٩)، وإسناده حسن كما قال الترمذي (٢٩٧٩)، ينظر تحفة الأشراف (١٣:٤٧) رقم (١٨٢٥٢).

^١ حاشية المزني: أخرجه الترمذي، أبواب الطلاق واللعان (٢:٤٨٢) رقم (١١٩٢) من طريق يعلى بن شبيب، ومالك في الموطأ، كتاب الطلاق، باب جامع الطلاق (٢:٥٨٨) رقم (٨٠)، ومن طريقه البيهقي في السنن (٧:٣٣٣) كلاهما (يعلى، ومالك) عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة، هكذا رواه يعلى.

أما الإمام مالك فوقفه على عروة، وهذا الوجه المرسل أصح - كما قال البخاري والترمذي، والبيهقي. وغيرهم - انظر علل الترمذي الكبير (١:٤٧٠) رقم (١٨٠) ووجه ترجيح المرسل ظاهر جداً، فإن يعلى بن شبيب لين الحديث - كما في التقریب (٧٨٤٢) - وهو لو انفرد بخبر كهذا لم يقبل، كيف وقد خالف في إسناده الإمام الثبت مالك بن أنس، وهذا المرسل إسناده صحيح إلى عروة.

فهذا السبب أصح من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - في سبب النزول^١.

٥ - أخرج أحمد والترمذي والنسائي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قالت قريش ليهود أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح، فسأله فنزلت: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قالوا: أوتينا علماً كثيراً، أوتينا التوراة، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيراً كثيراً قال فأُنزل الله - عز وجل -: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي﴾.

فهذا الحديث يخالف ما روى البخاري وأحمد ومسلم والترمذي والنسائي عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: كنت مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في حرت بالمدينة، وهو يتوكل على عسيب، فمر بنفر من اليهود، فقال بعضهم: سلوه عن الروح وقال بعضهم: لا تسأله، لا يسمعكم ما تكرهون، فقاموا إليه، فقالوا: يا أبا القاسم حدثنا عن الروح، فقام ساعة ينظر، ففرفت أنه يُوحى إليه، فتأخرت عنه حتى صعد الوحي ثم قال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾.

فهذا الحديث أصح سنداً ومتناً من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما -^٢.

وبهذا يتبين أن كثيراً من الأخطاء في روايات أسباب النزول ناتج من عدم النظر في أسانيدھا من حيث صحتها وضعفها، وشذوذها وحفظها. والله أعلم.

السبب الرابع: وقوع الالتباس في التعبير وهو قسمان:

أ - أن يعبر عن التفسير بالنزول واليك الأمثلة:

١ - أخرج مسلم والبخاري وابن ماجه عن البراء بن عازب - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ قال: نزلت في عذاب القبر، فيقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، ونبيي محمد - صلى الله عليه وسلم - فذلك قول الله - عز وجل -: ﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾.

فلم أر من صرح بأن للآية سبب نزول، وأن هذا هو سببها، بل الحديث من باب التفسير فقط^٣.

٢ - أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إن موسى كان رجلاً حياً ستيراً لا يرى من جلده شيء استحياء منه فأذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده، إما برص، وإما أدرة، وإما آفة، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى نفلاً يوماً وحده، فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن

^١ حاشية المزيني: جامع البيان (٢: ٤٥٦)، معالم التنزيل (١: ٢٠٦)، أحكام القرآن (١: ١٨٩)، المحرر الوجيز (٢: ١٩٨)، الجامع لأحكام القرآن (٣: ١٢٦)، تفسير القرآن العظيم (١: ٢٧١)، التحرير والتنوير (٢: ٤٠٣، ٤٠٤).

^٢ حاشية المزيني: تيسير الكريم الرحمن (١: ٢٨٦).

^٣ حاشية المزيني: (كيما): حرف من حروف المعاني ومعناه العلة لوقوع الشيء فيقال: خرج كيما يصلي. لسان العرب (١٥: ٢٣٦) مادة

(كيا).

الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه، وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر حتى انتهى إلى ملاء من بني إسرائيل فأراه عريانا أحسن ما خلق الله، وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر، فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضرباً بعصاه، فوالله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً فذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾.

ولفظ مسلم ونزلت: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى} ... {الآية}.

فهذا تفسير النبي - صلى الله عليه وسلم - للآية، ولا يصح النزول لشذوذه، وعدم وجود الحدث زمن النزول^١.
 ٣ - أخرج أحمد والبخاري عن طاووس قال: سأل رجل ابن عباس المعنى عن قوله - عز وجل -: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ فقال سعيد بن جبيرة: قرابة محمد - صلى الله عليه وسلم - فقال ابن عباس: عجبت. إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يكن بطن من قريش إلا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيهم قرابة فنزلت: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ إلا أن تصلوا قرابة ما بيني وبينكم.

وقد صحح ابن حجر بأن مقصود ابن عباس التفسير وليس السبب، فقال: (وقوله: {إلا أن تصلوا} كلام ابن عباس تفسير لقوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ فعرف بهذا أن المراد ذكر بعض الآية بالمعنى على جهة التفسير)^٢.
 ٤ - أخرج البخاري عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه - رضي الله عنهما - قال: ما سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله ابن سلام، قال: وفيه نزلت هذه الآية: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ﴾ يقول الشعبي: (والله ما نزلت في عبد الله بن سلام، ما نزلت إلا بمكة، وما أسلم عبد الله إلا في المدينة، ولكنها خصومة خاصم محمد - صلى الله عليه وسلم - بها قومه فنزلت: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾)^٣.

٥ - أخرج النسائي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: لما أراد الله - عز وجل - أن يرفع عيسى - عليه السلام - إلى السماء، خرج على أصحابه وهم في بيت اثنا عشر رجلاً، ورأسه يقطر ماءً، فقال: أيكم يلتقي شبي عليه فيقتل مكاني، فيكون معي في درجتي؟ فقام شاب من أحدثهم سناً، فقال: أنا، فقال: اجلس، ثم أعاد عليهم، فقام الشاب فقال: أنا فقال: اجلس، ثم أعاد عليهم الثالثة فقال الشاب: أنا، فقال عيسى - عليه السلام - نعم أنت، فألقي عليه شبه عيسى، ثم رفع عيسى من روزنة كانت في البيت إلى السماء، وجاء الطلب من اليهود، فأخذوا الشاب للشبه فقتلوه ثم صلبوه فنفقوا ثلاث فرق فقالت فرقة: كان فينا الله - عز وجل - ما شاء ثم صعد إلى

^١ حاشية المزني: أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الطلاق، باب جامع الطلاق (٢: ٥٨٨) رقم (٨١)، وهذا الأثر من رواية ثور بن زيد الديلي وهو وإن كان ثقة كما في التقريب (١٣٥) إلا أنه من الطبقة السادسة كما قال الحافظ في التقريب وهم صغار التابعين الذين لم يثبت لهم لقاء أحد من الصحابة - رضي الله عنهما -.

وإذا كانت الطبقة الرابعة من طبقات الرواة عند الحافظ في التقريب جل روايتهم عن كبار التابعين فما الظن بالطبقة الخامسة فضلاً عن السادسة التي منها راوي هذا الأثر وعلى هذا فالأثر معضل لا يثبت به حجة. والله أعلم.

^٢ حاشية المزني: جامع البيان (٢: ٤٨٠، ٤٨١).

^٣ حاشية المزني: الجامع لأحكام القرآن (٣: ١٦٥).

السماء وهؤلاء البيعويين وقالت فرقة: كان فينا ابن الله ما شاء الله ثم رفعه الله إليه وهؤلاء النسطورية وقالت طائفة: كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه هؤلاء المسلمون فتظاهرت الكافرتان على المسلبة فقتلوهما فلم يزل الإسلام طامساً حتى بعث الله محمداً - صلى الله عليه وسلم - فأنزل الله - عز وجل -: ﴿فَأَمْنَتْ طَافِقَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَافِقَةٌ﴾ يعني الطائفة التي كفرت في زمان عيسى - عليه السلام - والطائفة التي آمنت في زمان عيسى: ﴿فَأَيُّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ﴾ بإظهار محمد - صلى الله عليه وسلم - دينهم على دين الكفار ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾^١.

فهذا الحديث لا يكون من أسباب النزول لأن الحدث سبق النزول بزمان طويل والله أعلم.

ب - أن يعبر عن التلاوة والقراءة بالنزول وإليك الأمثلة:

١ - أخرج الترمذي وابن ماجه عن أبي عبيدة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إن بني إسرائيل لما وقع فيهم النقص كان الرجل فيهم يرى أخاه يقع على الذنب فينهاه عنه فإذا كان الغد لم يمنعه ما رأى منه أن يكون أكله وشربه وخليطه فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ونزل فيهم القرآن فقال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ - حتى بلغ - ﴿فَاسْقُون﴾ وكان نبي الله - صلى الله عليه وسلم - متكئاً مجلس فقال: (لا حتى تأخذوا على يد الظالم فتأطروه على الحق أطراً).

فالتصريح بالنزول لا يصح لأن الحديث عن الأمم السابقة، وبعض المفسرين لما ذكر الحديث قال: ثم قرأ: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^٢.

٢ - أخرج البخاري وأحمد ومسلم وأبو داود والنسائي عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: سألت أو سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أي الذنب عند الله أكبر؟ قال: (أن تجعل لله نداً وهو خلقك) قلت: ثم أي؟ قال: (ثم أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك) قلت: ثم أي؟ قال: (أن تزاني بحليلة جارك) قال: ونزلت هذه الآية تصديقاً لقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾.

وفي لفظ للترمذي وأحمد عنه - رضي الله عنه - وتلا هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ...﴾ ولم يقل ونزلت.

^١ حاشية المزني: الفُرْسُ والمفارش: النساء لأنهن يُفترشن. لسان العرب (٦:٣٢٧) مادة (فرش) والمعنى هنا: أي جعلتها فراشاً لك بتزويجك إياها.

^٢ حاشية المزني: أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب من قال لا نكاح إلا بولي (٥:١٩٧٢) رقم (٤٨٣٧)، وانظر رقم (٥٠٢١)، (٤٢٥٥)، وأبو داود، كتاب النكاح، باب في العضل (٢:٥٦٩) رقم (٢٠٨٧)، والترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة البقرة (٥:٨٨) رقم (٢٩٨١)، والنسائي في الكبرى، كتاب التفسير، قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغُنَّ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ (٦:٣٠٢) رقم (١١٠٤١).

فهذا الحديث ليس سبباً للنزول لأنه معارض بحديث ابن عباس - رضي الله عنهما -^١.

٣ - أخرج أحمد والنسائي عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: جاء رجل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - من أهل الكلب، فقال: يا أبا القاسم، أبلغك أن الله - عز وجل - يحمل الخلائق على إصبع والسموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والثرى على إصبع، فضحك النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى بدت نواجذه فأُنزل الله - عز وجل - ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾.

وفي لفظ: ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

قال ابن عطية: (فرسول الله - صلى الله عليه وسلم - تمثل بالآية وقد كانت نزلت) ١٠هـ. وقال ابن عاشور: (وفي بعض روايات الحديث فنزل قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ وهو وهم من بعض رواته وكيف وهذه مكية، وقصه الخبر مدنية) ٢٠هـ.

٤ - أخرج البخاري ومسلم وأحمد والنسائي عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: إن قريشاً لما استعصت على النبي - صلى الله عليه وسلم - دعا عليهم بسنين كسني يوسف فأصابهم قحط وجهد حتى جعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد فذكر الحديث ... حتى قال: فأُنزل الله - عز وجل - ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ وفي لفظ للبخاري: ثم قرأ: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ.

فهذا ليس سبباً للنزول لعدم وجود الحدث الذي يقتضي ذلك^٣.

٥ - أخرج مسلم عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: مُطر الناس على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (أصبح من الناس شاكرون ومنهم كافر. قالوا: هذه رحمة الله، وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا، قال: (فنزلت هذه الآية: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ - حتى بلغ - ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾).

قال ابن عاشور: (لعل الراوي عنه - أي عن ابن عباس - لم يحسن التعبير عن كلامه فأوهم بقوله: (فنزلت: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ بأن يكون ابن عباس قال: فتلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ

^١ حاشية المزني: جامع البيان (٢: ٤٨٤)، معالم التنزيل (١: ٢١٠)، أحكام القرآن (١: ٢٠١)، المحرر الوجيز (٢: ٢٠٧)، الجامع لأحكام القرآن (٣: ١٥٨)، تفسير العظم (١: ٢٨٢)، التحرير والتنوير (٢: ٤٢٦).

^٢ حاشية المزني: أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة (١: ٣٨٣) رقم (٥٣٩)، وأخرجه أحمد في المسند (٤: ٣٦٨) رقم (١٩٢٩٧)، وأخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ (٤: ١٦٤٨) رقم (٤٢٦٠)، وأبو داود كتاب الصلاة، باب النهي عن الكلام في الصلاة (١: ٥٨٣) رقم (٩٤٩) والترمذي، أبواب الصلاة، باب في نسخ الكلام في الصلاة (١: ٤٣٠) رقم (٤٠٥)، وانظر أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة البقرة (٥: ٩٢) رقم (٢٩٨٦)، والنسائي في الكبرى، كتاب التفسير، قوله جل ثناؤه: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ (٦: ٣٠٤) رقم (١١٠٤٧) وانظر المجتبى له، كتاب الصلاة، باب الكلام في الصلاة (٣: ٢٣) رقم (١٢١٨).

^٣ حاشية المزني: أخرجه البخاري، كتاب الصلاة باب ما ينهى عن الكلام في الصلاة (١: ٤٠٢) رقم (١١٤٢).

التَّجُومِ ﴿ أَوْ نَحْوِ تِلْكَ الْعِبَارَةِ، وَقَدْ تَكَرَّرَ مِثْلُ هَذَا الْإِيهَامِ فِي أَخْبَارِ أَسْبَابِ النُّزُولِ (١٠). مَخْتَصَرًا^١.
السَّبَبُ الْخَامِسُ: مُخَالَفَةُ السَّبَبِ لِلْمُسْتَقَرِّ الثَّابِتِ مِنْ حَالِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَصْحَابِهِ، وَإِلَيْكَ الْأَمْثَلَةُ:
١ - أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَقُولَ﴾
فِي قَطِيفَةٍ حُمْرَاءَ فَقَدْتُ يَوْمَ بَدْرٍ. فَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ: لَعَلَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَخَذَهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ -
عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَقُولَ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.

^١ حَاشِيَةُ الْمَزِينِي: الْهَاجِرَةُ: اشْتِدَادُ الْحَرِّ نِصْفَ النَّهَارِ. انْظُرِ النِّهَايَةَ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ (٥: ٢٤٦) مَادَّةُ (هَجْر).